

# المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السابع بعد المائة

١ نوفمبر سنة ١٩٤٥

٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٦٤

## طبقة من نور

وأخرى من ظلام في العصور الوسطى

كان الفرق بين الآراء التي تجول في عقول الأوساط من الناس ، وبين الذين خصوا باستيعاب أرقى ضروب المعرفة الذائعة في العصور الوسطى ، كبيراً شاسعاً . على أن مثل هذا الفرق قد وجد دائماً بين الزمرتين ، وهو في عصرنا هذا ، بالرغم من نظام المدارس والتدريس ، لا يزال واسعاً عميقاً ، كما كان في تلك العصور . غير أن بعض الظروف قد جعلت ذلك الفرق في العصور الوسطى ، أوسع بعض الشيء مما هو الآن . ذلك بأن غالبية الناس إذ ذاك كانوا إلى الخشونة ، تسترقهم الصناعات اليدوية أو الفلاحة ، فلم يزيلوا وديانهم الأصلية التي نشأوا فيها . اللهم إلا إذا دعيتهم الحاجة إلى الخروج لمغزاة يزجهم في غمراتها سيد الأقطاع الذي يملك رقابهم . كانوا يجهلون القراءة . ولو أنهم عرفوها إذن لما وجدوا كتباً ولا مخطوطات يمكنون عليها ، فظلوا من حيث العلم بأحوال الدنيا الخارجة عن دنياهم الضيقة ، واقفين عند ما يتلقفون من أقوال المهاجرين وعابري السبيل والتجار . وفي الحق إن صلتهم بالمعرفة كانت مقصورة على قسيس القرية . وكان قساوسة القرى أقل رجال « الأكابر وس » علماء وأعجزهم عن التعليم . كانوا في شغل شاغل وفي فقر مدقع ، حتى ليمتدروا على أحدهم الحصول على مخطوط يكسب عليه . وكانوا محتقرين في نظر الذين هم أعلى منهم مرتبة في الكنيسة ، ومن الديارين ، على السواء .

إن اتصال الفلاحين وعمال المصانع في العصر الحاضر بالعالم الخاف بهم ، ووقوفهم على



أخبار الدنيا والآراء التي تذيب فيهم عن طريق الصحف والمجلات والصور المتحركة ، دع عنك تعليم المدارس ، لم يتهيأ مثله للناس منذ ستة قرون فرطن من الزمان . أضف الى ذلك أن طبقة المتعلمين كانت نسبتها بالقياس على المجموع أقل منها الآن . فاننا بالرغم مما نقرأ من أن آلاف الطلاب كانوا في ذلك العصر يغشون جامعة باريس أو جامعة بولونيا ، فإن عدد الجامعات الكبرى ذات الأثر الثقافي ، حتى حدود القرن الرابع عشر ، لم يتجاوز اثنتي عشرة جامعة في كل أوروبا ، إن لم يكن أقل . وكانت جميعها ، على التقريب ، واقعة تحت سلطان رجال الدين . وهم طائفة انحصر فيهم كل ما نسميه اليوم وظائف السياسة والشرع والتعليم ، ومعنى هذا أنهم كانوا منفصلين عن بقية أفراد الجمعية وطبقاتها ، فلا يختلطون بغيرهم إلا قليلاً ، فضلاً عن اعتقادهم القائم على فكرة الرعاية الكنسية التي أوحى اليهم بأن العلم مجالهم وحدهم وصناعتهم المحتكرة ، وأن تدخل عامة الناس فيه أمر لا يخلو من خطر ينبغي أن يتقن بصرفهم عنه وإبعادهم عن سبيله . يأتي فوق ذلك حقيقة أن الكتب التي ظن أن بها إثارة من العلم المدرسي والمدونات والمراجع ، كانت جميعاً مكتوبة باللسان اللاتيني ، وكان مجهولاً من العامة حتى في إيطاليا نفسها . وكذلك الانجيل ، وكان من دعائم العلم في كل العصور الوسطى ، كان مكتوباً باللغة اللاتينية كما عرفها القديس « ييرونيم » . أما ترجمته الى اللغة المتداولة فكان مقدمة لحركة الإصلاح الديني التي قام بها لوتر ، وكان بقاؤه في اللاتينية وحدها من العوائق التي صدت مقدمي الإصلاح الديني ، من أمثال « ويكليف » و « هوس » عن بلوغ أهدافهم في القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر . ولم يكن ليصل الى العامة من صور التبشير النصراني التي يمكن أن تسعها عقولهم ، قبل ظهور القساوسة المستعجدين من الدومينيكيين والفرنسيسكانيين في أوائل القرن الثالث عشر ، إلا إثارات وتنف لا غناء فيها . واما أكثر ما يتصل بهؤلاء القساوسة من الشهرة ، فإنما يرجع الى بعثاتهم التي جابت أنحاء أوروبا ، ورغبتهم في اقتسام علمهم مع الناس .

كانت الطبقات العليا ، بطبيعة الحال ، غير منقطعة كل الانقطاع عن خزائن الحكمة الذائعة . ففي خلال العهد الأخير من العصور الوسطى ، كان أسباده الاقطاعات يقرأون ويكتبون ، جرياً على عادة أتتبع ، كما ألفست لهوهم أقاصيص وأغنيات وحكايات للتسلية عن سياحات ومخاطرات ، وهي من الأشياء التي تؤلف جزءاً عظيماً مما تفخر به الآداب الأوروبية الأولى . كذلك كان نواب المدن وكبار رجالها متعلمين تعليماً لا بأس به . وفي الحقيقة إن العثور على طبقة متعلمة تعليماً ثقافياً ، قد اقتصر في الغالب على كبار رجال الأمر التجارية ورجال البلديات والموظفين الذين كان يحتاج اليهم في معالجة مشاكل التجارة والحياة



التجارية . فان دانتي الفلورنسي ، وهو ابن مسجل عقود ، انما هو المثل العالمي لذلك الضرب من التعليم الذي ذاع في المدن ، وبخاصة مدن شمال إيطاليا العاصرة في القرن الثالث عشر . ولقد كان في ألمانيا وفي الفلاندر طبقة مثل هذه تمثل أرقى ما وصل اليه التنقيف في المدن الكبرى . من هذه الطبقات خرج أعظم الذين تحمسوا لآداب العالم القديم واحتضنوها وعملوا على تفهمها . أولئك كانوا أوالي النشوريين<sup>(١)</sup> في عصر النهضة . وبنشوء هذه الطبقة القارئة ، نشأت آداب واسعة تناولت العلوم المبسطة ، ونوع آخر من الأدب جمع بين التسلية والتنقيف . وكان من الطبيعي أن تتجه العقول الى أنواع الثقافات الأدبية التي فيها شيء من الروعة أو الغرابة .

من أمثال الكتب التي ذاعت في ذلك العصر كتاب — Romaunt of the Rose — الذي ترجم الى كثير من اللغات وترجمه « شوسر » الى الانجليزية . وكذلك كتاب — Image of the World ، وكتاب Romance of Sîdrach وكتاب Treasure الذي وضعه برُونستو لاتيني أستاذ دانتي وكتاب — Properties of Things — الذي وضعه بارتولوميو الإنجليزي وكثير غيرهم من قلدوهم . وهؤلاء لم يكونوا في عصرهم أقرب الى مراقي الثقافة العليا ، علمية وأدبية ، من كثير ممن يكون على صحف « العلم المبسط » التي تنشر في عصرنا هذا . ان هذه ليست إلا نفايات إذا قيست بالموسوعات الثقافية التي وضعها البرت الكبير أو القديس توماس الاكويني .

إذا رجعنا إلى عقائد الرجل العادي في حقيقة العالم ، فأنسنا نجد أن آراءه من حيث تأمله في حقيقة البيئة التي وضعه الله فيها ليقضي حياته الفانية ، كانت خليطاً من مشاهدات ، إن دلت على فطنة ورجاحة عقل ، فأنسها في مجموعها قد علمت بتلك الأشياء التي وقعت تحت حسه وفي دائرة حياته المحدودة ، وأثرت في حياته اليومية وطبيعة عمله ، وقصص خيالية وخرافات كونها فيما تخيل من أمور تبعد عن عصره أو عن عقله ، سواء أفي الزمن أم في المكان ، وعقيدة مُضمرة ألفها في حقيقة الأشياء التي بعدت عن مجال تجاربه وحجز عن تعليلها ، وكانت حرفية الانجيل ، مفسرة على ما يرضي أهواء الأخيلة السائدة ، هي المرجع الذي يستمد منه ميثاث تلك العقيدة .

خلق الله العالم ، كما ثبت في مخيلة ذلك الرجل العادي ، في ستة أيام ، جرياً على التقليد العبراني القديم ، فخرج كاملاً بكل تفاصيله ، وثبت كما خلق فلم يقع عليه أي تغاير أو نشوء .



وان التغير الذي نلاحظه في حياتنا هذه إنما يقتصر على حياة الانسان وعلى أعماله . خيل اليه أن الأرض سهلٌ عظيم ، يحيط به من جميع الجهات لبحر من الماء . ومن فوقها امتدت القبة السماوية ، التي سبحت فيها الشمس والقمر والسيارات ، وفي جنباتها الفسيحة استقر ملائكة يحملون النجوم الثوابت ، كأنها المصابيح .

أما حركات السيارات فكان علمه بها أرقى من علم الانسان العادي في زماننا هذا ، ذلك بأنه عاش في العراء ، فإذا غربت الشمس ، عزَّ عليه أن يجد ما يستضيء به ، فشغل نفسه بالتطلع الى السماء ، حتى استطاع أن يقف على مجرى تلك الكواكب السيارة ، وطبيعة حركتها ، ونشأت فيه غريزة الفلاح التي حملته على أن يدرس علاقة حركاتها تلك بحالات الطقس والرياح . ناهيك بما علم من مبادئ التنجيم ، وهي مبادئ انحدرت اليه من أبعد الازمان ، وكانت قد نشأت في تلك البلاد التي يدعوها « بلاد الكفار » — ويقصد بهم العرب — فاعتمد عليها واتخذها ، كما اتخذها غيره من أهل القرون الأولى ، هادياً في العمل وموجهاً في الزراعة ووسيلة للشفاء ، ومستقراً للمستقبل . أما المجازات المشرقية التي وردت في كتب العهد القديم ، فقد فهمها بحرفيتها ، وربما كان قد عطف على ذلك الاسقف القديم الذي قال :

ليست السماء كرة ، بل خيمة أو مظلة « انه هو ... الذي مد السماوات حجاباً ، وبسطها . خيمة نعيش فيها » . تقول الكتب المقدسة إن لها قبة . وليس للكرة قبة . وكذلك كتب : علت الشمس عن الارض عند ما هبط لوط أرض صوغر (١) Zoar . الارض منباعدة ، والشمس لاتمر من تحتها خلال الليل ، بل تمر بالاجزاء الشمالية ، كما لو كان يحجبها جدار . والشمس تقرب ومن ثم تسرع الى المكان الذي منه تشرق .

\*\*\*

اتخذ الراهب « قوزماس » من هذه التعبيرات أداة ، وأكَّب في القرن السادس على تأليف كتاب ذاع صيته وانتشر بين الناس على اختلاف طبقاتهم حتى القرن الثاني عشر ، فصور الدنيا في هيئة خيمة عظيمة مستطيلة الشكل ، مملوءة بالماء ، ومنها يساقط المطر على الارض .

غير ان كثيراً من الذين وصلت الى أيديهم كتب العلوم المبسطة في القرنين الثاني عشر

(١) واذا أشرقت الشمس على الارض دخل لوط الى صوغر . فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء . وثلث تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الارض . ونظرت امرأته من وراءه فصارت عمود ملح . تكوين : ١٩ : ٢٣ : ٢٦ .



والثالث عشر ، كان علمهم أقوم من علم هذا الراهب والذين أخذوا عنه . فقد بُرهن بسهولة على أن الأرض كروية ، وإن من حولها تدور الأفلاك والسيارات .  
جاء في كتيب من مخلفات القرن العاشر :

في اليوم الثاني خلق الله السماء وسميت النبة ، وهي مرئية بالعين ، هيولى الثوام . ومع هذا فقد يتفق أن لا نراها لعظم ارتفاعها وتراكم السحاب وضعف أبصارنا . تضم السماء في صدرها الدنيا برمتها وهي لا تنفك تدور من حولنا ، بأسرع مما تدور أية من عجلات الطواحين ، وهي من تحت الأرض كما هي من فوقها ، على بعد واحد . أنها مستديرة من كل أطرافها ، كاملة البناء ، تامة الخلق مرصعة بالنجوم . وفي الحق أن الشمس تمشي بأمر الله بين السماء والأرض فتعلو نهاراً وتهبط ليلاً . وهي دائمة الحركة من حول الأرض ، وبذلك تضيء الجزء الأسفل من الأرض عند ما يكون ليل في جزئها الأعلى . والشمس عظيمة الحجم فائقة القدر ، وأنها على ما تقول الكتب ، بعرض الأرض واتساعها ، ولكنها تظهر صغيرة لبعدها عن أبصارنا . والأشياء كلها بعدت عنا ، ظهرت أصغر حجماً بما هي . والنمر والنجوم تستمد ضوءها من الشمس . والشمس في السماء نظير مخلصنا المسيح في الأرض ، فانه شمس الحق والنور . أما الكواكب والنجوم فهي في السماء ، نظير المؤمنين بالله في الأرض .

السموات من فوق الأرض ، وتبعد عنها بعداً شامعاً عظيماً ، حتى أن حجراً كبيراً إذا هبط من السماء ، فانه لا يصل الى الأرض في أقل من مئة سنة . ولا شك في أن أكثر المتعلمين كانوا على إلمام بالمبادئ الأولية التي قام عليها الفلك اليوناني ، وهو علم اقتصر الاشتغال به على فئة من المنقطعين للدرس ، ولو أنه كان في ذلك العصر مطوقاً بالأساطير مندفاً في الخرافات .

في سفر « سدراك » أن الشهب المنقضة على الأرض ، هي مدارج الرياح ، أو هي الرطوبات التي تنفثها الأرض فتصعد من صدرها حتى تصل طبقات الهواء العليا ، وربما تكون أقباصاً من النار يرمي بها الملائكة الطيبون الملائكة المغضوب عليهم ، إذا أرادوا أن يدخلوا خلصة ملكوت السماء .

إن الرجل العادي لم يكن ليعرف شيئاً من الجغرافيا ، اللهم إلا ما تملثفه من أفواه المسافرين ، وكان من الغرارة بحيث يقبل أي شيء يروى له عن البلاد البعيدة عن محيطه ، وما تأهل به من أقوام غريباء ، شأنه في ذلك شأن أمثاله في عصرنا هذا . ولا ينبغي أن يغرب عن فهمنا أن كل الأقاصيص المثيرة التي ذاعت في « العصور الوسطى » إنما استمدت أصلاً من كتب القدماء ، من الرومان أمثال بلينيوس ومن اليونان بعد العصر القديم ، وهي أقاصيص نتخذها مثلاً للمعتقدات التي ذاعت في الحضارة القديمة والعصور الوسطى . والحقيقة أنها لا تدل على تأخر عقلي أو انحطاط ذهني ، بل تدل على أنها أرقى ما وصل



اليه العقل البشري في ذلك العصر ، اللهم الا فئة من المختارين في العلم .

فهناك السواطير (١) على مثال الانسان، منسريو الانوف ، مقرنو الجباه ، بأرجل أشبه شيء بأرجل الماعز . ولقد رأى التديس «انتوني» واحداً منها في القلا . . . ان هذه الوحوش الغريبة ذوو قدرة على الفوص في الماء . وقد سمي بعضها «الملكبات» — Cynocephali (٢) — لان رؤوسها كرؤوس الكلاب ، ويظهرون في تصرفاتهم أشبه بالسوائم منهم بالانسان . وقد يسمى بعضهم «مستديرات الدين» Cyclops (٣) ووسموا بذلك لان لكل منهم عيناً واحدة تستقر في وسط الجبهة ، وقد يكون بعضهم بغير رؤوس أو أنوف ، ويعينهم في أكتافهم ، ولبعضهم وجوه مسطوحة بغير خياشيم ، والشفاه السفلى قد تمتد وقطول حتى تغطي وجوههم ، اذا ما أحرثهم الشمس . وفي «إسثونيا» — Scythia (٤) — أقوام منهم أذانيون (٥) أي عظام الاذان ضخامها ، حتى انهم قد ينشروا أذانهم فينطون بها كل أبدانهم . وهؤلاء يسمون Panchios (٦)

في أثيوبيا غير هؤلاء خلق كل منهم بدم واحدة ، غير انها من العظم والضخامة ، بحيث يستطيعون ان يستظلوا بظلمها اذا ما استلقوا على ظهورهم ورفعوا أقدامهم الى أعلا ، ليتنوا بها حرارة الشمس . وهم مع ذلك عداؤون ، في سرعة كلاب الصيد عدواً ، ولذا سماهم الاغارقة Cynopods (٧) أي الكلاية الارجل ، اشارة الى السرعة لالى الصورة . وهناك من ينسبط جلد كفوف أرجلهم الى ما وراء أقدامهم ، ولهم ثمانية أصابع في كل قدم ، فيستطيعون بذلك الجولان والتنقل في جنبات صحراء لوبيا .»



ولم تكن الغرائب المروية عن السوائم والنباتات بأقل مما ذكرنا غرابة :

(١) Satyrs : were natnre-dieties or daemons of mountain forests and streams, of a subordinate or sabaltern character, and therefore especially the attendants of Dionysus, like whom they represented the luxuriant vital powers of nature. etc. Class. Dict. 842.

(٢) Cynocephali — Dog's Heads : Class. Dict. 263.

(٣) Cyclops = round-eyed. In Greek Mythology, a race of one-eyed giants, represented in the Homeric cycle of legends as Sicilian shepherds. Cent. Encycl. p. 299.

(٤) Scythia : a name applied to very different countries at different times. Class. Dict. 855.

(٥) أذانيون : ورجل أذاني وأذن عظيم الاذن طولها ونعجة أذناء وكيش آذن. القاموس المحيط ١٩٥ :

(٦) Panchios : Panchion (Panshon) Encycl. Dict. p. 365 Vol. V. Panshon : (Perhaps a corrupt, of puncheon). An earthenware vessel wider at the top than at the bottoms, used for holding milk, and other purposes. Encycl. Dict. p. 369 Vol. V.

وفي الاسم اشارة الى الصفة الحرافية التي تخيلها أهل تلك الازمان

(٧) Cynopods : Gr. Kuon = dog + pod = foot.

أي الذين أقدامهم مثل أقدام الكلاب



يقول ابن سينا ان الدب تلد قطعة من اللحم ناقصة التكوين كريمة الصورة ، فتلحس الام تلك الجزلة وتصور الاعضاء باللحس ... فان الفلو يكون قطعة من اللحم لا تزيد عن الفأر حجماً ، وليس له عينان أو اذنان ، فتلحس الام هذه القطعة من اللحم وتصور منها الفلو . ومن أعجب الاشياء التي تروى عن « ثيوفراسطوس » ان لحم الدب اذا أخذ في حالة ما يكون الدب في خدره الشتاءي وطبخ ، فلا يبقى منه في القدر غير كمية قليلة من الاخلاط : humours

ويروى شيء آخر هو غاية في العجب : ففي بعض بقاع من بلادهم ، يصطاد الاثيوبيون الفيل بالطريقة الآتية : يذهب الى الحرجة فتان عن دراوان ليس عليهما لباس البتة ، محلولتا الشعر ، فتجمل احداها جرة والاخرى سيفاً ، ثم تأخذان في الغناء منفردتين ، فيطرب الفيل بصوت الغناء ، ويقبل نحوهما ويلحس حلمتهما ، ثم ينشئ عليه النوم فيخرب صريعاً من نشوة الغناء . فتلتهم احداها هذه الفرصة وتحز رقبتة أو جنبه بالسيف ، وتلقى الاخرى دمه في الجرة ، وبهذا الدم يصبغ الناس ثيابهم ويلفونها بهذه الطريقة . التنين أعظم الحيات وكثيراً ما يغوى فيخرج من كهفه ، ويرتفع في الهواء ، فيتحرك الهواء بحركته ، وكذلك البحر ، فانه يتلوث بسمه . وله قزعة وفم صغير ، ويستنشق الهواء من أنابيب صغيرة ، وله أسنان كالنشار . وله قوة وبطش ، لا في أسنانه وحدها ، وانما في ذنبه أيضاً ، وله قدرة على القضم واللدغ فيقضم بأسنانه ويلدغ بحمته ، على ان ما فيه من كمية السم أقل مما في بقية الحيات .

وقد يحدث ان يجتمع أربعة أو خمسة منهم ، فيصلون أذنانهم بعضها ببعض ويحكمون وصلتها ، ثم يعرفون رؤسهم ، ثم يحلقون فيقطعون البحار ويجتازون الانهار طلباً للرزق الطيب من اللحم . وبين التنين والفيل عداوة مؤصلة ، فاذا تصاولا يصيب الفيل الانهاك قبل النهاية فيعمي بصره ، فاذا سقط على التنين ، ثله بقل جسمه . والسبب في أن التنين يطلب الفيل ان دم الفيل بارد ، فيرغب فيه التنين ليتبرد به .

يقول القديس « ييروم » ان التنين وحش عطشان شديد التعطش الى الماء ، وقلم يجد من الماء ما يكفي لاطفاء ظمئه ، فيفترق فاه نحو الجبلية التي يهب منها الهواء ، لعله يخفف بذلك شيئاً مما يحس من ألم العطش . وهذا هو السبب في ان التنين اذا رأى السفن تدفعها الرياح ، مضى نحوها طلباً للهواء الذي يدل عليه امتلاء أشرعتها به ، وقد يقلب السفن أحياناً بقوة جسمانه ، اذ يصطدم بالاشرعة . فاذا رأى الملاحون التنين يقترب منهم ، وقد يعرفون ذلك بتضخم الامواه التي من حولهم وانتفاخها ، فانهم يسرعون بطي الاشرعة ، وبذلك يسلون من شره .

وعلى هذا النمط تجري الأقاصيص عن عجائب الأرض ، وكلها تفيض بصور شتى من الخيال والتصوير . فان تَمَسَّتْ عن شيء فانما تنم عن سعة في الأفق ، ولو انها خيالات .

\*\*\*

فمن الاشياء التي رواها « بارتولوميو الانجليزي » عن انجلترا ، ان هذه الجزيرة التي تحيط بها المياه من كل جوانبها ، هي من أعظم جزر البحار ، وان نبلاء طروادة Troy وكبراءها بعد أن تحطمت مدينتهم وأصبحت انقاضاً ، غادروها ومعهم أسطول بحري عظيم ، ونزلوا



تلك الجزيرة معتصمين بجبالها المشمخة ، وانهم فعلوا ذلك بإيمان من إلهتهم « فلأس »  
 Pallas ، فقاتلوا عمالقة الجزيرة الذين عمروها منذ أزمان بعيدة وتغلبوا عليهم ، بالحيلة  
 حيكاً وبالقوة حيناً آخر ، حتى أتموا إخضاع الجزيرة لأمرهم ، وسموها أرض بريطانيا نسبة  
 الى « بروطه » Brute أميرهم الأعلى .

\* \*

فاذا وصف انجلترا في عصره وصفها وصفاً فيه دقة في التعبير . فقال انها ركن الدنيا ،  
 وهو يقصد بذلك ركن أوروبا ، وانها أرض لا تحتاج الى غيرها في حين أن غيرها يحتاج  
 اليها ، وان أهلها محبون للحرية مقدسون للصدق والاستقامة ، ولكن الأرض نفسها هي  
 التي بثت فيهم روح الحرية وعلمتهم الصدق بروائها وحسن منظرها وطلاوة اقليمها ، فقدمت  
 البيئة الطبيعية بهذه الصفات وغرسها في فطرتهم . وكذلك اذا تكلم عن فرنسا ، فانه يخلط  
 تاريخها القديم بالأساطير ، فاذا وصفها كما كانت في عصره ، تكلم فيها بشيء من موضوعية  
 الذهن وتوخي الواقع بقدر المستطاع .

فاذا انتقل من ذلك الى الكلام في الهند طغت عليه الأسطورة وتغلب عليه الخيال .  
 فقال ان الهند أغنى بلاد الأرض ولكنها مع ذلك أكثرها أعاجيب . ويقول إن بلينيوس  
 قد صدق عند ما قال إن الهند أرض المدهشات . ففيها أعظم الوحوش وأعظم كلاب الصيد .  
 أما أشجارها فقد تعلو وتسمق حتى ان واقفاً تحت شجرة إذا أطلق سهماً من قوسه ، فقد  
 لا يبلغ السهم في رميته قمة الشجرة . وذلك هو السبب في الغنى الذي تنعم به هذه الأرض ،  
 وفي اعتدال الاقليم والهواء وغزارة الماء . وقد تمتد أشجار التين هنالك ، حتى أن كتاب  
 برمتها قد تستظل بواحدة منها وتقيم تحتها ولائم وأعياداً . وهنالك أنواع من القصب تعلو  
 وترتفع حتى أن الفك الواحد من قصبة منها ، قد يحمل ثلاثة رجال عبر الماء اذا تشبثوا به .  
 ومن أقوام الهند قوم لا تلد نساؤهم غير مرة واحدة ، فاذا وضعن كان أولادهن بيض الرؤوس  
 شبيهاً منذ الولادة . وفي شرقي الهند حيث ينبع « نهر الكنج » قوم من الهنود لا أفواه لهم ،  
 يكتسبون بالمواد النباتية ويغتذون بالروائح والمشمومات التي يستشقونها بخياشيمهم ، فهم  
 لا يأكلون ولا يشربون ، وان الروائح الكريهة تقتلهم .

اسماعيل مظهر





## الفطام

الفطام هو تعويد الطفل هجر ثدي أمه أو مرضعته واعطائه لبناً خارجياً أو طعاماً آخر غير اللبن . وتختلف السن التي يبتدىء فيها الفطام باختلاف البلدان ، فقديمًا ، وحتى أيامنا هذه أيضاً ، كان فطام الطفل يبدأ حينما يبلغ الثانية أو الثالثة من عمره ، ولا تزال ترى بعض الشعوب في أنحاء الشرق الأقصى تترك أطفالها يرضعون ثدي أمهاتهم حتى السنة الخامسة أو السادسة . وهناك أيضاً شعوب أخرى من الأسكيمو يرضع أطفالها إلى السنة الثامنة أو العاشرة ، وغيرهم إلى السنة الخامسة عشرة ، لكن الآراء الحديثة والتجارب العديدة دللت على أن الطفل لا يستفيد فائدة ما من الرضاعة بعد الشهر التاسع من عمره ، بل بالعكس إذا استمررنا على ارضاعه لبن أمه بعد تلك السن ، فمن الجائز أن يصاب بالأنيميا نظراً لعدم وجود مقدار الحديد الذي يحتاجه الطفل في لبن أمه . صحيح أن ثدي الأم أو المرضع يفرض اللبن كالعادة ، ولكن عناصره المغذية تفقد ولا تعود تصلح للطفل .

ومن هذا كله نرى أن الحد الكافي لارضاع الطفل هو الشهر التاسع من عمره — إذا كانت صحته جيدة . ومن الأطباء من يستحسن فطام الطفل في نهاية السنة الأولى من الرضاعة . وعلى كل حال لا يجوز فطام الطفل قبل نهاية الشهر التاسع لئلا يتعرض لأمراض شديدة سوف يأتي البحث عنها . والأوفق أن يكون الفطام تدريجياً ويبتدىء ، كما قلنا ، من الشهر التاسع ، فيعطى مرة أو مرتين في اليوم بعض الأطعمة المصنوعة باللبن أو بإحدى المواد النشوية بدلاً من الرضعات الطبيعية أو الصناعية ، وبالتدريج تنقص وجبات الرضاعة الطبيعية ويستعاض عنها بالمساحيق النشوية : كدقيق القمح أو دقيق الأرز أو الشعير أو الذرة أو البطاطس أو الأراوط مثلاً ، مطبوخة بالسكر أو بمرق اللحم إلى أن يترك الطفل ثدي أمه من تلقاء نفسه بدون أن يشعر بتعب أو ارتباك ما في أمعائه . وفي ذلك الحين يكون ثديا الأم قد تعودا ترك الارضاع ، ويكون افراز اللبن قد قلّ منها شيئاً فشيئاً .



ويمكن أيضاً تعويد الطفل على التغذي بلبن البقر أو الجاموس أو غيرها ابتداءً من الشهر السادس من عمره حتى تألف معدته الرضاع الصناعي ، ولا ترتبك حالته الهضمية عند فصله عن ثدي أمه . فيُعطى الطفل مثلاً وجبة من لبن البقر أو الجاموس المخفف بالماء المبرّد الى درجة حرارة الجسم ، وذلك بدلاً من رضعة الثدي الطبيعي ، ويستمر على ذلك ثلاثة أو أربعة أيام ، ثم يعطى بعد ذلك وجبتين من الطعام المعوّض للثدي أمه ، ويستمر على هذا المتوال في زيادة عدد الرضعات الصناعية وتقليل عدد الرضعات الطبيعية الى أن يفصل الطفل عن ثدي أمه بتاتاً في نهاية الشهر التاسع

وهنا يجدر بنا الحذر من القطام الفجائي ، اذ ان مثل هذا العمل حادث خطر محزن ومؤلم للطفل . فهو يرى نفسه بعد ان كان متمتعاً بلبن أمه وثديها بالأمس ، قد حُرِم منه اليوم بدون انذار او ذنب فيثور ضد ذلك ويبكي ويرفض ما يُقدّم له من الأطعمة مهما كان نوعها وان كان متعوداً أكلها من قبل ، وقد يتقيأها اذا أرغم على أكلها . ويستمر أحياناً في رفض الأكل حتى يضعف او يمرض . وهذا ما يدعو الى اتباع نظام القطام التدريجي في كل الاحوال ولو كانت سن الطفل كبيرة ، ويُستحسن ان يخرج الطفل من البيت كثيراً حتى يتلهم عن أمه ومرضعته

والذي تجب ملاحظته هنا هو ان حرارة الصيف غالباً ما تعكر أوضاع الاطفال وتسبب اضطراباً في معداتهم ، ولهذا يقتضي تدارك هذه الحالة لئلا تؤدي الى عواقب سيئة ، وعدم فطم الطفل في أشهر الصيف الشديدة الحرارة ، ذلك لأن اللبن يكون أكثر تعرضاً للتلوث بالجراثيم في هذا الفصل . كذلك عدم فطمه في أثناء بروز أية سن من أسنانه ، وخصوصاً اذا كان مصاباً بقيء او اسهال او في دور النقاهة من أي مرض من الأمراض . وأحسن طريقة لذلك هو الغاء كل طعام مدة يوم او يومين في فصل الصيف ، فيقتصر فيهما على اعطاء الطفل حساء الخضر ، وتحضيرها يكون على الوجه التالي :

يؤخذ قدر ملعقة حساء من كل من العدس والذرة والقمح المجروشة ، والخص والشعير المجروش ، ويُغلى كل ذلك في ثلاثة لترات ماء مدة ثلاث ساعات . ولما تنضج يصفى من هذا المغلي نحو ثلاث لترات وتُمَلِّح وتقدّم للاطفال .

ويمكن أيضاً أخذ ٦٠ غراماً من البطاطا ، و ٤٥ غراماً من الجزر و ١٥ غراماً من الفث و ٦ غرامات من الفاصوليا و ٦ غرامات من الخص اليابس ، وتغلى كلها مدة أربع ساعات في لتر من الماء ، ثم يصفى منها لترّاً من الحساء ويُمَلِّح . اما كمية الحساء الواجب اطعامها للطفل في كل وجبة فنوط بعمره وبحالة امعائه — أي مقدار الارتباك الحاصل له . والعادة



أن يعطى صحنًا غير مملوء . اما اذا كان رضيعًا فيوضع له في مصاصته نحو ١٥٠ غرامًا كل ساعتين ونصف ساعة بدلاً من الرضعات الطبيعية . ولا يجب أن تحفظ هذه الحساء أكثر من اربعة وعشرين ساعة ، وتعتبر هذه الحساء نفسها أحسن غذاء أيضاً للمراهقين المصابين بالجُمى التيفية او بالالتهاب المعوي الحاد وغيره من الأمراض المعوية .

❖ الحالات الموجبة فصل الطفل عن ثدي أمه ❖ في بعض الأحيان يُضطر الى فصل الطفل فجأة عن ثدي أمه قبل انقضاء الشهر التاسع ، سواء كان لقلة مقدار لبنها ، أو لحفافه من ثديها ، أو بسبب التعب ، أو لضعف يعتريها في جسمها ، أو لاصابتها بمرض يمنعها عن ارضاعه ، أو ايضاً لوجود أسباب عائلية أو اجتماعية خاصة الخ . ففي هذه الحالات يُستعاض عن الارضاع الطبيعي بالارضاع الصناعي . وأحسن الألبان التي يتحملها الطفل بعد لبن أمه هو لبن البقرة الصحيحة ، ويأتي في الدرجة الثانية لبن الجاموس المخفف بالماء المغلي قبلاً — بعد تبريده الى درجة حرارة الجسم . وسواء كان هذا اللبن أو ذاك يجب تخفيفه قبل اعطائه للطفل ، وكلما كانت نسبة الماء كثيرة في اللبن يقل احتمال اصابة الطفل بالارتباكات الهضمية ويحترس من اعطاء الطفل الأطعمة النشوية قبل بلوغه الشهر السادس من عمره ، لأنه لا يستطيع ان يهضمها معها يكن نوعها ، بل انها تكون كالسم لعدم تكوّن المادة التي تحوّل النشا الى سكر وتجعله صالحاً للهضم حتى ذاك التاريخ . فان اربعة اخماس الاطفال الذين يموتون في أشهر السنة الأولى بعد الولادة سبب موتهم الطعام ، لأن الذين يربونهم يحسبونهم قادرين على هضم الأطعمة النباتية كالخبز و النشا لأنها اذا كانت ليّنة لا تحتاج الى مضغ ، فلا يدخلون عليهم بها . وهذا خطأ ، فان الطفل لا يستطيع أن يهضم المواد النشوية معها يكن نوعها . فاذا بلغ الشهر السادس فما فوق يجوز حينئذ أن يضاف الى اللبن الذي يرضعه قليلاً من الأطعمة النشوية كالاراروط مطبوخاً بالسكر أو بمرق اللحم .

أما كيفية صنع الاغذية الصناعية فكما يلي : تضاف ملعقة صغيرة من أحد المساحيق النشوية التي أتينا على ذكرها الى كمية من الماء البارد وتمزج به مزجاً جيداً ، ثم يسكب هذا المزيج شيئاً فشيئاً في إناء يحتوي ١٢٠ أو ١٥٠ غراماً من اللبن المغلي ، ويغلى على النار مدة عشر دقائق ، وفي خلالها يمحض بالملقعة ليمتزج جيداً ويضاف اليه قليل من الملح أو السكر . وبعد مدة قصيرة يضاف اليه قليل من الزبد ويتناوله الطفل بالملقعة . فاذا أصيب بأمساك مثلاً يعطى مسحوق الشعير . واذا أصيب بإسهال يعطى مسحوق الأرز . واذا كان مصاباً بضعف البنية أو بفقر الدم يعطى مسحوق الخرطال Avoine . وعلى كل يعطى الطفل قبل بلوغه الشهر العاشر نوعاً واحداً من الأغذية النشوية ، وتستأنف الرضاعة من



الثدي أو من الموضع ، وتكون الفترة بين الطعام النشوي ونوبة رضاعة الطفل كافية لتمتكن معدة الطفل فيها من الهضم .

وقد لوحظ أن الاطفال يميلون كثيراً الى الاطعمة المطبوخة بمسحوق الكاكاو ، لكن هذه كثيراً ما تسبب لهم امساكاً وتهيجاً ، فضلاً عن أنها تجعلهم يكرهون المساحيق الغذائية الأخرى نظراً الى الفرق بين مذاق هذين النوعين من الاطعمة .

ولما يبلغ الطفل الشهر الخامس عشر من عمره يستحسن تنويع طعامه ، فيعطى مثلاً خمس وجبات يوميّاً : ثلاث منها ٢٠٠ غرام من اللبن ، ومرة واحدة من الأوراق الخفيفة الخالية من الدهن ( كل يوم نوع واحد ) ، ومرة أيضاً بيضة واحدة مع البطاطا المسلوقة المدهوكة purée أو أحد الاطياب كالنشا المحلى بالسكر ، أو ( كريمة ) مصنوعة باللبن والسكر .

وعند ما يبلغ الشهر الثامن عشر من عمره يعطى ٤ وجبات يوميّاً فقط في أوقات محدودة ، أي الساعة السابعة صباحاً ، والساعة الثانية عشرة ظهراً ، والرابعة عصرّاً ، والسابعة مساءً . وفي الصباح مثلاً يأكل الخبز واللبن والبيض ، أو الخبز والزبد والمربي . وفي الظهر يأكل لب الخبز مغموساً بمرق اللحم ، والسمك والارز والجبن الحلو والخضر والفواكه الناضجة والمطبوخة . وفي الاصيل الزبد والخبز والمربي . وفي المساء الحساء والخبز واللبن وما يشبه ذلك من الطعام الساخن .

واذا جاع الطفل بين وجبة ووجبة يعطى كسرة خبز وكأساً من اللبن . ولا بدّ من تنويع الأكل كما قلنا ، وإلا عافه الطفل كما يعافه البالغ .

فللقطام اذاً كما ترى أهمية كبرى من ناحية مستقبل الطفل خصوصاً وان هذا يكون معرضاً في خلاله لأغلب الاضطرابات المعوية التي تؤثر في حياته تأثيراً بالغاً ، وليست هذه الاضطرابات إلا نتيجة أخطاء التغذية . وكمن الأغلاط تقع فيها غالباً الأمهات الشابات سواء وقت ارضاع الطفل من الثدي ، أو وقت فطامه أيضاً ، لجهلن اتباع التغذية الصحيحة له وتطبيقها وفقاً لحالته الصحية مما تؤدي نتيجة الى اصابة الطفل بالقبض أو الاسهال أو القيء أو قلة الشهوة للطعام الخ . لذلك يجب أن نبحث عن الأخطاء الناتجة عن سوء تدبير الغذاء ونعمل على ازالتها ما أمكن — وهذا لا يتم إلا باصلاح القانون الغذائي وتعيين مواعيد محدودة لطعام الطفل مع استعمال بعض الادوية اذا اقتضت الحاجة اليها ، مع العلم ان هذه الادوية ليست إلا كساعة فقط بصورة مؤقتة لاعادة الشيء سريعاً الى حالته الأولى ، لأن مفعولها لايزيل إلا الأعراض وليس السبب ، وبازالة السبب يزول المسبب .



ومن هذا كله ندرك أهمية العناية بتغذية الطفل خلال مدة القطام واتباع القانون الصحي في تغذيته وهذا أفيد بكثير من استعمال الأدوية لمعالجة ما ينتابه من الارتباكات الهضمية وغيرها فيما إذا لم يراع أي نظام في تغذيته وفي نوع الطعام الموافق نسبة أسنه .

﴿ عوارض القطام الباكر ﴾ ويجدر بنا هنا قبل ختام هذا المقال أن نأتي على ذكر بعض العوارض الناجمة عن القطام الباكر . وهذه العوارض تظهر في اليوم الخامس عشر الى اليوم الخامس والعشرين بعد فصل الطفل الرضيع عن ثدي أمه ، وفي بعض الأحيان يكون ظهورها في اليوم الثاني أو الثالث الذي يستعاض فيه عن لبن الأم باللبن الصناعي . ففي هذه الحالة الأخيرة يفقد الطفل من وزنه حوالي ٣٠٠ غرام أو أكثر من ذلك ، غير أن هذه الخسارة تكون وقفية ، والطفل لا يلبث أن يسترجع بعدها وزنه الأول . وبالعكس لما تبدو الأعراض متأخرة فالحالة تكون شديدة الخطورة وغالباً ما تؤدي الى الوفاة . وبوجه عام اذا مضى اليوم الخامس والعشرون على القطام ولم يحدث في خلالها عارض للطفل ، فلا يبقى ثمة من خطر عليه من هذه الناحية ، ويمكنه أن يتحمل بعدها الرضاع الصناعي بالراحة والسهولة .

وأهم العوارض التي تحدث على أثر القطام الباكر هو ، كما قلنا ، هبوط الوزن . ففي الحالات البسيطة يبقى عادة وزن الطفل على حاله مدة اسبوع واحد الى اسبوعين . اما في الحالات الخطيرة فيخسر الطفل من وزنه في الأيام الثلاثة الأولى ٨٠٠ غرام تقريباً دون حدوث اي اضطراب معدي او معوي فيه . فالطفل الذي كنت تراه حتى وقت ابتداء الارضاع الصناعي بشوشاً طروباً لعباً ، ووزنه منتظم ، وينام ويهضم طعامه جيداً بدون تحشؤ او قيئات ، وبرازه طبيعياً لاراحة فيه — نراه الآن يتبدل فجأة بين عشية وضحاها بدون سبب ظاهر ، فيضعف ويهزل ويفقد من وزنه ٥٠ ثم ٨٠ ثم ١٠٠ او ٢٠٠ غرام فأكثر . وقد تبلغ هذه الخسارة من وزنه كيلو غراماً واحداً وأكثر أحياناً ، بتقدم الوقت . وفي تلك الأثناء تظهر عوارض أخرى فتكسب الحالة شكلاً خاصاً . وأهم هذه العوارض الضعف الذي يزداد يوماً بعد آخر بسرعة فائقة . واذا نظرنا الى الطفل نلاحظ غائر العينين ومنظره منظر شيخ هرم ، وبطنه منكش وجده متجدد ولونه شاحب وأغشيته المخاطية باهتة ولسانه جاف وهيئته حزينة كالحة . وفضلاً عن ذلك نراه يميل دائماً الى النعاس ويفقد شهوة الطعام ، وقد ترتفع الحمى فيه الى ٣٨ و ٣٩ بل ٤٠ درجة مئوية ، وينتهي الأمر أخيراً بموته عاجلاً ، بعد أن يفقد ربع او خمس وزنه . كل هذه الأعراض تحدث والطفل لا يصاب بأي اضطراب معوي او قبض ، ولا قيء ولا تبدل في حالة برازه .

لكن في كثير من الحالات لا ينتهي الأمر بالوفاة ، والطفل بعد ان يهبط وزن جسمه



كما قلنا لا يلبث أن يستعيد وزنه الأول شيئاً فشيئاً وتعود شهوته للطعام الى حالها ، ويندو  
أكله سهلاً ويعود نموه تدريجاً الى حالته الطبيعية وتزول بعدئذ الأعراض الأخرى .  
فما السبب يا ترى الذي يؤدي الى عوارض القطام هذه التي تظهر بدون اضطراب في الهضم  
ولا قبض ولا قيئات ولا أي مرض آخر ؟ هذا ما لا يزال أمره مجهولاً . والغالب أن حرمان  
الطفل من لبن أمه يحرمه بعض أنواع الفيتامينات اللازمة له ، ويؤيد ذلك زوال خطر  
الاعراض المنوّه بها سريعاً حينما يعود الطفل نفسه الى ثدي أمه . ولا بد من التنويه هنا  
ايضاً وفي هذا الصدد بأن عوارض القطام الأنف ذكرها تزول تدريجاً ، باعطاء الطفل في مدة  
الـ ٢٥ أو الـ ٣٠ يوماً التي تعقب القطام للباكر : ٥٠ الى ١٢٠ غراماً يومياً من لبن أمه  
أو لبن امرأة أخرى صحيحة البنية .

الركنور عبره رزق

طبيب مستشفى الميناء والملاحه بالقوا ( العراق )

من أدب الغرب

### سياسة إنجلترا الخارجية

BRITISH FOREIGN POLICY. By Sir Edward Grigg,

M. P. Hutchinson. 7s. 6d.

كان سير إدوارد جريج سكرتيراً خاصاً لمستر لويد جورج في خلال عامي ١٩٢١ و ١٩٢٢  
فأمله ذلك الى الوقوف على داخلية السياسة الامبراطورية في اثناء ذلك الزمن الذي عدل  
السياسة الاوربية بما جعلها مقدمة للحرب العالمية الثانية التي بدأت في ١٩٣٩

ونظريته التي يدور من حولها البحث في ذلك الكتاب هي قوله بأن الخطأ الاكبر الذي  
ارتكبه الحلفاء في عهد السلام الاول ( أي عتب الحرب العالمية الاولى ) هو إرهاب فرنسا ،  
كان هذا الارهاب نتيجة لسوء تقدير المآثيا من ناحية بريطانيا والولايات المتحدة من جهة ،  
واقصاء روسيا عن الميدان السياسي من أخرى .

وأخذاً بهذه النظرية يضي في محمته مستهيداً بهذه النظرية الواقعية ، حاثاً على ان لا تنب عن  
أذهان الساسة في تدعيم نظام السلام الجديد ، وان تكون القاعدة التي تائم بها بريطانيا خاصة  
والامم المتحالفة عامة

ولا ريب في أن الشرق العربي بعد هذه الحرب وتكوين جامعة الامم العربية وفوز اكثر  
شعوبه بتوع من الاستقلال السياسي ، ينبغي ان يوجه اهتماماً اكبر الى السياسة الاوربية ،  
باعتبارها عاملاً مؤثراً فيه ، يتعم اذا سادها السلام ويألم اذا اضطربت أحواله . ولقد يأتي  
يوم إذا فهنا اتجاهات السياسة الاوربية على حقيقتها ، أن تصمح عاملاً فعالاً في توجيه نواحي  
منها ، هي النواحي ذوات العلاقة المباشرة برهاية الشرق وتقدمه سياسياً واقتصادياً .



## الصباح

أطلّ الصباح وثوبُ الدُّجى على الأرض منعقدٌ مسبلٌ  
 فُلّت يدُ الصبح ما أحكمت يدُ الليل نَسْجاً وما تغزلُ  
 وحالت بهيم الدُّجى مجراً بمنهمٍ من لظى يهملُ  
 فلتنور إثر الرُّبى منهلٌ يسيل ودون السما مشعلُ  
 تنفست الأرض عند الضحى كأنّ جناح الدُّجى الجندلُ  
 وساور عطف الرُّبى هزة من الطّيش واصطفق الجدولُ  
 وللغصن من مَرَح رقصه وللطير قرآنهُ المنزلُ  
 وللريح في الروض شكوى الحزين إذا عصف الوجد في الأضلع

\*\*\*

تدفق بالنور رجبُ القضاء تدفّق سيلُ جرى واصطفق  
 إذا عصف الضوء في جانب من الأفق خلت خضماً غدقُ  
 وتحسب ما أحرّ من غربه حريقاً يشبُّ بمجنح الغسق  
 أو البرق أومض خلف الدجى على غاربٍ من لظى وأنتلق  
 وإنّ قدحَ الفجر أضواءه حسبت إزار الظلام احترق  
 فما كنت تعلم من روعة أبحر طغا أم حريق دفق  
 تساقط نظم جُمان الضياء تساقط غيث بليل ودق  
 فهبت طيور الرُّبى في الضحى تُرجع أنشودة الموضع

\*\*\*

تنهت الأرض من هجعة على غمر ضوء الضحى المشرق  
 فحاشت بأعطافها سورة من الوجد والأمل الشيق  
 وكادت لِمَا جاش في صدرها من الشوق تجهر بالمنطق



وتلقى الأزاهر قد فتحت  
تراقب ما سال فوق الثرى  
فتنكس بالرأس كالمطر  
وتملك أعطافها هزقة  
وموج الضحى زاهر غربه  
على يانع الشفق الممتع

\*\*\*

جری ذائب الفجر فوق الثرى  
إذا لمع الضوء في جدول  
فما كنت تدري أماء جرى  
تلاطم ذوب انصار الضحى  
وإن راحت البهائم تبغي الورود  
تري البهائم من حيرة أمسكت  
فلم تك تدري أماء يسيل  
فيمسكها الشك مما رأت  
كما لو بأرض خضم زخر  
حسبت به قبساً من شرر  
على الأرض أم اجّة من سقر  
تلاطم سيل بقفر هدر  
لتظفي بالماء جمر الوحر  
عن الماء مما رأت من صور  
أم النور يلمع لمع الدرر  
وتدفعها ذلة المطمئع

\*\*\*

أرى الكون من جذل بالضحى  
وأشرق بالبشر تغر الزمان  
وراح الهزار على غصنه  
وماست على نغات الهوى  
ولكن قلبي لا يأتي  
يحن إلى عهده الغابر  
ويخفق في أضلعي كالديبج  
إذا بارق شع في مقلة  
تبسم عن أمل زاهر  
وشعّت به بسمه الظافر  
يرجع لحن الهوى الساحر  
غصون بقادمتي طائر  
من الوجد يزفر كالنار  
ويكي على ربه الدائر  
تقننصه مخالب الكاسر  
تساقط من شجن مدمعي

عدنان مردم بك

دمشق



بحث معجمي : في الفلسفة واللاهوت

## الافلاطونية الجديدة : Neo-Platonism

١ — مذهب فلسفي وديني ، يتألف من مزيج من الآراء الافلاطونية ومبادئ من التأله الشرقي . وكانت نشأة هذا المذهب في الاسكندرية خلال القرن الثالث الميلادي ، ومن أكبر رؤوسه أفلوطين Plotinus الذي يدعو العرب « الشيخ الاسكندري » وفرفورئوس الصوري Porphyry ، وإفروقولوس Proclus : ويقول العلامة « ليسكي » Lecky إن الافلاطونية الجديدة وضروب الفلسفة المتصلة بها ، كانت في جوهرها وحديّة. (١) ففى بذلك في كتابه تاريخ الخليقات الأوربية .

Neoplatonism and the Philosophies that were allied to it were fundamentally pantheistic.

٢ — يقول أوس G. H. Lewes : إن ما في هذا المذهب من التجديد ينحصر في اتخاذ الجدليات الافلاطونية مرشداً (١) في بحث التأله (٢) والوحديّة (٣) (ب) وفي جعل العقل مبرراً للعقيدة (ج) وأن معتقيه من حيث الجدليات كانوا أفلاطونيين ، ومن حيث فكرة التثليث كانوا تألهيين ، ومن حيث مبدئهم في الفيض أو الاشراق (٤) كانوا وحديين ، أي من أصحاب القول بوحدة الوجود .

(٣) تدرجت الافلاطونية الجديدة في أدوار ثلاثة : الاول : عصر أمشونيوس سقاس (٥) وأفلوطين في القرن الثالث ، والثاني : عصر فرفورئوس الصوري وإيامبليخوس (٦) في القرن الرابع ، والثالث : عصر إفروقولوس .

وقد انقرضت مدرسة الاسكندرية في عصر يوستننيانوس (٧) (٤٨٣ — ٥٦٥) م . وعن دائرة المعارف البريطانية :

With the exception of Epicureanism, which was always treated as the moral enemy of neoplatonism, there is no outstanding earlier system which did not contribute something to the new philosophy. Encycl. Brit. (9th Ed.) XVII, 333.

ومن هنا يتضح أن كاتب المادة في المَعْلَمَة البريطانية يعتقد أن الايقورية اعتبرت العدو

Ammonius Saccas (٥) Emanation (٤) Pantheism (٣) Mysticism (٢) Pantheistic (١) Justinian (٧) Iamblichus (٦)



بحث معجمي : في الفلسفة واللاهوت

## الرهبانية : Monasticism

اشتقاق اللفظ الاعجمي Monastery من اللاتينية Monastrium ومن اللفظ اليوناني ( Monasterion ) ومعناه فيها مكان منقطع أو منفرد . ودلالته المعجمة تنصرف الى أشياء : (١) النظام الخاص الذي اتبعه جماعات دينية مراعية فيه شرائط الفقر والعزوبة والطاعة العمياء للرئيس (٢) نظام الرهبانية وأساليبها (٣) حالة العيش على أسلوب الرهبان بالانقطاع عن الدنيا (٤) نظام من نظم الحياة قائم على المعيشة في عزلة عن الناس . والرهبانية في معناها الأوسع الأخذ بقواعد النساك Ascetism والتأله Mysticism وليست الرهبانية وليدة النظام المسيحي ، فقد عرفت ومورست في الهند وأقاليم آسيوية أخرى ، حيث نظمت تنظيمًا عظيمًا . ولم يمزف الاغارقة هذا النظام ، وإنما عرفه اليهود قبل العهد المسيحي . ثم ظهر ثمانية في المسيحية عندما امتنع الرجال والنساء عن الزواج ، وأكل اللحوم وشرب الخمر ، ووقفوا أعمارهم على ضروب من العبادات وحب الصدقات . ثم حاش النساك Ascetics معتزلين العالم ، وكنهوا في مصر في منتصف القرن الثالث ، وانتشرت دعوتهم في غربي أوروبا في عهد القديس أنثاسيوس ثم القديس بندكتوس ، وهو الذي وطد دوائمه هذا النظام في الغرب .

الاول للأفلاطونية الجديدة ، وأنه فيما عداها لم تترك الأفلاطونية الجديدة من مذهب سبقها لم تأخذ منه تتفًا وأطرافًا .

(٤) قوام هذا المذهب الفلسفي عناصر أفلاطونية مدخولة بمعتقدات شرقية . وتأثر في عصوره المتأخرة بفلسفة فيلون<sup>(٨)</sup> والأدرية<sup>(٩)</sup> والنصرانية . وقد أيد الأفلاطونية الجديدة بصورتها الاولى كثير من أعلام النصرانية مثل كليمان<sup>(١٠)</sup> الاسكندري وأوريجن<sup>(١١)</sup> ، وقد ختم تاريخ هذا المذهب في القرن السادس المسيحي .

(٨) Philo (٩) Gnosticism (١٠) Clement (١١) Origen

وإذا أردت التوسع فارجع الى مادة Justinianus : في معجم الاعلام القديمة تأليف Smith والمعجم الانسيكلوبيدي Encyclopaedic Dict. ص ١٨ ج ٥ ومعجم سنشوري Century Dict. ص ١٢١٩ ج ٢ مادة Consul & Consulship وفي غلق مدارس أثينا في عصر يوستينيانوس عد الى تاريخ مؤرخي العالم Historians History of the World ص ٨٥ ج ٧ ، وعن أوريجن عد الى الجزء الاول من تاريخ الكنيسة المعربة History of the Church of Egypt تأليف E. L. Butcher



# نهضة أوروبا في القرن الثاني عشر أساسها اللاهوتي ثم الفكري

تدرجاً وعلى مر العصور ، وضعت أوروبا أساس حياة ثقافية خاصة بها . ولقد زودت الزراعة شعوب الغرب بفضل من الرفاهية ، تحولت نزعاً الى اجتناء ثمرات بعيدة عن مجرد الحاجات الموضعية . فنمت المدن ذوات الأسواق واتسعت لتبادل السلع الأهلية وتوزيع البضائع السكّالية المجلوبة من الشرق . ومع وجود أهل المدن وانتشار الرفاهية والمصالح المادية بدأ التطلع العقلي فحقق وجوده ، وأثبت ذاتيته ، بالنظر في العقائد السائدة ، والولع الروحي نحو الحكمة المفقدة .

لقد بدأ تسارع الحياة الروحية بتأسيس دير كلوني Cluny العظيم في القرن العاشر ، فأدى الى الاصلاحات التي بدلت الكنيسة من نظام موضعي ، الى نظام بابوي شامل فيه عشرات من المؤسسات التي آنس الناس في ظلها متسعاً لسد حاجات التطلع العقلي والنفسي ، وكانت في العصور المظلمة نظاماً قام على دير هنا ودير هناك ، استقر فيها ديارون انصرفوا الى المخطوطات القديمة يستعمقون في طياتها ، كلما سمحت لهم ظروف الفراغ من قطع أشجار الغابات أو زراعة الأرض ضاعف ذلك من عدد أولئك الذين تسلطت عليهم الشهوة العقلية ، كما هيأت البيئة لتفريخ الميول الجديدة في الفكر . فنشأت ثقافة شعبية تبدت في أدب الغناء والقصص حتى غزت القصور الاقطاعية وبيوت الأثرياء من التجار في المدن . أضف الى هذا أن مجازفة التوسع التي نعرفها باسم الحروب الصليبية ، كانت مبدأ احتكاك الكثيرين من أهل الغرب بالحضارات الشرقية الراقية ، لحضارة العرب والبربر ، كما كان غزو قوات الصليبية الرابعة لمدينة القسطنطينية (١٢٠٣ — ١٢٠٤) أول تماس فعلي لرجالها بحضارة إغريقية وبالحرى بحضارة الروم .

ولكن مهما كان لهذه الحوادث من قيمة وأهمية ، فإنه خليق بنا أن نعترف انه ليس من احتكاك أو نظام ، كان السبب في بلوغ الشعوب الغربية حد الرشده ، بل كان السبب في ذلك نماء الجمعية الأوروبية في العصور الوسطى ، نماءً مطرداً وإن كان بطيئاً ، وبخاصة في حياتها الاقتصادية . منذ بداءة القرن الثاني عشر وفي أثناء القرن الثالث عشر ، استطاع رجال أوروبا الغربية



أن يقيموا حضارة فيها نظام وفيها ألفة وتجانس. وإذا سقنا القول في مجمل العقائد والمعاملات، فإنا نشير بذلك عامة إلى الحياة الثقافية في القرون الوسطى. وأنه لما يثير العجب أن ذلك العصر قد شهد أول خطوة خطتها الشعوب التي تحكم الآن كرة الأرض، نحو تنشئه ما يقال «بجتوز» إنه «حضارة» أو «ثقافة». ولن تقع على فترة، حتى ولا على لحظة واحدة منذ نهضة القرن الثاني عشر حتى الآن، يمكن أن يشار إليها فيقال إن قوى التطور في الغرب قد وقفت فلم تتابع سيرها، أو أن النماء العقلي والاقتصادي قد تبدل فصار حياة سكون أو همود في حياة تلك الشعوب، أشبه بذلك الذي شهده في حياة الصين والهند أو الشرق بوجه عام، أحقاباً برمتها في التاريخ.

لقد عملت الطاقة البشرية، كما عمل الذكاء الانساني منذ ذلك العصر، فعدل وبديل، وازاد وأربي من وراثات تلك الشعوب، ثم تسارع ذلك فبلغ في هذا العصر أعظم مبالغة. ولا شك في أن هنالك آراء عامة وأخرى رسيمة من الآراء التي امتازت بها العصور الوسطى كما كان هناك وجهات من النظر، ظلت جامدة نسيباً، ومضت ثابتة قروناً عديدة. هذه الآراء والمثاليات، هي بذاتها وفي الحق، أساس النصرانية الحديثة ومنتهاها. ولقد ظل كثير منها رسيماً في معتقدات العديد الغالب من الناس حتى الجيل الفارط، ولقد قيل بعضها، فاتخذ على أنه من الأشياء الجوهرية في عصرنا هذا.

فاذا وقف الرجل الغربي اليوم موقف من ينظر إلى العقل الاوربي في العصور الوسطى نظرة انه غريب عنه دخیل عليه، فإن ما وقع خلال الزمان منذ تلك العصور إلى اليوم من الانقلابات والتغيرات وما تخللها من تعديلات وفقت بين مختلف نواحي الفكر، لا يمكن أن تفهم حق الفهم إلا في ضوء الماضي وما فرط من عمر تلك الحضارة. والغالب أن أقوم طريق لتفهم حقيقة الآراء والعقائد، أن يفقه الباحث أنها ارتكاسات — reactions — برزت استجابة لعوامل خاصة.

أما وانا سوف نبدأ البحث بالقرن الثالث عشر، فواجب علينا أن نصور كيف تبدت الحياة الانسانية لأهل ذلك العصر، وماذا كان شعورهم تلقاءها. سوف نبين عما ظل ثابتاً مطرداً من مفصلات تلك الحياة وما تقوض منها وباد، كما اننا سوف بين عن تلك المستكشفات المتتالية التي بدلت من حياة دنيا العصور الوسطى وخلقت منها دنيانا التي نعيش فيها. قارن «أناطول فرانس» في كتابه «حديقة أبيقور» مبدئاً الفرق بين دنيا العصور الوسطى، ودنينا الحديثة، فقال:

لا شك يتورنا شيء من الانفعال اذا أردنا أن نصور عقل الانسان في العصر القديم، حيث اعتقد اعتقاداً لا يوهنه الشك أن الارض في مركز النظام الديوي، وأن كل الكواكب تدور من حولها.



أقد شعر تحت قدميه بأرواح الذين أصابهم اللعنة يتقلبون في النار المأ ، وربما قد خيل إليه انه رأى بعيني راسه ، وشم بذات أنفه ، أذخنة الكبريت تنبعث من جهنم ، مقلنة من خلال صدع من الصخور . فاذا رفع رأسه الى أعلا تقطع الى الافلاك الاثني عشر ، الى فلك العناصر وفيه الهواء والنار ، ثم أفلاك النمر وعطارد والزهرة التي زارها « دانتى » في يوم الجمعة الحزينة سنة ١٣٠٠ ، ثم أفلاك الشمس والمريخ والمشتري وزحل ، ثم النبة الزرقاء التي تلمق فيها النجوم كأنها المصابيح . ومن خلف هذه ، رأى بعيني عقله ، الماء التاسعة او الفلك التاسع مستقر القديسين ، ثم المحرك الاول او الفلك البلوري (١) ، ثم في النهاية المطهر (٢) مقام المتعمين ، واليه تتطلع نفسه بعد الموت ، ان يتلقفها ملكان بلبان البياض ، كالمو كانت نفسه في طهر الطفل الوليد ، فتفسل بالتعميد ، وتغط بزيت السر المقدس ، (٣) في ذلك العصر لم يكن لله من أولاد غير الانسان ، أما بقية خلقه فقد نظم بطريقة أقرب الى الطفولة ، وفي صورة شعرية ، فكأنها كاتدرائية (٤) عظيمة ، فاذا تصورنا الكون على ذلك ، ألفيناه بسيطاً ، حتى لقد تتخيله في مجموعته ويختلف صورته وحركاته ، كأنه جملة ساعات مصورة تحركها آلات .

اما الان فقد قوضنا الافلاك الاثني عشر ، وكذلك الكواكب التي كان يولد الانسان في ظلها سعيداً او شقيماً ، مشتري الحياة او زحليها . اما النبة الصلبة التي هي السماء ، فقد تهتت وتطايرت شظاياها في اعتبارنا ، وبذلك اخترقت العيون والافكار أغوار الكون اللانهائية ، فلا نجد اليوم ذلك المطهر ، مستتر الصالحين والملائكة ، قائماً من خلف السيارات ، بل مئات الملايين من الشمس ، تحوطها من الاقمار والتوابع ما لا تراه العين المجردة . وفي وسط تلك العوالم اللانهائية يقع عالمنا ، كأنه ذرة من غاز ، وأرضنا كأنها ذرة من طين .

العوالم تموت لانها تولد ، انها تولد وتموت الى غير نهاية . والخلق ، يحكم انه ناقص وبميد عن الكمال ، لا بد من أن يعتمده التغير بغير انقطاع . ان الشمس تنطفئ ، فلا تندر ان تقول اذا كانت بنات الضوء هذه ، تبدأ بموتها على هذه الصورة ، حياة أخرى في صورة سيارات ، فتكون حياتها الجديدة حياة مفيدة نفمة بالخبر ، كما لا تندر أن تقول ما اذا كانت السيارات قد تنحل فتصير شمساً تارة أخرى . كل ما نعرف ان السكون غير كائن ، لا في السماء ولا في الارض ، وان سنة العمل والجهد ، تحكم العوالم وتقدر مصايرها الى ما لا نهاية .

هنالك شمس انطفأت امام أعيننا ، وأخرى تومض بضعف كأنها لهب شمعة كادت تذهب . أما السماوات ، التي خيل للناس انها ثابتة لا تتغير ، فلها لا تعرف شيئاً من معنى الابدية ، الا ابدية انها مسوقة في مجرى الاشياء .

The Garden of Epicurus, by Anatole France.

غير أن أهم ما يدور بأذهاننا عن ذلك الكون المركب في هيئة صندوق ، والذي تخيله عقل الانسان المـخـلـصـط في العصور الوسطى ، إنما هو الغاية الأساسية التي من أجلها وجد غاية أن يكون مسرحاً لتمثيل تلك المأساة التي هيأها الله لسلالة آدم . ومهما يكن من أمر معرفة الانسان في العصور الوسطى وضيقتها ، فان الشك لم يتسرب الى نفسه إزاء أمر واحد : هو أن الأرض والسماوات وكل الأشياء التي فيهن ، قد خلقت له حتى يحى حياته ، ويصطنع فيها مصيره الأخير .

أما رواية ذلك الخلق ، والمناظر المثيرة التي وقعت فيه ، والصور التي عبرت بجلاء عما قام في ذهن الانسان انه سوف يقع ، فكانت أشياء معروفة لديه مروية في أسطورة أو قصة ، فلات أفكاره وأفعمتها ، كما أفعمت صورها الكاتدرائيات العظمى ، نحتاً في الحجر أو تصويراً على الجدران .



على أنك إذا أردت أن تعرف كيف فقه الرجل الوسط الذكاء حقيقة التاريخ، وكيف أمل أن يكون مصير الانسان، فان الفيلسوف « صنتيانا » يروي لنا في قالب طريف، أخذاً من الصورة التي أثبتتها الأسقف « بوسويه » في كتابه « بحث في التاريخ العام »<sup>(١)</sup> الذي ألفه في أواخر القرن السابع عشر، واليك ما قال :

كان في البدء، على ما تروى القصة اللاهوتية، ملك سماوي عظيم، تحيط به حاشية ذوو أجنحة من موسيقيين وأتوار<sup>(٢)</sup>. وجد ذلك الملك من أزل الأزليين ولكنه كان مصمماً خلال كل أزليته وعندما تأتي الساعة المناسبة، أن تخلق كائنات زمانية<sup>(٣)</sup> على أن تكون صورة ناقصة منه بنسب متفاوتة. هذه الكائنات، التي كان الانسان أعظمها شأنًا، بدأت سيرتها الأولى سنة ٤٠٠٤ ق. م. وانها سوف تعيش زمناً غير محدود. ولكن يحتمل أن الاتساق الزماني سوف لا ينضم حتى تهيء سنة ٤٠٠٤ بعد الميلاد.

إن هذه المأساة قد بدأت، وسوف تختتم، بصورتين فيهما نخامة وروعة. فأول شيء، وطوعاً لكلمة الله، أخذت الشمس والقمر والنجوم والأرض، مع ما يتبعها من نبات وحيوان، مركزها المقسوم لها، وطفرت الطبيعة الى الوجود بكل ما فيها من السن والقوانين، وخلق الله أول انسان من طين، وخلق أول امرأة من أحد أضلاعه، عندما كان في نوم عميق ووضع الاثنين في حديقة حيث كان في مستطاعهما أن يريا الله الفينة بعد الفينة، وحيث كانا يتنزهان في رطوبة المساء. وجعلهما يتبوآن منها حيث يشاءان وأن يأكلا من ثمارها التي غرسها فيها، وأمرهما أن لا يقربا شجرة معينة، ولكنهما بتغريير شيطان، انتهكا ذلك الأمر، فأخرجنا من هذا الفردوس تتبعهما لعنة الله. فالرجل يعيش بعرق جبينه، والمرأة تحمل وتلد وتئنم. والأولاد الذين يلدونهم يرثون، منذ أن يستقروا في رحم الأم تلك الطبائع المسفة التي اكتسبها أبواهم انما هم ولدوا ليخطئوا ويجدثوا الموت والفوضى، حينما يكونون وأينما يكونون، في أنفسهم، وفيما حولهم من الأشياء.

ولكن الله، حذر أن يندثر ذلك العمل الذي عملت يداها، صمم أن يستنقذ بعض بني آدم ويردهم الى الحياة الطبيعية. على أن هذا الاستنقاذ كان سيحدث في النهاية مع أخفاد حواء، الذين قدر لهم أن تطأ أقدامهم رأس الأفعى<sup>(٤)</sup>. ولكن هذا الاستنقاذ كان سوف يقع بحوادث جزئية سبقت في علم الله. فكان لا بد من أن يستنقذ نوح من الطوفان، ولوط من سدوم، واسحق من التضحية، وموسى من مصر، والاسرى اليهود من بابل، وكذلك كل الذين يؤمنون بفساد الكفر والوثنية.

(١) Discourse on Universal History.

(٢) الانوار : الرسل، واحدها تور : رسول (٣) محدثة لا أزلية ولا ابدية

(٤) التي تشككت في صورة الشيطان وأغرت حواء وآدم على الاكل من الشجرة المحرمة.



هنالك قبيلة واحدة أخرجت/ من زمرة الانسانية منذ البداية لتكون حفيظة على كلمة الله مشيدة بذكره موصية بأحكامه ، محمية لوصاياه ، مذكّرة بوعوده ، في حين أن بقية الانسانية، قد نبذت، فسّطت عليها تقائصها الطبيعية وردائها النفسية، فضت تنحدر شيئاً بعد شيء في غور الجرائم والمغررات .

ان الطوفان الذي أرسل ليعسلهم من هذه الحماقات لم يفد فيهم شيئاً . جدد الطوفان الدنيا وبرزت الأرض بعده على صدر الماء مطهرة، ولكن هذا التجديد قد خلف من ورائه وبصورة أظلمة ، إثارات من الانتقام الالهي . فالى الزمن الذي حدث فيه الطوفان كانت الدنيا والخلوقات في خشونة تقاوم فواعل الطبيعة ، ولكن الله قد أمر أن نعم هذا الطوفان الأرض ويعطيها ، ويطول مكثه عليها ، فاعت كل العصارات ، فتشبع الهواء بالماء ، فنشأت بذلك زوائل جديدة ، واستحدثت بواعث أخرى من الفساد والقوضى ، ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل ان صلابة الخلق الأصلي أصابها ضعف ووهن ، فأخذت الحياة الانسانية تناقص في مداها ، بعد أن كانت حياة الفرد قد تبلغ ألف عام . وكذلك فقدت الأعشاب والجذور خصائصها الأولى وتأثيراتها القطرية ، فبدل طعام الانسان بطعام أخشن وأصلب ، وأكل لحم الحيوان .

خيم الموت على الحياة ، وشعر الناس بأنهم مأخوذون بالأيدي والأذقان . ولكنهم لم يزدادوا على مرّ الأيام إلا شقاوة وعناداً ، فكان من الطبيعي أن تلم بهم على الأيام شقاوات جديدة . ولقد قدّر عليهم تقييد طعامهم أن ينحدروا الى الفساد والتنكس ، ومع امعانهم في هذا وتمكن الضعف في نفوسهم ، زادوا نهماً وتعطشاً للدماء .

من ثمّ كان في الوجود روحان ، أو فئتان ، أو كما قال القديس أوغسطين ، مدينتان ، في هذه الدنيا : مدينة الشيطان، وهي مهما بلغت من الفن أو الحرب أو الفلسفة ، فانها مدينة متكسة كفرة بعيدة عن التقوى . ان مسراتها ليست أكثر من قناع يحجب حقيقتها ، وجمالها طلاء كاذب . انها ملعونة في عين الرب ، كما هي ملعونة في عين التّقي لما فيها من غرور وقساوة وتعاسة منبثة في تضاعيفها ، وجهلها بكل ما ينبغي أن يعرف مما يؤهل بالانسان الى الخلود والحياة الأبدية .

الى جانب هذه المدينة كانت مدينة الله ، التي وعد بها أرواح أولئك الذين قدّر لهم الخلاص . كانت مفقودة في ذلك التيه الذي صورنا به مدينة الشيطان ، أو كانت على الأقل غير مستبانة إلا كسراب . هي مدينة مهما بلغ من استخفافها وتواضعها لأهل الأرض ، فان الموعودين بها وغاياتها وأصولها الأولى ، ثابتة في الانهاية . ممن وعد بهذه المدينة البطارقة والأنبياء ، أولئك الذين ظلوا طوال أعمارهم قاطنين صاغين الى تلك الايحاءات التي إن ظهرت



لهم أول الأمر ملتوفة بضباب البداية ، فقد انتظروا بصبر وجلد الخلاص الأكبر الذي لا بد أن يأتيهم يوماً ما . من أهل هذه المدينة أولئك الجوس الذين تتبعوا تنقل النجم حتى استقر فوق الخطيرة في بيت لحم ، وسمعان الذي توقع خلاص بني إسرائيل ، ويوحنا المعمدان الذي توقع مثل ذلك وشق طريقه الى الحق قويا مستقيماً ، وبطرس الذي لم يستشف ألوهية المسيح من قوى الجمه ودمه ، وإنما فاض الأب بها عليه من السماء . ذلك بأن الخلاص لم يأت إلا بعد أن تهيأ له الزمان ، وأنه ليس كما يقول اليهود الشهوانيون ، عبارة عن فعل دنيوي استردت به الأرض شبابها وقوتها ، بل حدث بتجسد ابن الله في مريم العذراء ، وموته على الصليب ، وهبوطه الى جهنم ، ثم رفعه الى السماء في اليوم الثالث من موته ، على ما تقول الأناجيل . والى هذه المدينة أيضاً ينتسب أولئك الذين يؤمنون برسالة المسيح وحقيقتها وأثرها ، والذين يلجئون الى فضله ويستمطرون هدايته ، ويتبعون وصاياه بكرامة هذه الدنيا وازهد فيها .

ليس التاريخ في حقيقته وماهيته إلا رواية الصراع الهائل الذي قام بين تينك المدينتين ويرمز لها بفضيلتين : إحداها طبيعية ، والأخرى فوقطبيعية . أو هما بالايجاز فضيلة الشهادة ، وفضيلة الغيب . أو هما فلسفتان : إحداها عقلية ، والأخرى وحيية . هما ضربان من الجمال : أحدهما جسدي ، والآخر روحاني . أو جلاتان : إحداها زمانية ، والأخرى أبدية ، أو نظامان أحدهما الدنيا ، والآخر الكنيسة .

المدينتان مختلفتان كل الاختلاف متنابدتان كل التنابد ، أجنبيتان في أساسهما ، إحداها من الأخرى ، برغم ما قد يلوح بينهما من الترابط أو التفاهم بعض الأحيان . ستظلان متنابدتين متجاذبتين أزماناً بعد أزمان ، حتى يأتي يوم الحصاد . وما يوم الحصاد ذاك إلا كمثل اليوم الذي تتفق فيه الحنطة والشيلم على اقتسام الأرض ، فينبت كل منهما في مكان يقسم له ، فيتفاهان بعد طول الصراع ، على اقتسام الأرض .

أما أولئك الذين اعتقدوا أن أشياء الدين إنما هي خيالية ولا حقيقة لها ، فسиров الله يوم الحساب ، وقد أخذتهم الرحمة ، هابطاً من سحب السماء ، والملائكة ينفخون في الصور ، وقد خرج الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر ، ليلقى كل منهم جزاء ما عمل ، فالناجون يدخلون في ملكوت الله ونعيمه ، تحف بهم حاشية ترتل الأناشيد حتى يصلوا الى عالم كله ضياء ، في حين يكون الذين أصابهم الالعنة يتضورون ألماً ، صارخين صاخبين ، منكسين في صور وحوش كريهة المنظر شائمة الوجوه ، تلقفهم نار لواحة للبشر ، لا تبق ولا تذر .

المدينتان في تناقض وتضاد ، في الحقيقة وفي الجوهر ، ولهذا فلا بد من أن تنفصلا في النهاية ، ولا بد لكل منهما أن تحمل ثمراتها الطبيعية نامة عن حقيقتها .



## المذهب العقلي : Rationalism

العقلي (ج : العقليون) Rationalist(s)

### المذهب العقلي : Rationalism

١ — المعنى العام : (١) الاعتقاد بتفوق العقل في الحكم على المعتقد والسلوك ، على العكس من القول بخضوع العقل لسلطان ما . (٢) التفكير الذاتي أي الحر .

في اللاهوت : (١) أسلوب يرمي إلى تفسير قضايا التاريخ المقدس القول أن فيه أثراً فوقيطبيعياً Supernatural بطريقة مطابقة للعقل . (٢) القول بأن العقل هو المرشد الاوحد في الحكم على المسائل الدينية . (٣) مبدأ استخدام التفكير العقلي في نقد مذاهب الدين . (٤) إخضاع المذاهب الدينية ، وتفسيرات الكتب المقدسة ، لنقد العقل الانساني أو الفهم ، ورفض القول بسلطان العقيدة على أنه مناقض للعقل وحرية الضمير .

٢ — في العصر الحديث : مذهب يؤيد النظريات والمبادئ التي تنكر الوحي ، سواء أكان فوقيطبيعياً Supernatural أو مفروضاً بسلطان ما ، ويقضي بأن العقل وحده ، دون احتياج إلى الاستعانة بالهام ، قادر على ادراك كل الحقائق الدينية التي يمكن ادراكها .

والمذهب العقلي باعتباره نظاماً لاهوتياً ، يقضي بأن العقل هو الحكم الوحيد بل العلة النهائية الصحيحة التي ينبغي أن تحكم في مشكلات الدين ومسائله . وبهذا يكون المذهب مناقضاً لمذهب التأله : Mysticism : القائل بأن في الانسان قوة روحانية تستعمل على موهبتي الادراك والعقل

أما باعتباره نظاماً مذهبياً اعتقادياً ، فيتضمن كل المبادئ التي قامت على الفلسفة العقلية . غير أنه يرفض السلطة المستمدة من الكتب المقدسة وأصول النصرانية ، القول باستمداها من الفوقيطبيعة ، في حين يسلم بفكرة وجود الله وخلود النفس على أنهما من الأفكار الترجيحية أو التفليدية ، ولكنه يقضي ، إلى جانب هذا ، بأن مبادئ الخلق Moral حقائق لا تقبل الجدل . أما من حيث تفسير الكتب المقدسة ، فالمذهب العقلي على أن هذه الكتب نفسها تؤيده وتضمن مبادئه ، فتتفق عنها عناصر القداسة والفوقيطبعيات واصطلاح « المذهب العقلي » Rationalism لا يخلو من غموض . ذلك بأن وجود استعماله ومدلولاته في الجدليات اللاهوتية الحديثة ، قد كثر التحوير فيها حتى امتدت إلى نواح غير محددة الاغراض والمعاني

٣ — في البعديطبعيات أو الغيبيات : Metaphysics

(١) الاعتقاد بوجود معرفة بديئية : a priori (٢) القول بأن المعرفة لا تتكون بفعل الاشياء الخارجية على الحواس لا غير ، بل يتألف بعضها من التكيف الطبيعي الذي يتكيفه العقل ، فيدرك الاشياء على وجهها الصحيح

### العقلي : العقليون : Rationalist

(١) المعنى العام : من يتمتع وحي العقل ، ويرفض الخضوع للسلطان في التفكير والتأمل . (٢) من يعتقد في استعمال العقل على القول والمأثور . (٣) من له كفاية التفكير العقلي . (٤) مجهز بكفاية العقل . (٥) من في قدرته أن يستخدم كفاية العقل بأسلوب صحيح . (٦) فاره (١) في الحكم على حقيقة الاشياء . (٧) عاقل . (٨) رشيد .

(٢) عقليو النصاري : من يعتقدون أن كفاياتهم العقلية فوق تصورهم النصرائي . في اللاهوت : من يطبق قواعد النقد العقلي على كل ما يقرر بسلطان البعديطبيعة أو قداسة الوحي ، وعلى التعيين أحد رجال المذهب أو الحزب الذي ظهر في ألمانيا في القرن الثامن عشر ، ومبدؤه الاول الاستمسك بأن العقل الانساني مستقل بذاته ، وأنه من غير استعانة بضرب من الوحي القدسي ، في مستطاعه الوصول إلى الحقائق المسكنة ، وأن الكتب المقدسة مادة أولية للوصول إلى الحق . من طريق البحث والمقارنة والاثبات والنفي ، وليست وحياً منزلاً .

(١) فره ككرم : فراهة وفراهمية : حق ، فهو فاره بين الفروهة ج فره كركع : التاموس (٤: ٢٨٩)



# الوساطة والمحسوبة

## والاستثناء

الوساطة هي التوسط بين اثنين طالب ومطلوب منه، أو ذي حاجة ومن عنده الحاجة، والمتوسط يسمى وسيطاً وواسطة، وقد رُزقَ لفظ الواسطة هذا أكبر حظ من الذبوع والانتشار، فقاما يدور حديث حول قضاء المصالح والوظائف والأعمال في دواوين الحكومة بدون أن يجري لفظ الواسطة على الألسنة يراد به أحياناً الوسيط وأحياناً الوساطة، كأن يقال: لا بدّ من الواسطة: البحث لك عن واسطة: لا يقضى أمر إلاّ بواسطة: المدار على الواسطة: ونحو ذلك. والمفهوم من معنى الوساطة أنها تكون بين ثلاثة طالب ومطلوب منه ووسيط بينهما، والمفهوم من معناها كذلك أن يكون للوسيط دالة على من بيده الحاجة أو له عليه سلطان، وأنه يستطيع بهذه الدالة أو بهذا السلطان أن يضطرّ من بيده الحاجة إلى أن يتخلى عن إرادته وعزمه ويخضع لإرادة الوسيط وعزمه فيحقق رغبة الطالب.

والمحسوبة في العرف علاقة بين اثنين أحدهما محسوب ويكون صغيراً قدرأً، والآخر محسوب عليه ويكون كبيراً قدرأً، أما هذه العلاقة فهي قرابة أو مصاهرة أو صداقة أو خدمات يؤديها المحسوب للمحسوب عليه، وهذه العلاقة تقتضي أن يتخلى المحسوب عليه للمحسوب عن إرادته وعزمه ويخضع لإرادة المحسوب وعزمه بدون وسيط بينهما.

فالوساطة والمحسوبة يجتمعان في أن كلاّ منهما يضطرّ من بيده الأمر أن يتخلى عن إرادته وعزمه ويخضع لإرادة غيره وعزمه، ويفترقان في أن الوساطة فيها وسيط وأن المحسوبة لا وسيط فيها، والأصل فيهما مخالفة الحق والعدل.

والاستثناء في العرف هو مخالفة القوانين والقواعد في شؤون الدولة العامة كالتوظيف والترقيات والعلاوات والتنقلات وتوزيع الأعمال ونحو ذلك، وهو في ذاته حسن وضرورة لا بدّ منها لأن القوانين والقواعد العامة ناقصة إذ لا يمكن أن تشمل كل المستحقين فهو مكمل لنقصها. وإنما يذم الاستثناء إذا كان نتيجة للمحسوبة أو الوساطة ومخالفاً للحق والعدل.

ونحن — معاصر المصريين — لا نكاد نعول في جلب المصالح ودفع المضار إلاّ على لوساطة والمحسوبة. فالولد حيز يأبى والده أن يوافق على ما يريد يعتمد على منزلته عند



وهي من المحسوبة ويلج ، فان لم ينجح عمد الى الوسيلة الثانية وهي الوساطة ، فيبحث له عن واسطة من الأسرة أو من غيرها حتى يضطر الوالد الى الموافقة . وكذلك جميع آحاد الأسرة الأقربين والأبعدين . والمرءوس حين يأبى رئيسه أن يوافق على ما يطلب ولم يكن له عليه محسوبة يسارع الى البحث عن واسطة له دالة على الرئيس أو له عليه سلطان ، فيضطره الى الموافقة . وكذلك كل الناس فالزراع والصناع مع أصحاب المزارع والمصانع والمشتري مع البائع والمستأجر مع المالك والجمهور مع الحكام وغيرهم إذا أراد أحد من أحدث شيئاً لا يوافق عليه المطلوب منه ، ولم يكن للطالب على المطلوب منه محسوبة لجأ الطالب الى الوساطة فيقضى الأمر هذا شأننا يدرج عليه أطفالنا ويراهن عليه كبارنا في حياتنا المنزلية والاجتماعية منذ مئات السنين ، لأن حتى صار عقيدة راسخة وخلقاً ثابتاً فينا لا يكاد مصري يسلم منه ، فان أبى انسان أبى النفس أن يستغل المحسوبة أو أن يستعين بواسطة على قضاء ما يريد لا يسلم من أن يرغمه غيره ارغاماً على أن يتوسط له في أمر أو أن ينزل على ارادة وسيط إن كان ممن يبدم الامور . انها خلة عامة ، فقها تجد من لا يفكر في محسوبة أو في وساطة .

وهاتان الخلتان المحسوبة والوساطة من مستلزمات القرابة والصدقة والمصاهرة والصنيعة . فاذا رزق انسان جاهاً أو سلطاناً كان عليه أن يفكر فيمن حوله من الأقرباء والاصدقاء والاصهار وذوي الخدمات ممن يعلقون عليه الآمال ، والويل كل الويل له اذا تخلى عن واحد منهم فلم يؤثره بخير لا يستحقه الاً لانه قريب أو صديق أو صهر أو ذو خدمات ، والويل كل الويل لكل واحد من هؤلاء إذا لم يتوسط لدى من رزق هذا الجاه او السلطان لمن يطمع في وساطته عنده .

وان من مستلزمات هاتين الخلتين الذميتين المحسوبة والوساطة في الأصل انجاز المطالب المنافية للحق والعدل . وإذ كان الجمهور المصري يدين بهما فقد أصبح من بيده حق من حقوق الناس لا يردده لاصحابه إلاً بواحدة منهما بالمحسوبة أو بالوساطة . فكثيراً ما تبقى الحقوق معطلة حتى تنجزها المحسوبة أو الوساطة ، وبذلك أصبحت المحسوبة والوساطة وسيلتين لقضاء المصالح ما كان منها باطلاً وما كان منها حقاً .

وإننا لندفع ثمن هاتين الخلتين الذميتين فاحشاً فادحاً لانهما شر معاول الهدم للنظام الاجتماعي وأساسها ، إنها تستل بناءه حجراً فحجراً ، حتى تأتي عليه من القواعد بما تجني على الطاب والمطلوب منه والوسيط وعلى الامة .

فأما المطلوب منه فانه يضطر الى أن يتخلى عن ارادته وعزمه ويخضع لارادة غيره وعزمه فينقض اليوم ما أبرمه أمس ، أو يرم اليوم ما نقضه أمس ، ويغير ما عقد عليه النية وأمر عليه



من قول أو عمل، فإن كان ما رجع عنه هو الباطل وما رجع إليه هو الحق، فهو مذموم لأنه لم يتجر الحق والعدل في أعماله حتى جاءه المحسوب أو الوسيط فردّه إلى الصواب، وإن كان ما رجع عنه هو الحق وما رجع إليه هو الباطل فهو أذم لأنه قوض بيديه وهو عالم علمد أركان الحق والعدل وأقام على أنقاضها صروح الظلم والباطل وآثر إرضاء المحسوب أو الوسيط طمعاً في خير يرجوه أو اتقاء لشر يخشاه على إرضاء ضميره.

وقد يتفاهم شر المحسوبة والوساطة فيضطر بعض القابضين على أزمة المصالح العامة إلى أن ينظروا إلى هذه المصالح بمنظارين أحدهما يرون به الناحية العامة التي يجب أن يقصدها والآخر الناحية الخاصة وما قد يكون فيها من إرضاء هذا أو اغضاب ذاك، وما قد يكون في هذا أو ذاك من خير يرتجى، أو شر يتقى، فيؤثرون من تلقاء أنفسهم المصالح الخاصة على المصالح العامة ويصبح هذا دأبهم وفي هذا وحده شر الأضرار تصيب المطلوب منه أولاً والأمة ثانياً.

وأما الوسيط فقد يضطر إلى الكذب والخديعة والملك والنفاق ويقف مواقف المذلة والهوان، وقد يمتلئ غروراً ويضرب على الاستخفاف بالمصالح العامة وإثارة المصالح الخاصة عليها وأما الطالب فإن كلا من المحسوبة والوساطة تمت في نفسه خير الخلال وهي الاعتزاز بالنفس والثقة بها والاعتماد عليها دون غيرها في جلب المصالح ودفع المضار، ومن راض نفسه على احداها باء بالخسران المبين، لأنه ينصرف عن خير وسائل التقدم والرفعة في هذه الحياة الدنيا، وهي الجد والاجتهاد وتوخي أمثل الطرق للنجاح.

وفيما يصيب هؤلاء الثلاثة من أذى، أذى أبلغ للأمة بما يتضافرون عليه من هدم الحق والعدل وهما أساس الملك، وبما يجنون على أنفسهم من آثار المحسوبة والوساطة السيئة وهم أعضاء في جسم الأمة، والجسم إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فعليهم وعلى الأمة معهم يقع وزر هاتين الخلتين الذميتين المحسوبة والوساطة وما ينشأ عنهما من استثناء وغيره، لأنهما من الخلات المتأصلة فيها، والأمراض الويلة الفتاكة بها، وهي غافلة عنهما لا تفكر في أصباها وفي القضاء على هذه الأسباب. وإذا حمل من بيده الأمر إذا خالف الحق والعدل منكرهاً تحت تأثير الوساطة نصيباً من الوزر، فإن الوسيط إذا ألح وأصرّ يحمل نصيبين، وصاحب الحاجة إذا كان في غنى يحمل ثلاثة، والأمة تحمل ستة أنصبه تعدل أنصبه الثلاثة.

أما أسباب نقشي هاتين الخلتين الذميتين فينا فيمكن إجمالها في ثلاثة :  
السبب الأول — الحكم الفردي المطلق الظالم : فالحاكم المطلق الظالم يستأثر بكل خير في



البلاد ولا يختص بما عنده منه إلا للمقررين ذوي المحسوبية ومن يتخذ من هؤلاء المقررين ومن غيرهم من وسطاء. وهذا من شأنه أن يحمل الناس على الذل والخضوع لمن بيده السلطان لتكون لهم عليه محسوبية ومن لا يُوفق لهذه المحسوبية يلجأ إلى الوساطة.

وقد قضت مصر التعسة القرون الطوال تحت هذا الحكم الفردي المطلق الظالم في أكثر عهوده، وأقرب هذه العهود من عصرنا الحاضر العهد التركي الذي دام خمسة قرون ونحو نصف قرن. ثم عصر الاحتلال البريطاني، فأى بيئة أخصب من هذه البيئة، وأى ظرف أصالح من هذا الظرف، لا تتعاش هاتين الخليتين المحسوبية والوساطة اللتين يُنال بكل منهما ما عند الحاكم الفردي الظالم من خير ويتقى بكل منهما ما يخشى منه من شر.

وقد عاش أجدادنا العرب كسائر الأمم القديمة بالحكومة الفردية المستبدة الظالمة. وكان أحاد الأمة لا يعولون في جلب الخير لأنفسهم وفي دفع الشر عنها إلا على الزاني والمحسوبية عند أمراءهم وعظماهم ممن بيدهم تقصيرهم وضربهم من البشر، أو على التوسط بمن هم أعلى منهم حرمة ومنزلة عند هؤلاء الأمراء والعظماء، فأى ظرف أصالح من هذا الظرف، وأى بيئة أخصب من هذه البيئة لا تتعاش هاتين الخليتين الذميتين، المحسوبية والوساطة في أجدادنا العرب وقد تجاوز أجدادنا الفراعنة مراتب السيادة الانسانية إلى مرتبة السيادة الالهية فكان كل فرعون ملكاً وإلهاً معاً بيده ملكوت السموات والأرض وحياة الناس في الأولى والآخرة. لا يتحرك مصري حركة ولا يسكن سكنة إلا إذا طلب المعونة من فرعونه، ملكه وإلهه معاً، بالزاني والمحسوبية إن كان ممن يستحقها أو بوساطة واسطة من هؤلاء المقررين المحسوبين وهم الكهنة فأى ظرف أصالح من هذا الظرف، وأى بيئة أخصب من هذه البيئة لا تتعاش هاتين الخليتين الذميتين المحسوبية والوساطة في أجدادنا الفراعنة.

فنحن — معاصر المصريين — في ماضينا القريب وفي ماضينا البعيد، من ناحيتي أجدادنا العرب وأجدادنا الفراعنة، عشنا عيشة ملائمة كل الملائمة لا تتعاش خليتي المحسوبية والوساطة الذميتين كل الاتعاش.

السبب الثاني — فساد التربية فساداً عاماً شاملاً :

فأما التربية العقلية فقد ترك العامة وهم سواد الأمة الأعظم في جهالة جهلاء وضلالة عمياء لا يعرفون القراءة والكتابة ولا يعرفون ألزم ما يلزم من الحقائق العلمية التي تكتنفهم آثارها وتقوم عليها أعمالهم، ولا من الحقوق والواجبات الوطنية فانقطعت صلتهم بالحياة انقطاعاً تاماً وانبعثوا في ميادين البدع والخرافات والأوهام والضلالات الواسعة انبعث الحُمر الضالة يلجئون في أئنف الأشياء وفي أشد الحن إلى من يتوهمون فيه النفع والضرر



لا من الأحياء فحسب ، بل من الأحياء ومن الأموات متخذين عندهم الزلفى والمحسوبة أو الوساطة ، ولعل ذلك من آثار وثنية أجدادنا العرب والفراعنة .  
وأما التربية الجسدية فلا وزن لها ولا رعاية وإن سواد المصريين الأعظم لفي معيشة ضئيلة غذاء ولباساً وفراشاً وغطاءً ومساكن ونظاماً ، وهم من ذلك في ضعف جسدي شديد وفي أمراض قتالة . وحسبنا أن الفحص الطبي للتجنيد أثبت أن تسعين في المائة من المرشحين للتجنيد لا يصلون للجندية لضعف أجسامهم وضعف الجسم من شأنه مع ذلك أن يضعف النفس والعقل ويعوق الضعيف عن الكسب ويضطره إلى الاستعانة بغيره بالزلفى والمحسوبة أو بالوساطة لأجل أن يعيش .

وأما التربية الخلقية فليست أحسن حظاً من أختها بل هي أسوأ منهما لاهمالها وللهاول التي تهدم بنائها كالشهوات التي ركبت فينا فهي تدفعنا إلى ما يرضيها ، وقد يكون محظوراً ، ولما يكتنفنا من مغريات ومفاسدات ، ولما لاضمحلال الأجسام والعقول من تأثير سيئ في الأخلاق ، وأبرز ما في أخلاقنا من عيوب الاتكال . إننا أمة لا تعرف معنى ولا سبيلاً إلى التربية الاستقلالية فكلنا ، عامة وخاصة ، إلا من عصم الله ، إتكاليون نعتمد في حياتنا على غيرنا لا على أنفسنا ، وهذا الاتكال أكبر باعث على التماس الزلفى والمحسوبة والوساطة ولعله أثر من آثار الوثنية وسوء فهم التوكل في الشريعة الإسلامية .

والسبب الثالث — هو الفقر : والفقر لا يكون إلا عن عجز عن الكسب إما لضعف الجسم وإما لضعف العقل . والعجز عن الكسب يدفع الإنسان دفعاً إلى الاستعانة بغيره والاستعانة تضطره إلى الزلفى والمحسوبة وإلى التماس الوساطة .

من ذلك يتضح أن المحسوبة والوساطة وما ينشأ عنهما من إيثار من لا يستحق على من يستحق واختصاصه بالخير دونه مرضان قديمان متأصلان في الأمة المصرية تأصلاً عميقاً وأن لها أسباباً ثلاثة قوية كل القوة ، وهي الحكم الفردي الاستبدادي الجائر ، وسوء التربية بضروبها الثلاثة ، والفقر .

أما القضاء على هذه الأسباب فيكون بالوسائل الآتية :

الوسيلة الأولى : نشر التعليم وتعميمه بين الشعب كله بأكثر قسط منه ممكن ، فإن التعليم كفيل بأن يوقظ ما في أبناء الشعب من ذكاء ومواهب عقلية كامنة ويقوي مداركهم وينير بصائرهم ويعينهم على ترقية أعمالهم ومستوى معيشتهم وفي نشر التعليم وتعميمه معوان على القضاء على الفقر والمرض .

الوسيلة الثانية : نشر الصناعة وتعميمها وإن لنا في ميدان الصناعات مجالاً واسعاً كل



السعة، فالصناعة خير الوسائل لتربية الأمم لأنها تحيي روح الكد والعمل والنظام والتعاون والاعتماد على النفس والصبر واحتمال المتاعب والاحتيايل لحل المشكلات والدقة والدق السليم والتفكير وغير ذلك من جميل الصفات ، وهي فوق ذلك كله ترفع السواد الأعظم من الشعب من هوة الفقر التي ألقته فيها الزراعة .

الوسيلة الثالثة: رفع الأجور والاخت بنظام التأمين الاجتماعي وكفالة أبناء غير القادرين من الشعب باطعامهم وكسوتهم وتعليمهم .

الوسيلة الرابعة : إبقاء الحكم الجمعي المقيّد وهو الحكم الدستوري القائم الآن مع اصلاحه بتحريره من سيئاتنا ، فان أخلاقنا وعاداتنا وتقاليدينا طغت عليه فكادت تجعله حكماً فردياً في ثوب جمعي ، وحكماً مطلقاً في ثوب مقيّد ، وهذا الاصلاح لازم لذاته ولأن القوانين التي يضعها ويقرها المجلسان لاتصير جزءاً من الشريعة الاسلامية واجب الطاعة إلا إذا روعي في تكوين المجلسين ثلاثة أمور خطيرة . الامر الاول : حرية الناخب حرية تامة وهو لا يستطيع أن يملك هذه الحرية إلا بالحكومة العادلة وبتحريره هو من الفقر والضعف الجسدي والنفسي وبتعهاده القراءة والكتابة ونصيباً محموداً من الثقافة يساوي التعليمين الاول والابتدائي وشيئاً من الثانوي بدون لغة أجنبية . الامر الثاني : حرية النائب وهو لا يمكن أن يملكها هو الآخر كاملة إلا بقدر محمود من الثقافة وبقيام الأحزاب وهي عماد الحياة الدستورية على المبادئ ، لا على الأشخاص ، وباستقرار المجلسين وعدم تعرضهما للحل إلا بمضي المدة القانونية وبكف الناخبين وغيرهم إذا تعلموا واغتنوا عن ضغطهم على النواب بالطلبات التي تضطرم الى استجداء الهيئة التنفيذية التي يراقبونها ويوجهونها . الامر الثالث : أن يكون في كل من المجلسين فريق من علماء الاسلام العاملين الذين يعرفون الشريعة الاسلامية حق المعرفة ويعملون بها أصدق العمل ليبصروا المجلسين بما قد يخفى عليهما من أحكامها ليشمشي التشريع فيهما على ضوءها ويصير المجلسان بهذين الفريقين هم اولى الامر المقصودين بقوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » ويجب على المسلمين طاعتهم فيما يشرعون .

ولعلك تقدر بعد ذلك كله خطورة المحسوبة والوساطة وخطورة أسبابها ووسائل علاجها (١) .

عبر الله أمين

(١) في هذا المقال متبسات من مجلة المنار لصاحبها أخي وأستاذي السيد الامام محمد رشيد رضا



# الحيتان

Cetacea = Whales and Dolphins. From Gr. Cete = any monster  
or large fish, particularly a whale.

جاء في معجم الحيوان للمعلوف ص ٥٨ : « رتبة الحيتان ، حيوانات بحرية لبونة تشمل البال والهر كول وعجل البحر والعنبر والدلفين وغيرها » — وعن معجم شرف ص ٢٠٠ : « السيتيا ، الحيوانات القيطسية ، رتبة الحيوانات الثديية البحرية ، تشبه الاسماك ، منها العنبر : odontoceti والحيتان ذوات السنام الكندارة Hump-backed whales ، او الحدباء والدلفين والبال » اهـ . وقول شرف « السيتيا » خطأ في التعريب .

\*\*\*

الحيتان قبيلة (١) من الثدييات ذوات الرحم : monodelphia ، وتلقق بالفواره : Educabilia وتشمل الحيتان والدلفين والبال وغيرها . والعائشة منها اليوم قبيلتان (٢) : الاولى السننات : Denticete ، والثانية السيليات : mysticete . وأجناس هذه القبيلة وأنواعها كثيرة ، ويحصرها المواليدون عادة في عشر فصائل (٣) .

تتماز هذه الحيوانات بأل الحوض والاطراف الخلفية منضمة قليلاً أو كثيراً بحسب الاجناس ، ولها جسم يشبه جسم السمك ، معد للسبح في الماء ، وينتهي بذنب أفقي الوضع . والاطراف الامامية قصيرة ، أشبه بزنانف السمك ، ومن أصابعها أصبح يزيد فيه السلاميات على ثلاث ، والرقبة قصيرة . أما فقرات الرقبة ، فقد يكون عدد منها ملتصقاً بعضه ببعض ، وهذا العدد يزيد وينقص بحسب الاجناس . وهي من الحيوانات الثديية ، تلد وترضع صغارها ، والامهات من أروم ما يعرف في عالم الحيوان . ولقد عدد الاستاذ « بوراديل » : Borradaile : الصفات المميزة لقبيلة الحيتان ، وحصرها في أبواب هي : (١) الجسم مكون على غرار الاسماك ، وليس لها آذان ثابتة ، أو اطراف مؤخرية أو فرو . ولكن لها ادمة ناعمة هيؤها للسبح بسرعة خلال الماء .

(٢) الاطراف المؤخرية قد استحالت اعضاء دافعة لها وظيفة الزعانف الجنبية في الاسماك .

(٣) يغلب ان يكون لها زعنفة ظهرية .

(٤) للذنب اسطوانتان عريضتان يزيدان من قدرتها على السبح ، ولكنها أفقيتين ، لا رأسيين كما في الاسماك ، وبذلك تزداد قدرتها على حركتي الصعود والهبوط ، وهما حركتان ضروريتان لها ، لحاجتها الى استنشاق الهواء .

(٥) الحيشومان في اعلا الرأس ، حتى لا تحتاج إلى ارفع جزء من الجسم فوق الماء ، ويمكن سدها بجهاز خاص

(٦) الحلقوم مستطيل ويلتقي بالمتخزين المؤخرين ، فيكونان مسلكاً ينفذ منه الهواء إلى الرئتين ، وبذلك يمكن غلق الفم في اثناء التنفس تحت الماء .

(٧) للمجموع الوعائي صفات كثيرة : ritia mirabilia ، ويرجح ان تكون وظيفتها اختزان كمية كبيرة من الدم ، فينتج عن ذلك اختزان كمية كبيرة من الاكسجين .

(٨) وجود طبقة سميكة من الشحم تحت الجلد ، للاحتفاظ بحرارة الجسم ، فيعوض ذلك عليها ما تفقده من الحرارة بسبب تجرد الجسم من الشعر ، كما تجعل الجسم اكثر قدرة على العوم .

(٩) العظام خفيفة .

(١٠) العيون صغيرة .

(١١) غدد الدمع والعرق واللعاب فاقدة ، إذ لا فائدة منها لحياء تعيش وتفتدي في الماء .



# تولستوي

ان البلاد الروسية التي خاضت غمار حرت طاحنة كانت ولا تزال وطن الادباء ومنبت الكتبة والشعراء الذين ظهروا كواكب لامعة فأثاروا حالك ليل من الجهل خيم على تلك البلاد طويلاً وهم كما قال فيهم كاتب فرنسي كبير « انه اذا وضعت الامبراطورية الروسية في كفة ميزان ووضع ادباؤها وشعراؤها في كفة أخرى رجحت كفتهم لانهم لا يكتبون بل يوحون، ولا يقولون بل يفعلون، فأدبهم هو وحي النفس والقلب المتألمين. فاذا غمسوا القلم فبيد القلب وذوب النفس » واذا ذكر ادباء الامة الروسية وفلاسفتها كان تولستوي الزعيم المقدم. او على حد التعبير الروسي انه « الرجل الواقف على برج الادب العاجي » وهاكم نبذة من حياته .

ان سنة ١٨٢٩ لم تنزل هاوية الابد قبل ان اكتحلت عينها بروية تولستوي طفلاً تحبوه آلهة الفن والآداب أثنى عطايها ، وشهر آب من تلك السنة لم تنصرم انقاصه قبل ان اودع ذمة الدنيا مولود الفسفة نابغة من نوابع العالم

في وياسانا يا بوليانيا، تلك القرية الصغرى المجهولة في رقعة البلاد الروسية ولد رسول الفن فاعتزت بعد خمول وشرفت بعد ضعة وأصبحت كبيرة بين البلاد الروسية بل بين بلدان العالم أجمع ان القدر، وما أمر قضاء القدر، شاء ان يلقي على هذا الطفل الدروس، غرمة ابوين متحدرين من أشرف البيوتات الروسية، فكفلته عمه له كانت له الام الرعوم، وظل يذكرها طول حياته. دعت له نخبة من الاساتذة فخرجوه في العلوم واللغات. ولما حان الوقت لدخاله الجامعة ارسل الى جامعة قازان. الا ان عهده لم يطل فيها اذ دعي الى الجندي دفاعاً عن وطنه. لان حرب القرم نشبت اذ ذاك. فخاض غمارها وشرى وباع على حد قول عنترة الفوارس. أوحى لنا تلك الحرب مواضيع عديدة عالجا بعقل الفيلسوف وقلم الاديب، فجاءت قصصاً متينة المبني بليغة المعنى شيقة الاسلوب، أو كما قال فيها احد المعجبين بها انها « وعاء ذهبي للحقيقة وبيت للحكمة » عرفت بقصص من سفستوبل

طارت شهرة هذه القصص في الآفاق الروسية وأقبل الناس على قراءتها إقبالهم على الماء النير ، وتوقعوا لكتابتها تسلم صولجان الكتابة ، فتم له ذلك وأصبح الهلال بدرأ كاملاً ولما وضعت تلك الحرب أوزارها عاد الى بطرسبرج او لينين غراد كما يدعونها اليوم ، واذا بنوادي الادب ودور الجامعات تتسابق الى دعوته وتحسب اقتسابه اليها شرفاً ما بعده شرف، وفتحت له قصور العظماء ورددهات الكبراء، فاعتزف من ملاذ الحياة بكتما اليدين وطابت له



مناهل تلك العاصمة الصاخبة بمظاهر الشرف والبذخ ، وقف على حياة الخاصة والعامة وما يتخلل الاولى من فساد وما عليه الثانية من بؤس وشقاء

فعاقت نفسه الحياة الاولى الجوفاء وعز عليه ان يرى الحق عبداً والباطل سيداً والرزيلة فضيلة والفضيلة معرفة وجوداً والنفس منغمسة في حمأة المفاسد ، فهجر تلك العاصمة ووجهته قريته المتواضعة ، فتزوج من امرأة جاءت له ببنتين وبنات ، وعكف على الكتابة معالجا مواضيع عديدة اجتماعية وادبية وتاريخية وفلسفية وأبرزها في ثوب من الروايات قشيب ، فعلا نجمه وأتمته الشهرة تبحر أذيالها منقاداً اليه

ترى ما الفكرة التي تخللت كل مؤلفاته وما واسطة العقد في رواياته ؟

وما الغاية من استخدامه القلم ؟ الربح الجليل ؟ وهو الغني الكبير ! انه نفسه يكفيننا مؤونة البحث عن هذه الفكرة التي ملكت عليه زمام القلب والعقل ، انها فكرة الحق والجهاد في سبيله ، الحق الذي جراه فما بالي بسطوة عظيم ولا عبيء بسخط كاهن قديم . كانت فكرة الحق المحور الذي تدور عليه مؤلفاته جميعها كبيرها وصغيرها ، فانفتحت لتلك الصيحة أذان صم وأقضت تلك الصخرة مضاجع الكثيرين من ذوي السلطان العالمي والروحي ، وأتهم كما أتهم صنوه في القديم سقراط الفيلسوف اليوناني ، انه يفسد الشبيبة فكادوا له كثيراً ، وضاعت نفسه بما رحبت بدسائس أولئك الاقوام فرفع الصوت جهرة مهدداً انه سيغادر أرض روسيا الى انكائرا موطن الاحرار وموئل الفكر ، كما قال في ندائه الى بني قومه ، ولو وقف الامر عند هذا الحد هان ، الا انه رأى ان الحق الذي نشده حياته كلها يقضي عليه ان يشاطر الفلاحين أرضه الواسعة فحاول ذلك فهبت عائلته تعارض فكرته هذه وترى فيها القضاء على هنامها اذ يسلبها مورد عيش رغيد ويساويها بالفلاح الوضع فتكدر صفو حياته ، وصمد لتلك الصدمة وساوى نفسه بالفلاح فارتدى ملابسه وعاش غيشه يشق الارض بمجراته ويخاطهم مخالطة رفعت شأنه في عيونهم ، ثم نصب نفسه استاذاً لابنائهم ، فأنشأ مدرسة قام هو بنفسها واختط للتربية خطة جديدة مبتكرة أخذ بها الكثيرون في تربية نشئهم في الكثير من البلدان الاوربية ، ومن شاء الاطلاع على اساليبه في التدريس فعليه ان يقرأ كتابه « مدرسة ياسانا بوليانا » المترجم الى معظم اللغات الحية . وأصبحت تلك القرية كعبة يؤمها الناس من كل فج عميق بينهم الاساتذة والعلماء والادباء ورجال الفكر . وكثيرون من طلبة الجامعات حذوا حذوه وعاشوا عيشته مهتدين بهديه وفي هذه الآونة أخرج روايته « الحرب والسلام »

ويجدر بي ان اذكر شيئاً عنها وهي غرة مؤلفاته وعنوانها ينبئك عن موضوعها ، انه عاجل فيها مشكلة الحرب وما يحول دون السلام معتقداً ان فكرة الفرد المستبد هي مثار كل حرب ، وذلك الفرد هو نابليون الكبير والبطال الثاني القائد الروسي كوتوزوف . فنابليون



الاول تدور أعماله على محور ارادته ولا يقيم للنتائج السيئة وزناً ولو خرب العالم وغرق أبناؤه في بحار من الدم والحديد ما دامت ارادته الدافعة الى ذلك

والثاني شيخ علت به السن مفكر جد مفكر ، ويظيل التفكير لا يعارض في حسن ولا يسمح بضار ، ويرى ان سوق الجنود الى ساحات القتال لا يسلم أمره الى رجل واحد ، ثم يمضي في وصف القتال أبلغ وصف . وأبطال هذه الرواية عديدون ومختلفون مهنة ونظراً الى الحياة فهي نهر تصب فيه جداول عديدة من نزعات النفس ورغائب القلب ، وانك إذا قرأتها لا تقول ما أعجب هذه الرواية وما أغرب ترتيبها التاريخي ، بل تشعر انك نفسك واحد من أولئك الابطال وأنهم ينطقون بما تشعر به ولهم صلة شديدة بك ، أو كما قيل تقرأ فيها نفسك ، وكل من قرأها اعترف أن مؤلفها رسول الفن ونبى الادب وهو نفسه كان معجباً بها أيما إعجاب وكان كلما قرأ منها شيئاً على زوجه حرك رأسه قائلاً « صوفيا » وحق الله ان الشيخ يكتب حسناً ، انها انجيل ثان لاوروبا . واني عند كتابتها كنت أبقى قطعة من جسدي في الدواة . وله روايات أخرى مثل البعث ، وانا كارينينا ، وكتاب دوائر القراءة وهو كتاب اقتطفه مما استحسنته من آراء وأقوال لكبار الفلاسفة والعلماء والادباء فجاء في جزئين وجعل لكل يوم من أيام السنة فصلاً خاصاً وفي آخر كل أسبوع قصة أو بحث ، منه ما عرب به بنفسه ، ومنه ما لخصه لكبار الادباء ، ومنه ما وضعه بنفسه . وإذا علمت أيها القارئ الكريم أن تولستوي قرأ في حياته أربعة عشر الف كتاب في لغات متعددة وترك على هوامشها تعليقات كثيرة أدركت ما لهذا الكتاب من أهمية ، فهو كما يقول فيه الروس أنفسهم . دائرة معارف للنفس والقلب ، النفس السابحة في فضاء الانهابة والقلب النابض بحب الانسان ، ففي هذا الكتاب حكمة الانسان في شتى العصور ، ولكل أمة هدفها الاعلى في حياتها فيه ، فهو لم يكتب لأمة من الأمم ولا لجنس من الاجناس بل للانسانية جمعاء . لأن مؤلفه رسول الانسانية فلا غرو إذا رأينا المرحوم شاعر النيل حافظ ابراهيم يرثيه بهذه الأبيات مكبراً وفاته ومعظماً حكمته :

ولست أبالي حين أبكيك للورى  
فاني أحب النابغين لعالمهم  
حياة الورى حرب وأنت تريدها  
تحاول رفع الشر والشر واقع  
حواك جنان أم حواك مسعير  
وأعشق روض الفكر وهو نضير  
سلاماً وأسباب الكفاح كثير  
وتطلب محض الخير وهو عسير

هذا هو تولستوي ، وما تولستوي ممن يستوفي حقه من البحث في مقال وجيز مثل هذا وما ذكرناه قليل من كثير .  
أريب سعادة خورسى



# المذنبات

## ماذا تعرف عنها

اعتمد القدماء أن المذنبات نذر سماوية ، هي مقدمات لحرب أو وباء أو موت أو غير ذلك من الكوارث التي تحل ببني الانسان . وفي رواية يوليوس قيصر لشكسبير تقول كلبورينا لقيصر : « عند ما يموت الدهاء لا ترى المذنبات » .

مر بأرضنا هذه أكثر من ألف مذنب ، ذلك منذ علمنا السنين والحساب ، منها اربعمئة غشيت جونا قبل ان يعرف المقراب ( التلسكوب ) . وقلم تظل المذنبات التي تظهر لاهل الارض مرئية أكثر من بضعة أسابيع ، ولكن المراقص قد تبصرونها سنين عدداً . وجميع المذنبات من بنات النظام الشمسي وتتبع في دوراتها افلاكاً من حول الشمس كبقية السيارات . غير ان هذه الافلاك مستطيلة استطالات تبعد أكثر المذنبات بعداً شاسعاً عن الشمس ، وبخاصة عندما يكون المذنب في المنحني المقابل للمحترق المقابل للشمس .

ما هو المحترق ؟ . الثابت أن السيارات تدور حول الشمس في افلاك اهليلجية الشمس ثابتة في احدى محترقيها . والمحترق في الشكل الاهليلجي ، وهو شكل بيضي ، احدى نقطتين تقع كل منهما في ناحية من ناحيتي الاهليلج عند أعظم استطالة فيه . فاذا انحدرت المذنبات مبتعدة عن الشمس متخذة سمتها نحو المحترق الاخر محترقة طريقها بين السيارات ، فان مداراتها تتأثر بجذب تلك السيارات فيتغير بذلك شكل افلاكها بعض الاحيان ، فتصبح هندولية (١) أو شلجية (٢) بدلا من ان تظل أهليلجية . ولذا فهي قد تهيم في الفضاء ولن تعود الى محيط الارض ثانية .

من المذنبات حوالى خمسين مذنباً لها افلاك تستغرق دورتها أقل من قرن ، تعود الى حيث ترى من محيط الارض . واعظم هذه المذنبات هو مذنب « هالى » الذي يتم دورته حول فلكه في خمسة وسبعين سنة ، وكان آخر ما ظهر لاهل الارض في شهر مايو سنة ١٩١٠ ، ولاح ذنبه قبيل الفجر ممتداً في روعة وجلال من أفق الارض الى سمت السماء .

واذنب المذنبات تمتد دوماً الى الجهة المخالفة لموقع الشمس . والسبب في ذلك ان الذنب يدفع عن نقطة الرأس بضغط الاشعة المنبعثة من الشمس . والمذنبات ، على العكس من السيارات أضواؤها ذاتية ، غير مكتسبة من ضوء الشمس . وهي ليست كالشهب التي تحترق من جراء اصطدامها بنحو الارض

ولا تقترب المذنبات من الارض اقتراباً يدخلها في منطقة الارض ، ولكن حدث سنة ١٩١٠ ان اقترب ذنب مذنب « هالى » من تلك المنطقة . ولكن الذنب كان من اللطافة بحيث لم يشعر به سكان الارض ، بل انه لم يحدث أي ضرر ، وكذلك لا يحدث ذنب أي مذنب آخر ضرراً ما ، ولو ان التدماء كانوا يتطهرون به أشد التطيرة . وقد يشتد لمعان بعض المذنبات ، فترى في وضوح النهار كما حدث في المذنب الذي ظهر سنة ١٨٨٢ ، وهي السنة التي احتل فيها الانجليز قطرنا المصري

والمعتقد ان المذنبات تتألف من مجموعات عظيمة العدد من الجسيمات النيزكية تتجمع بقوة الجذب الذاتي . فاذا اقتربت هذه المجموعات من الشمس تسخن بأشعتها . اما الغازات التي تتضمنها تلك الجسيمات فتنفصل عنها ومن ثم تدفعها ضغط اشعة الشمس الى الجهة المضادة فيتكون منها الذنب . وبذلك يشتد لمعان الذنب كلما اقترب من الشمس ، فاذا اخذ يتباعد عنها ، متبعاً فلكه غير النظيم ليبدأ رحلة قد تبلغ بلايين الاميال وإلى لا عودة ، يأخذ لمعان نقطة الرأس في التضاؤل شيئاً بعد شيء حتى يصير لا شيء .







إِلَّا س<sup>(١)</sup> أرض جبلية يحيط بها البحر كأنه منطقة . ومُحَلُّ ثراها راجع إلى ضيق وديانها النهرية . وفي هذا تقع على أول مفتاح نعالج به أول باب يسلم بنا إلى بعض الظواهر الرئيسة للتطور الاليني الصحيح .

فمن الواضح مثلاً أن أية بزة من بزور الحضارة كان يتفق أن تزرع هنالك ، قد تجد سكناً دائماً وظرفاً مواتياً . فان تخومها الجبلية هي بمثابة جدران مشيدة تكسر من حدة تيارات الغزو ، تلك التي تجدد في السهول مرتعاً خصباً ترمع فيه . وكل إقليم من أقاليمها الجبلية هو بذاته مستقر مثالي له أثره في تنشئة الثقافة ، وفي كل منها قدرة خاصة على توليد طراز برأسه من طرز تلك التفردية الفذة القوية الممتازة ، التي انقلبت في النهاية عاملاً مكوناً للحضارة الأغارقة المنوعة الصور ، العديدة الجوانب ، كما كانت عاملاً معوقاً ، منع قواها السياسية عن التركيز والاتحاد ، فأقليم أركاديا مثلاً ، وهو إقليم أصابه الترهل والخدر الربني كان له نقيضه على الشاطئ المقابل حيث يمتد البحر ، ويلتوي ثم يدور .

شواطئ إلاس أطول من شواطئ اسبانيا ، ومساحة أرضها أقل من البرتغال . أضف إلى ذلك حالات أخرى كملت بها تلك الهبات الطبيعية المتفرقة . فان تجارات متباينة الأنواع والضروب ، وصناعات متفرقة الغايات ، كانت معروفة بمقربة منها . فهناك فلاحون ورعاة ، وقناصون وفلاحون ، تكاثروا ونموا بجوارها ، فأنتج التخالط العائلي بين إلاس وهؤلاء ، خلال أجيال درجت ، محصلة من المواهب العقلية والكفايات ، كانت ثمرة لفعل التكامل الذي حدث بذلك الاختلاط . أضف إلى ذلك إن حوريات السماء ، اللواتي أشرفن على ميلاد إغريقية ، لم يكن في استطاعهن أن يضعن في مهدها من هدية يحيين بها ، أعظم من « الفقر الذي ظل على وجه الدوام ، صديقها الحميم » .

لقد عمل الفقر من ثلاث جهات مختلفات ليقوي في حضارتها روح الارتقاء . عمل في صورة منخاس اضطرها إلى إبراز كل قواها . وعمل في صورة مانع صرف عنها الغزو الخارجي ، لأن الأرض الممحلة لا مطمع فيها ، وهي حقيقة لاحظها عن إقليم « آتسيكا » ، فيلسوف المؤرخين القدماء ، وعمل في الثالثة ، وهي الأهم ، في صورة حافز قوي لا يقاوم صرف أهلها نحو التجارة وفن البحار والهجرة وإقامة المستعمرات<sup>(٢)</sup>

(١) إلاس Hellas أو إلتس Hellenes أو إغريقية : Graecia : وقد دلت كلمة إلاس في الجغرافية القديمة عند اليونان على الامكنة التي قطنها الإلينيون من الدنيا القديمة حينما كانوا . فسكان هورينية في شمال إفريقية أو سيراكوز في صقلية أو طرنتوم في إيطاليا أو أزميرنة في آسيا الصغرى ، كانت تنضوي تحت اسم إلاس ، ولكن جغرافي اللاتين قصروا دلالتها على أواسط إفريقية وأخرجوا منها الفيلوبونيز وكل ما يقع شمالي خليج مالبة . وإلى هذا يشير العلامة جوميرث في وصف إلاس

(٢) Cp. Bursian, Geographie von Griechenland, ; i. 5-8; hissen, Italishe Landeskunde, 216 : "Nowhere else in so restricted an area is so striking a variety of



إن الخلقان التي هي أصلح المرافئ على شبه الجزيرة الأغريقية ، تواجه منافذها الشرق ، والجوار والجزيرات المتناثرة في هذا الصقع ، هي بمثابة درجات من الصخر ، تُسلم إلى مفار الحضارات الأسيوية القديمة . يجوز أن يقال إن أغريقية تنظر إلى الشرق وإلى الجنوب ، يستند ظهرها إلى الغرب وإلى الشمال ، بما يقوم فيهما من حالات أشبه بأن تكون هجينة . حالة أخرى ، هي من حالات الحظ الاستثنائي الطيب ، يمكن أن تضاف إلى تلك الامتيازات الطبيعية . قامت إغريقية الطفلة في جانب ، والحضارات التي تعجز الذكريات عن تماس بداياتها في جانب إزاعها . فمن ذا الذي قسم له أن يربط بينهما ؟ لقد وجدت الحلقة الرابطة ، وكأنها اختبرت عمداً لتقوم بتلك المهمة التاريخية . أولئك المخاطرون الأشداء الأبدون الذين اقتحموا البحر ، تجار فينيقية ، الذين هم إن لم يكونوا من شعب ذي شأن من الناحية السياسية ، فإنهم من شعب ملىء جرأة وصلابة وطمعاً في الكسب . حدث إذن أن الأغارقة قد استمدوا عناصر الثقافة من بابلونيا ومصر ، من غير أن يدفعوا ضريبة الاستقلال عن بقية الدنيا . والقوائد التي تجنى من مثل هذا الظرف ظاهرة لا تحتاج إلى بينات . فإن الأمة المحبوة بمثل ذلك تهيأ في العادة بمنهج ارتقائي ثابت الخطا مطرد السوق ، وتطور متصل غير منفصم الحلقات ، ومناعة نسبية عن التضحية بمواردها القومية . وإذا أردت برهاناً على صحة هذه النظرية ، فاعتبر مصير الكيلت Celts : والجرمان الذين استعبدتهم روما في البرهة التي مدنهم فيها ، أو اعتبر مصير القبائل الهمجية في عصرنا هذا ، وهي التي تتلقى مراحم المدنية من يدي أوربا السكينة القادرة ، وكثيراً ما تنزل بهم العنات .

ومع هذا فإن المؤثر الفاصل في نشوء الحياة العقلية عند الأغارقة ، ينبغي أن يفتقد في نظامهم الاستعماري . فإن الاستعمار الأغريقي قد وجد في كل وقت ، وفي ظل كل ضرب من ضروب الحكومة . فالملوكية ، وقد قطعت عهداً في تشاحن مستمر ، كثر ما شهدت منوطنين أدخلوا مواطنهم لقبائل مهاجرة ، باحثين عن مواطن جديدة وراء البحار . وحكومة الأقلية التي قامت على التحالف الثابت بين نبل المولد وامتلاك الأرض ، مضت على سياسة إبعاد أولئك « السادة المساكين » لأنهم رمز القلق ومبعث القوضى ، فزودهم بأملك في بقاء أجنبية ، حيث تبعثهم إليها وشيكاً تنابذ الأحزاب ، وتطاحن العصبية والفساد والقتل . في نفس ذلك الوقت ، تطاب نماء التجارة البحرية عند الأغارقة ، وتكاثر الانتاج

bays, promontories, mountain ranges, valleys, planis, highlands of all kinds to be found., Cp., too, G. Perrot, *Révue des Deux Mondes* Feb., 1892 : *Se sol et le climat de la Grèce*, especially p. 544. For the "Poverty... her familiar friend", cp. Herodotus, vii. 102; and for the most philosophical historian..., cp. Thucydides, i.2.

عن « الفقر وانه صديقها الجيم » انظر هيرودوتس ج ٧ : ص ١٠٢ ، « فيلسوف المؤرخين القدماء » : نفوقوديدس : انظره ج ١ ص ٢ .



الصناعي ، وزيادة عدد السكان ، ضرورة تأسيس مراكز ثابتة للتجارة وطرق آمنة لاستيراد مواد الغذاء . استخدمت هذه المسالك بذاتها ، وبخاصة في ظل الديمقراطية ، لاغاة المعدمين ذوي الخصاصة ، وتسريح الزائد من السكان . بذلك ، وفي زمان مبكر من بداية تحضرهم ، نشأ الاغارقة تلك الحلقة العظيمة من المستعمرات التي امتدت من مواطن القوزاق على نهر الدن إلى الواحات الصحراوية ، ومن شواطئ البحر الاسود الشرقية ، إلى سواحل إسبانيا .

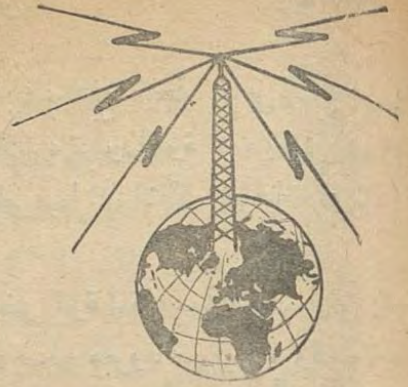
قد نقول أغريقية العظيمة ، إذا قصدنا بذلك الجزء الآسيوي من جنوبي إيطاليا . أما إغريقية العظمى ، فمدلولها مجموعة المستعمرات في خارج بلاد « الإيس » . إن عدد هذه المستعمرات وتنوعها ، قد حققا بطريق عملي ، ما يتوقع عادة من نشاط يصيب أيما شئت من زور حضارية ، فتفرخ وتنمو ، إذا أُلقيت في أرض ملائمة . واقدر ساعد على تحقيق ذلك والتوسع فيه ، وبلوغه درجة من الرقي والبهاء فذة باهرة ، طبيعة تلك المستعمرات ، والاسباب الذي اتبع في تأسيسها . فان مواقعها قد اختيرت بعناية ، فقامت في نقاط ساحلية منحت التجارة أعظم اليسر ، ووهبتها أضخم المرافق . وكان المهاجرون أنفسهم في الاكثر من عنصر الشباب ، وفيهم نزوع إلى الخشونة وميل إلى الجرأة ، كورثوا أخلافهم ، صفاتهم الفردية العليا . أما أولئك الذين هاجروا من بقاع لم تضيف الطبيعة على أهلها مثل ذلك من الصفات ، والذين عاشوا في ظل السلطة والسيادة ، وفي حمى الفراغ والطمع ، فلم يدفع بهم من دافع إلى مغادرة مواطنهم ، غير الحاجة والفقر .

زد إلى ذلك إن دولة مدنية ( City-state ) بعينها ، إن بادرت إلى تأسيس المستعمرات ، فانها كانت تزود في الغالب ، بطائفة كبيرة من الاجانب ، فيقع بذلك بين القبائل الالينية المتفرقة تلاقح ، يعززه فيما بعد تلاقح يتلوها ، بدماء غير إلبينية ، بحكم الضرورة التي تفرضها زيادة عدد الرجال زيادة كبيرة على عدد النساء ، بين رواد المهاجرين لدى أول هجرتهم .

بمقتضى ذلك ، كانت كل مستعمرة كأنها بوتقة أدت غرض التجربة والاختبار . فالعناصر الاغريقية وغير الاغريقية ، ظلت تتلاقح بنسب مختلفة ، وكانت نتيجة هذه التجربة ، ما شهدناه مطبقاً في حياتهم العملية من قوة الاحتمال والمقاومة . أما العادات المحلية والاساطير القَبَلِيَّة ، فزالت بفضل ما اتصفت به الجاليات من حس كان أرهف ، وذوق كان أسمى . واتصال هؤلاء بحضارات أجنبية ، مهما كانت فجوة من حيث النماء والتطور ، ما كان يحدث إلا إتساعاً في الافق العقلي ، بعيد المدى ، قصي المرامي <sup>(١)</sup> .

(١) On the extension of the geographical horizon, co. further H. Berger, Geschichte der wissenschaftlichen Erdkunde, i. 16. Ed. Meyer, Geschichte Egyptens, 367. Settlers from Samos in the Libyan Desert are mentioned by Herodotus, iii, 26.





## تيار المغنطيس

حملت الينا مجلة انكليزية نبأ علمياً خطيراً نظن أنه سيبدأ صفحة مشرقة جديدة في تاريخ العلم ، وربما أدت نتائج هذا الكشف الى إمكانات واسعة النطاق يعود تطبيقها على الانسانية والمجتمع بخير عظيم ونفع كبير . وما أظن العالم العالني إلا قد قابل هذا النبأ بهزة إعجاب واستغراب . ولذا نود اشراك قراء المقتطف الأغر في التفكير فيه وتقدير بعض احتمالات استغلاله في الصناعة والحياة .

تم هذا الكشف على يدي العالم النمسوي إهرنهافت Ehrenhaft ، وهو عالم ذائع الصيت ملحوظ المكانة في المقامات العلمية ، وكان قد هرب فيمن هرب من ظلم النازي القاسي لما احتل وطنه النمسا . ولجأ الى أميركة وسكن نيويورك حيث يقوم بتجاربه الجديدة فأصبح ضيف شرف على حكومة الولايات المتحدة .

يقول هذا العالم مسنداً قوله الى الشواهد والبراهين التجريبية — بأن المغنطيس يسري وقوته تتحرك كما تسري وتتحرك قوة الكهرباء . ووجه الغرابة والجدة في هذا الرأي أن النظريات القديمة والحديثة تجمع على أن قوة المغنطيس ساكنة لا تتقل أو تبدي أي نوع من الحركة الطبيعية ، فيكون الاتجاه مقصوراً على هذه القوة . وهي لا تعلن عن نفسها في الجسم الممغنط نفسه كما يمكن أن تظهر شواهد واضحة على السلك النحاسي الذي تسري فيه الكهرباء كالتوهج أو ارتفاع درجة الحرارة أو ارتجاج جسم اللامس . ويتسنى لأقطاب المغنطيس الدائمة أن تحتفظ بقوتها الى أجل طويل دون أن تستنفذ منها قدرراً ملحوظاً . فنفرق هذه النظريات الكلاسيكية — إن صح التعبير — بين القوة الكهربائية والقوة المغنطيسية ، في أن الأولى سيل جارف من الإلكترونات المتدافعة السارية في سلك النحاس أو أي جسم موصل عند ما تكون الدائرة مغلقة . أما الدائرة المغنطيسية فلا حركة فيها وحينما نتحدث عن خطوط القوة المغنطيسية التي تنقبض وتمتد ، فانما نتحدث عن شيء وهمي لا ميزة له إلا وصف المجال المحيط بالقطب ، ولكن لا وجود ذاتي لها في حقيقة الواقع .



وبينما تكون البطارية جزءاً مهماً في الدائرة الكهربائية ، تدفع نتيجة التفاعل الكيماوي بين عناصرها الأساسية الشحنات الكهربائية عبر الأسلاك ، تكون القوة المغنطيسية كيفما كانت الاتصالات التي تربط قطبيها ، مغلقة على نفسها لا يظهر فيها أي انتقال للجزئيات أو أي نوع آخر من الحركة .

أما إهرنهافت فقد برهن على أن في الامكان خفض القوة المغنطيسية على السريان ، بحيث ينتج ما يمكن أن يسمى بالتيار المغنطيسي الذي لم يكن معروفاً من قبل . وكانت إحدى التجارب التي تعزز رأيه بسيطة مقنعة ، وقد أجراها على مشهد حافل من علماء أمريكا اللامعين . وفي مستطاع طالب المدرسة الثانوية أن يعيدها بنفسه إذا أخذ قطعة من الحديد وألقاها في ماء مخمض - ممزوج بقطرات من حامض قوي كحامض الكوردريك أو حامض الكبريتيك .... فانبعثت فقاعات غاز الايدروجين وفق المعادلة .



وهذا التفاعل يشبه طريقة استحضار الايدروجين في المختبر عند إلقاء قطع الخارصين التجاري المحبب في الحامض المخفف . ويتم التفاعل لأن الحديد أو الخارصين أعلى من الهيدروجين في جدول الاحلال . فيحل كل منهما محله ويتحد مع جذر الحامض على حين ينطلق الايدروجين حرراً .

أخذ إهرنهافت قطعة الحديد ومغناها ثم ألقاها في الحامض مرة أخرى ، فلم تنبث فقاعات الايدروجين وحدها ، وإنما رافقتها فقاعات غاز الأكسجين أيضاً . ولاشك أن هذه التجربة تعيد إلى الأذهان طريقة فولتا في تحليل الماء كهربياً إلى عنصريه الأساسيين الأكسجين والايدروجين . فكأنما سرى في الماء المحمض تيار يشبه التيار الكهربائي ويسعه تحليل الماء أيضاً . وليس هذا التيار الجديد - كما هو واضح - تياراً كهربياً . فيكون إهرنهافت قد برهن بذلك على وجود تيار مغنطيسي ، أي أن القوة المغنطيسية تسري وتتحرك وتقل

كان قضيب المغنطيس لعبة ساذجة يعبت بها التلاميذ ، ولكنها منذ الآن مستودع غني بالطاقة ، وما إن يضع العلم يديه على مفاتيح هذا المستودع حتى يفضي بابه إلى نتائج عملية غير متوقعة ، ربما يفيد منها كل فرد ، وتكون المشكلة بعد ذلك مشقة صنع المغنطيس القوي وخزن طاقته إلى أن تمس الحاجة لاستهلاكها . ولدينا ثلاث طرق بسيطة للمغطة : أولاً أن يوضع قضيب الحديد في اتجاه شمالي جنوبي ، ثم يطرق قليلاً فيؤثر مجال الأرض - وهي مغنطيس جسيم - في القضيب ويولد فيه قوة مغنطيسية : إلا أن هذه القوة ضعيفة لا يمكن الاستفادة منها عملياً . والطريقة الثانية ذلك القضيب في اتجاه واحد بقضيب آخر قوي



المغنطيسية. وهذه الطريقة أيضاً لا تجدي لأن مشكلة الحصول على قوة مغنطيسية كبيرة المدّ لك تبقى غير محلولة. أما الطريقة الثالثة ففيها خير كل الخير، وبها يتيسر صنع مغنطيس قوي، وهي تلخص في أن يحاط قضيب الحديد أو أي سبيكة معدنية من خواصها الاحتفاظ بقوة المغنطيس، يحاط القضيب بملف كثير الدورات يحمل تياراً كهربائياً عالياً، فبعد لحظة قصيرة من اقبال الدائرة يتحول الحديد الميت مغنطيسياً قوياً حياً. وقد رأت الحرب الحاضرة تقدماً عظيماً في تعميم المغنطيس الضئيل الحجم الذي يخزن طاقة كبيرة بالنسبة لحجمه ووزنه.

\*\*\*

لا نستطيع أن نتكهن باحتمالات الفوائد العملية التي قد تنجم عن تسخير التيار المغنطيسي. فقد نستغني عن خطوط التواصل الكهربائية التي توزع القدرة المولدة في محطة مركزية، بأن نأجأ الى هذه القدرة الجديدة ونولد من تيارها النور والحرارة وغيرها من الحاجات المنزلية. وربما حمل كل فرد في المستقبل في جيبه قضيباً ممغنطاً صغيراً كما يحمل اليوم مصباح الكهرباء اليدوي ويستعمله عند الحاجة في أغراض مختلفة، بفارق واحد: هو أن هذا المنبع الجديد للطاقة أقوى وأفعّل. وحينما نستهلك الطاقة في القضيب نعود به الى الخزن ونشحنه مرة أخرى كما نفعل بمراكم السيارة أو بطاريات الراديو الرصاصية، ولكننا في الحالة الأولى لا ننتظر وقتاً طويلاً للحصول على قوة المغنطيس لأن شحنها لا يستغرق أكثر من بضع ثوان.

\*\*\*

كان أمير الكهرباء «فرادي» العالم الانكليزي المشهور يجري تجاربه ويحاضر جمهوراً من المستمعين. وما إن انتهى حتى ابتدرته إحدى السيدات قائلة: «ولكن ما فائدة ذلك؟» فأجاب: «أستطيع يا سيدتي أن تقولي ما فائدة الطفل ساعة ولادته» كانت تجاربه تقوم حول ماهية التأثير الكهربطيسي. وقد نجم عن كشفه الدينامو (المحرك والمولد) وكلنا نقدر قيمة سيطرة الانسان على توليد الكهرباء ونقلها وتوزيعها ليسعد بها المجتمع وتحول الصناعة وتقدم.

لقد انبثق فجر العصر الكهرببي باكتشافات «فرادي» هذه، أفلا يصح لنا أن نظن إذا ثبتت النتائج لبحوث امهرنhaft — أن فجر العصر المغنطيسي يوشك أن ينبثق وتطلع شمسه مشرقة زاهية. إن المستقبل مفعم بكل جديد ومن يعيش يره.

هايل السالم

السلط — شرق الاردن



## مدينة الشمس

Prof. Hermann Junker deduced from known data that Heliopolis must be in the neighborhood of Helwan. Science Digest, June, 1945.

يقول علماء الخطط ( الخططيون ) Archaeologists انهم قد توصلوا الى حل لغز من اعظم ألغاز التاريخ القديم — ذلك بأنهم عينوا موقع مدينة الشمس المقدسة ، عاصمة مصر التي درست منذ أكثر من ٦٠٠٠ سنة مضين .

يقول دكتور ايتين درويوتون مدير دار الآثار المصرية ، ان خططياً مصرياً يعمل على تحقيق النظرية التي روجها استاذ الماني في برلين ، قد سقط على نقش في قبر قديم يؤيد بالدليل المادي ان مدينة الشمس القديمة كانت بمقبرة من حلوان ، على عشرين ميلاً جنوبي مدينة القاهرة .

كان من رأي الاستاذ « هرمن يونكر » الذي عمل في مصلحة الآثار المصرية ، وعلى استنتاجات استندت من معلومات عديدة ، ان مدينة الشمس كانت في مكان ما بمقبرة من حلوان . وقد وصل الى مصر من طريق البلاد المحايدة في اثناء الحرب ملخص محاضرة له ايد فيها هذه النظرية . وقد اصبحت هذه النظرية الآن حقيقة واقعة .

إن مساحة عظيمة من القبور التي لم تكن قد حقق امرها من قبل ، قد اتضح انها مدينة الموتى : Necropolis وبحري مدافن مدينة الشمس ، اما المدينة نفسها ، فلم يعثر على مكانها الاصيلي بعد .

الخططي المصري ، صاحب هذا الكشف ، هو الاستاذ زكي سعد ، الذي يعمل برعاية جلالة الملك فاروق وقد بدأ بحجته بالحفر بين القبور بمقبرة من حلوان ، فكشف عن قبر يرجع تاريخه الى عصر الاسرة الحادية عشرة وعليه نقش معناه ان هذا القبر قد اقيم ليرقد صاحبه بين « عظماء مدينة الشمس » : Heliopolis

والمعروف انه كان لمدينة الشمس مكان مرموق وأثر ثابت في العصر الفامض السابق على العصر الفرعوني ، ولكن قليلاً ما يعرف عن تلك المدينة التي درست في خلال الحروب التي أدت الى اتحاد مصر العليا ومصر السفلى حوالي سنة ٥٠٠ ق . م .

وكان من عادة المصريين الفراعنة ان يدفنوا موتاهم في الناحية الغربية — اي في الضفة الغربية من النيل . ويقول دكتور درويوتون ان سكان مدينة الشمس كانوا من عباد الشمس ومذهبهم مخالف لمذهب الفراعنة ، وقبورهم لا تقع في الناحية الشرقية فحسب ، بل في شرقي المدينة الاصلية ذاتها .

اما القبر الذي عثر فيه على النش الذي ورد فيه اسم مدينة الشمس ، فيرجع الى عهد الاسرة الحادية عشرة اي حوالي سنة ٣٠٠٠ ق . م . ولكن هنالك قبوراً ترجع الى عهد الاسرة الاولى اي حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل عهد تلك الاسرة ، اي حوالي الزمن الذي درست فيه مدينة الشمس .



# القواعد الاساسية

في تأليف معجم لغوي تاريخي<sup>(١)</sup>



تألفت لجنة بمجمع فؤاد الاول للغة العربية سميت لجنة المعجم ، اجتمعت ونظرت في انواع المعاجم التي تحتاج اليها اللغة العربية ، وبخاصة المعجم اللغوي التاريخي الذي يجمع شتات المفردات التي استعملت في اللغة منذ عصور الجاهلية الى الآن ، وبيان المعاني التي تماقت على الالفاظ في الاستعمال اللغوي مرتبة بحسب العصور ، واظهار المعاني الحقيقية من المعاني المجازية ، الى غير ذلك من الاشياء التي تحمل ذلك المعجم سجلا للغة وتاريخ الفاظها ، وتطور معانيها ، والفصل بين الفصح والمولد والعرب والمتول من اللغات الاخرى . وكان الاستاذ الدكتور ا. فيشر قد بدأ في كتابة معجمه اللغوي التاريخي الذي انتهى به الى آخر القرن الثالث الهجري ، ونزل جزءاً من جازاته الى مصر ، ولا يزال محفوظة بدار المجمع ، فانجحت النية الى ان يعقب المجمع على عمل الاستاذ فيشر فيبدأ معجمه بالقرن الرابع الهجري الى الآن . ولهذا الغرض كلفت بأن اضع تقريراً عن الطريقة التي تتبع والخطوات التي تتخذ للبدء في تأليف هذا المعجم ، فلم أجد طريقة احدى من الرجوع الى مقدمة معجم اكسفورد اللغوي التاريخي لاستخلص منها النوازل التي جرى عليها مؤلفوه والطرق التي اتبعوها ، فاستخلصت من تلك المقدمة تقريراً قدمته للجنة المعجم في اوائل سنة ١٩٣٩ م استملت من المجمع في صيف ذلك العام . وظل العمل في هذا المعجم النظم ، الذي لا يجمع شتات لتنا غيره ، ووفقاً عند هذا . فاذا نشرت على صفحات المقتطف ما استخلصت من مقدمة معجم اكسفورد في هذا الظرف ، فاني انما افعل ذلك وكلي امل في ان يشمر المجمع عن ساعده ويرسل دعواه الى العالم العربي كله ليؤيده في هذا الجهد الذي سوف يكون ، اذا م ، سجلا للغة وتاريخ مفرداتها وعاملاً يؤيد جامعة العرب . وعندني ان اعظم ما تستخدم به جامعة العرب شيئان : معجم لنوي تاريخي ، ومعلمة كبرى أي دائرة معارف تجمع الى العلوم والآداب الحديثة ، آداب العرب وتاريخهم . شيئان من اعظم متومات الجنسية العربية ، مصر ، بتأييد العرب ، أقدر الامم العربية على الاضطلاع بهما .

\*\*\*

بدأ العمل في معجم اكسفورد اللغوي التاريخي الحديث في سنة ١٨٥٩ ، وتم طبعه في ١٩ من ابريل سنة ١٩٢٨ ، فكان العمل فيه قد استغرق قرابة سبعين عاماً . ولم يشرف طبعه على التمام حتى كانت نسخته قد نفدت ، فأعيد طبعه ، وظهرت طبعته الثانية في سنة ١٩٣٣ فريد اليها ملحق بكل ما استدرك على الطبعة الاولى . ولقد نال القائمون بهذا العمل الفذ من التشاير ، ما يجدر أن يصدر عن شعب يعرف قدر لغته ويعرف أن اللغة جزء لا يتجزأ من القومية . فقامت الاكاديمية البريطانية بصك مُدْلاَةً نقش عليها صورة أول من قام على

(١) مستخلصة من مقدمة معجم اكسفورد الحديث للغة الانجليزية ومقدمة الى لجنة المعجم بمجمع فؤاد الاول للغة العربية



محرير هذا المعجم من العلماء تخليداً لذكراه ، وأضيفت الألقاب العلمية على كثير من تولوا العمل فيه ، وكان لهم في تحريره أثر رئيس

\*\*\*

وكان السبب الذي حدا علماء اللغة من الانجليز الى القول بضرورة تأليف معجم جديد على قواعد جديدة شعورهم بأن معاجم اللغة الانجليزية، منذ بداية القرن السابع عشر، كانت تقصر عن ادراك أغراض الأدباء وأهل العلم باللغة والفنون ، وان الزمن كلما تقدم بالأدب الانجليزي ازدادت المعاجم قصوراً عن ادراك اغراضه والقيام على حاجاته بما يحقق الغرض منها ، حتى لقد شبه معجم « كودري » Cawdrey الذي طبع في سنة ١٦٠٤ الى جانب معجم أ كسفورد الحديث، بالبزرة اذا قيست بشجرة البلوط العظيمة

ولقد كان السبب الأول في عظم ما تجد من فرق بين تلك البزرة الدنيئة وتلك الشجرة العظيمة ، دخول ثلاثة مبادئ جديدة في تأليف المعجمات الانجليزية : فان مؤلفي المعاجم كانوا قد عكفوا على الطريقة القديمة في جمع المفردات الغريبة التي لا تعرض لعامة الناس ، على اعتبار أن ما بقي من الكلمات هي من البيان والتداول بحيث لا ينبغي ان تدخل في معجم اللغة الانجليزية، ولكن عدل عن هذه الطريقة في القرن السابع عشر وأخذت المعاجم تتسع لكثير من الالفاظ التي كان يرى أن اثباتها غير ضروري . وفي القرن الثامن عشر ألف جامعو المعاجم طريقة إثبات جميع الالفاظ التي يمكن أن تتداول في اللغة . أما الخطوة التالية لهذه فقد خطاها الاديب الكبير « جونسون » Johnson إذ عمد الى إثبات الشواهد التي توضح التعريفات الموضوعة للالفاظ وتوثيدها ، ثم أعاد النظر في معجمه وأضاف اليه ، في ملحق ، كل الالفاظ التي كان قد أهملها ، وأثبتها بشواهدها . وكل هذا البناء العلامة اللغوي « رتشاردسون » Richardson بخطوة ثالثة هي التوضيح التاريخي للالفاظ ، واتباعاً لهذه الطرق ، وجب أن يكون المعجم الكامل للغة الانجليزية ، كتاباً من أضخم الكتب العالمية ومن العجيب أن معجم « رتشاردسون » لم ينل ما يستحق من التفات العلماء وربما كان ذلك لنقص ما في طريقته . ولقد أمضى نحو اربعين سنة منذ أن ظهر الجزء الاول من معجمه في « المعلمة الجامعة » Encyclopaedia Metropolitana قبل أن تقبل الجمعية اللغوية النظرية التاريخية في وضع المعجمات قبولاً تاماً ، وكذلك لم يؤثر طبع معجم « رتشاردسون » مستقلاً عن تلك المعلمة في سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧ أي أثر في المعجميين (أي مؤلفي المعاجم) Lexicographers الذين ظلوا يتبعون نفس القواعد التي اتبعها « جونسون » في انجلترا ، و« وبستر » في امريكا . ومن العجيب ان تلك الثروة الهائلة من الشواهد التي أتى بها



«رتشاردسون» لم ينتفع بها وظلت غير مستخدمة في أغراض اللغة، في حين أنها كانت مستودعاً طبيعياً خصباً يمد كل من فتش في جوانبه بجواهر لغوية حديثة وقديمة، تضاف إلى ما جمعه «جونسون» وأتباعه.

كانت الخطوة التالية بعد تلك الأربعين من السنين التي مضت على ظهور معجم «رتشاردسون» حتى اقتنعت الجمعية اللغوية بضرورة اتباع المبدأ التاريخي في تأليف المعجمات، أن عهدت الجمعية إلى لجنة مؤلفة من ثلاثة من أعضائها بأن يجمعوا الالفاظ الانجليزية غير المسجلة في المعجمات، وأن يقدموا بذلك تقريراً عند انعقاد الجمعية في شهر نوفمبر من سنة ١٨٥٧. وكان السبب في ذلك أن الجمعية أرادت أن تثبت في ملحق للمعجم جميع الالفاظ التي أهملها «جونسون» و«رتشاردسون»

غير أن هذه اللجنة لم تقدم تقريرها اذ ذاك. ولكن أحد أعضائها وهو الاسقف «ترنش» Trench قرأ جزءاً من كلمة أنها في «بعض النقائص في المعجمات الانجليزية» في الخامس من نوفمبر سنة ١٨٥٧ وأجل تقديم تقرير اللجنة إلى الثالث من شهر ديسمبر التالي. فأعطى هذا التأجيل فرصة طيبة للاسقف «ترنش» لكي يقرأ الجزء الباقي من كلمته على الجمعية في اليوم التاسع عشر من نوفمبر من تلك السنة فأصدرت الجمعية قراراً على أثر مماعها تلك الكلمة (نضمن أنها طلبت من أسقف وستمنستر أن يطبع كلمته الثمينة المفيدة وأنه وافق على قرار اللجنة) فطبعت تحت العنوان الآتي :-

On some deficiencies in our English Dictionaries, Being the substance of two papers read before the Philological Society, Nov. 5 and Nov. 19, 1857. By Richard Chenevix Trench, D. D. Dean of Westminster.

ويقول كاتب المقدمة في معجم أكسفورد الحديث إنه بالرغم من مضي ثلاثة أرباع قرن (١٩٢٨) على ما كتب الاسقف «ترنش»، وبالرغم من تقدم البحوث والدراسات الانجليزية في أثناء ذلك، فإن ما ارتأى الاسقف «ترنش» من آراء، لا يزال حافظاً لقيمته العامة باعتباره أساساً لما يجب أن يكون عليه المعجم الكامل للغة الانجليزية. ثم قال حرفياً: «ولا يقرأ أحد (ما كتب ترنش) حتى يدرك على أية صورة من الجلاء والبيان استطاع أن يستشف كل التفاصيل التي ألف على مقتضاها معجم الجمعية، وكانت جميعها على التحقيق نتيجة للمذهب التاريخي الذي جعله الأساس الثابت المعقول لعمل المعجم».

وقبل ان انتقل إلى الكلام في شيء آخر، أمل ان توصي لجنة المعجم بهذا المجمع الموقر بالحدوث على هذا البحث الذي اتخذ أساساً لوضع معجم أكسفورد الحديث، لما بدرسه نفيد من العلم ما لا يتيسر لنا بدراسة هذه المقدمة وحدها، واقترح الاتصال بالاستاذ «ج» بجامعة أكسفورد وتكليفه الحصول على نسخة منه وإرسالها إلينا.



في الثالث من شهر ديسمبر التأمّت الجمعية اللغوية ، وقرىء عليها تقرير اللجنة التي عهد اليها البحث في « نقائص المعاجم الانجليزية » فقررت حفظه واستعاضت عن بحثه بأن قررت أنه سوف يعرض على الجمعية عما قريب مشروع كبير لتأليف معجم حديث كامل للغة الانجليزية . ذلك بأن بحث الاسقف « ترنش » كان قد أقنع الجمعية بما تضمن من آراء ومقترحات ، وأبان أنه لا معدى للجمعية عن القيام بتأليف معجم حديث ، إذا هي أرادت أن تكفي حاجة اللغة الانجليزية .

ولم تضع الجمعية وقتاً في تنفيذ الفكرة الجديدة ، ولم تستخف بضخامة العمل التي هي مقدمة عليه ، ولا بعدد السنين التي تلزم لا كماله ، بل بالتي ينبغي أن تنفق قبل البدء به . وفي السابع من شهر يناير سنة ١٨٥٨ أصدرت الجمعية القرارات الآتية .

١ - يستعاض عن الملحق الذي أقرت الجمعية تأليفه تعقيباً على المعاجم الانجليزية المأثورة ، بتأليف معجم حديث للغة الانجليزية بإشراف الجمعية اللغوية .

٢ - يعهد بعمل المعجم الى لجتين : الاولى لجنة أدبية تاريخية : والثانية اشتقاقية ، وفي حالة الشك في حقيقة أية مادة ، يكون حكم اللجنة الادبية التاريخية نهائياً ومقبولاً ( وكانت اللجنة الاولى مؤلفة من ثلاثة أعضاء والثانية من عضوين )

٣ - تشكر الجمعية جميع الذين اشتركوا متطوعين للعمل مع « لجنة الألفاظ غير المسجلة » وتطلب مساعدتهم ومساعدة متطوعين آخرين للعمل الجديد . ويتلو ذلك ثلاث قرارات إدارية لا حاجة لنا بذكرها هنا ، لأنها تتعلق بالطبع وتمويل المشروع بأموال الجمعية وغير ذلك .

\*\*\*

ومما هو ثابت في القرار الثالث ، نجد أن - « لجنة الألفاظ غير المسجلة » ، كانت قد نجحت نجاحاً كبيراً أثناء حياتها القصيرة ، في اذكاء روح الاهتمام بعمل اللجنة وفي تطوع مساعدين يعملون على تنفيذه . وأشار الى ذلك الاسقف « ترنش » في بحثه الذي أُلغنا اليه ، فأثبت في نهايته كلمات تشجيع فقال : « واني لأذكر أن ستة وسبعين متطوعاً قد انضموا فعلاً الى اللجنة ، مطالبين بتعيين نصيبهم من العمل . وان واحداً وعشرين ومائة من المؤلفين الانجليز قد وزعت مؤلفاتهم على هؤلاء المتطوعين ، وقد اختص في حالات عديدة متطوع منهم بكامل المؤلفات الصادرة عن مؤلف بعينه . وأزيد على ذلك أن واحداً وثلاثين عملاً كاملاً قد ردت الى اللجنة حتى الآن » - ثم يقول كاتب مقدمة معجم اكسفورد الحديث : « وبهذا وضع نظام القراء المتطوعين الذين لولا مساعدتهم انفعالة ، لما تم استيعاب المادة اللازمة



لتأليف معجم الجمعية اللغوية ، اللهم إلا بمبالغ طائلة من المال وأحقاب مديدة من الزمن ، ولم يوفرها المتطوعون لاستكمال انجاز العمل .

ومضى زمن قبل أن أتيح للجمعية نشر تفاصيل عملها العظيم . ففي سنة ١٨٥٩ نشرت مقترحات لنشر معجم انجليزي حديث تقوم به الجمعية اللغوية . وقد يتضح من هذا المنشور مبلغ ما أنفق في تصميم هذا المعجم من الاستعرق في الدرس والتفكير ، واختتم بذكر الأسماء التي سيقوم عليها المعجم ، وقد اكتفى كاتب المقدمة بذكر الأول والرابع منها باعتبارها اب الموضوع : وهما .

١- ان الحاجة التي ينبغي أن تتوفر في أي معجم ، أن يتضمن كل كلمة استعملت في آداب اللغة التي يتناولها .

٢- في معالجة كل لفظ بذاته ، يجب أن تتبع الطريقة التاريخية بغير استثناء . ويتضمن المنشور عدا ذلك ارشادات للمتطوعين من جماعي الألفاظ بحسب ما اتفق عليه في اللجان الأدبية والتاريخية والاشتقاقية . ثم تنظيماً آلية وعملية ( تتبع في تدوين الألفاظ ) ، ويتلو ذلك كله قوائم الكتب ( أي المراجع ) تدل كل قائمة منها على مقدار ما بذل في وضعها من جهد ومشقة . وقد نظمت كالآتي :

الأولى - قائمة بالمراجع الانجليزية المطبوعة من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٥٢٦

الثانية - قائمة بمراجع العصر الثاني أي من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٦٧٤ .

الثالثة - قائمة بمراجع العصر الثالث أي من سنة ١٦٧٤ الى سنة ١٨٥٨ .

ولقد روعي في اختيار هذا التقسيم حدثان تاريخيان الأول : طبع العهد الجديد (الانجيل) بالانجليزية في سنة ١٥٢٦ ، والثاني وفاة الشاعر ملتن « Milton » في سنة ١٦٧٤ . ويرجع هذا الاختيار الى « هنري كولردج » H. Coleridge ، غير أنه وقع أيضاً عن مصادفة ، أن هذين التاريخين هما مبدأ الزيادة العظمى في مفردات اللغة الانجليزية ، فأقرراً واتبعوا في تبويب المؤلفات بحسبهما .

وبدأ عمل المتطوعين يثمر ويؤتي أكله ، ويزود اللجنة بمادة تعمل على بحثها وتحقيقها . ففي شهر ابريل من سنة ١٨٥٩ نشرت الجمعية تقريراً يتضمن أسئلة عن معالجة بعض المضلات الاشتقاقية وكثير من العبارات الصعبة في الكتب الانجليزية القديمة ووزعته على أعضاء الجمعية وعلى المراسلين العاملين في المعجم ، وطلبت منهم تأويلها . ولقد قام « كولردج » باستخلاص ما له قيمة علمية من الردود التي تلقتها لجنة المعجم والتي رؤي انه من المفيد أن تطبع وتنتشر ، وتقدم بهذه الخلاصة الى الجمعية اللغوية في بحث عنوانه :



« محاولات لتبيان أصول بعض الكلمات الصعبة والعبارات الغامضة عند كتاب الانجيز . وفي العاشر من شهر نوفمبر من تلك السنة نفسها قدم « كولردج » ، وكان قد عين محرراً للمعجم ، تقريراً عن « معجم الجمعية » المراد تأليفه فكان من نتائجه أن أصدرت الجمعية في الثامن من ديسمبر ثلاثة قرارات :

الأول — تأليف لجنة تضع قواعد يسترشد بها محرر المعجم .

الثاني — تأليف اللجنة من سبعة علماء لوضع هذه القواعد .

الثالث — الترخيص للجنة بطبع القواعد التي تضعها اللجنة وأن توزع نسخاً منها على أعضاء الجمعية . وأن تعين إحدى الليالي المخصصة لائتمام الجمعية ليناقد الأعضاء في تلك القواعد .

فأخذت اللجنة ، وبالحري أخذ « كولردج » بالنيابة عنها ، توّاً في تحرير تلك القواعد ثم ناقشت فيها الجمعية متوسعة في بعضها مهذبة للبعض الآخر في جلسات عقدت في شهر ديسمبر من سنة ١٨٥٩ ، ويناير من سنة ١٨٦٠ ، ثم أعيد النظر فيها ونوقشت مرة أخرى في شهري ابريل ومايو من سنة ١٨٦٠ ، ثم طبعت نهائياً بعنوان : « قواعد معجمية لغوية : أو الأسس التي ينبغي أن تراعى في تحرير المعجم الانجليزي الحديث الذي تصدره الجمعية اللغوية » — وهذا عنوانه في الانجليزية :

Canones Lexicographici, or rules to be observed in editing the new English Dictionary of the Philological Society.

وقبل ان انتقل الى الكلام في مسائل اخرى اقرر انه ينبغي لنا الحصول على هذه القواعد المعجمية اللغوية — لعلنا نسترشد بأشياء فيها تساعداً على وضع قواعد في تأليف معجمنا ربما غابت عنا وانتفع بها مؤلفو المعجم الانجليزي ، ويمكن الحصول عليها اذا اتصلنا بالاستاذ « جب » بجامعة اكسفورد .

\*\*\*

وكان العمل كما تقدمت به السنون ، ازداد القائمون بأمر المعجم بصيرة بحقيقته وعظمته وضخامته . فان محرره الأول « هنري كولردج » قد بدأ بتحرير جزء من حرف الألف في سنة ١٨٦١ ليكون مثلاً يحتذى في تحرير مواد المعجم . ولكن اتضح أن كل عمل من هذا القبيل ، انما يكون سابقاً لأوانه حتى يتم جمع أكثر مواد المعجم من المظان الأدبية واللغوية . وحتى بعد ذلك ، لا يمكن أن يكون تحرير المواد نهائياً وكاملاً ، وانما يكون تمهيداً لتحريرها بحيث يضاف الى كل مادة ما يعثر عليه في المظان من الاستعمالات في أثناء قراءة الكتب المعتمد عليها والمتخذة أصولاً لجمع مواد المعجم . ومن هذا يتضح لنا أن معجماً لغوياً تاريخياً انما هو عمل موصول أوله باخره . فقد يحتاج محرر المعجم الى إضافة



استعمال الحكامة في مؤلف ظهر في آخر عصور اللغة ، ولا يكون لهذا الاستعمال منيل فيما تقدم من الأزمان .

وفي ١٢ من يوليو سنة ١٨٦١ ، جمع « فورنيوال » Furnivall ، المحرر الذي عمل في المعجم بعد « كولردج » ، الذي مات في تلك السنة وله من العمر إحدى وثلاثون سنة ، أسماء الكتب التي قرئت حتى ذلك التاريخ ، فوقعت في قائمة عدد صفحاتها أربعة وعشرون ، ومما جاء فيها يتضح أن عدد الكتب التي قرئت من العصر الأول كان ١٤٣ كتاباً ، ومن العصر الثاني ٤٨٦ كتاباً ، ومن العصر الثالث ٨١ كتاباً .

وكان « كولردج » قبيل وفاته قد بدأ يجمع الألفاظ في قوائم سميت « أصول المقارنة » إذ بها يتضح مقدار العمل اللازم لكل حرف من حروف المعجم على حدة ، وما ينبغي أن يبذل في سبيل تحريره من كدٍ ونصب ، حتى إذا أريد بعد ذلك توزيع الحروف المختلفة على عدد من المحررين ، أمكن توزيعها بحيث يتوازي عمل كل منهم على وجه التقريب . وكان يذكر في هذه القوائم التي سميت « أصول المقارنة » عدد الجزاءات الخاصة بكل مادة بذاتها مع معرفة الشواهد المفرغة في تلك الجزاءات وما هو متفق منها ، وما هو مختلف .

وفي أوائل سنة ١٨٦٢ تقدم « فورنيوال » محرر المعجم بمقترحات إلى الجمعية اللغوية قبلت برمتها وهذه هي :

- ١ - تأليف معجم صغير يكون تمهيداً للمعجم الكبير ، ويتخذ العمل فيه أصلاً جديداً من أصول الموازنة يتناول كل العصور التي سيؤرخها المعجم الأعظم .
- ٢ - أن يكون المعجم الصغير مختصراً للمعجم الكبير وأن يتناول النواحي النطقية والانتقادية والاشتقاقية وأصول الكلمات والبواديء والكواسع Prefixes and Suffixes والتعريفات وما في بعض الكلمات من الجنس ، وأن يذكر مع كل مادة شاهد أو شواهد لا يتجاوز الواحد منها بضع كلمات مع ذكر التاريخ والمؤلف المأخوذ عنه الشاهد . وذلك من المادة المستجمعة حتى ذلك التاريخ . فاذا كان ما جمع لم يذكر شواهد بعض المواد استعين على ذلك ببعض المصادر الوثيقة التي تكون في متناول المحرر وأضيف إليها كل الأمثال والمعاني التي يحتاج إليها .

- ٣ - أن يعهد المحرر حسب اختياره بالشواهد المستجمعة عنده إلى بعض المراسلين أو إلى بعض المتطوعين ، وأن يختار من يثق بهم ليكونوا معاونين له في تحرير هذا المعجم المختصر . وكانت الفكرة الأساسية في تأليف هذا المعجم المختصر ، هو التمهيد للمعجم الكبير ومراعاة العمل فيه .



في سنة ١٨٧٩ تولى « جيمس موري » James Murray تحرير المعجم . وكانت  
الجزارات المستحقة من المظان المقروءة قد ازدادت وضخمت وأصبح من الضروري  
تنظيمها بحيث يمكن الاستفادة منها استفادة عاجلة عند الحاجة ، فضى ينظمها وكون لها  
أما كن خاصة تتسع للجزارات مبنية تبويبا أبجديا ، وأنشأ لذلك مكتباً Scriptorium جمع  
الى قاطر الجزارات موائد للتحرير ، وأخرى للراجعة وعكف على تنظيم هذا العمل العظيم  
تنظيماً يحقق الارتفاع بالمادة المجموعة ، مع الاقتصاد في الوقت قدر المستطاع .  
وحتى عند بلوغ هذه المرحلة شعر القائمون على المعجم بأهم في حاجة الى قراء متطوعين  
فطبتعت دعوة الى العالم الانجليزي في شهر ابريل سنة ١٨٧٩ بطلب المساعدة لاتمام « المعجم  
الانجليزي الحديث » ، وسرعان ما تقدم الى الجمعية الف قارىء جدد ، وأخذ جمع المادة  
اللغوية بعد ذلك يسير بخطوات سريعة محققة النتائج .

\*\*\*

ولقد اتبع في جمع مادة هذا المعجم طريقة نظمت على أساس عملي قام بتنفيذها  
المتطوعون ومساعدو التحرير . وكان من البين بدياً أن أول خطوة في سبيل تأليف معجم  
جديد للغة الانجليزية هي استجباع شواهد وثيقة من الأدب الانجليزي في خلال عصور  
اللغة المختلفة . وكان « جونسون » و « ريتشاردسون » قد انتقيا من المادة التي استجبعها ،  
ومن الظاهر ان هذا الانتقاء ينبغي أن يكون له حدود عملية يسير بمقتضاها ، بصرف النظر  
عن سعة المادة التي ينتقى منها ، وفي هذه الحالة كان الاشراف على ما ينتقى من الشواهد أمراً  
غير يسير . وكان الضمان الوحيد لعلاج هذه الصعوبة هي أن يكون من عناية بعض القراء  
وقوة تمييزهم وسمو ذوقهم الأدبي ، ما يمكن أن يسد نقائص الآخرين .

ومن الارشادات التي نشرت في سنة ١٨٥٨ وسنة ١٨٧٩ أمكن الوصول الى اتساق  
في الأسلوب الذي يتبع في عرض الشواهد . فكل شاهد يكتب في جزارة هي عبارة  
عن ربع فرخ من الورق ( ما عدا القراء الذين كانوا يستعملون ورقاً من عندهم ،  
فهؤلاء كانوا يكتبون على جزارات حيثما اتفق نوعها وسعتها ) ، ولا تكون الجزارة كاملة  
إلا باستكمال ثلاثة وجوه . ( الاول ) الكلمة المنتقاة وتكتب في الركن الأيسر العلوي من  
الجزارة ( الثاني ) التاريخ والمؤلف والعنوان والصحيفة وغير ذلك من البيانات الخاصة  
بالكتاب المأخوذ منه ( الثالث ) الشاهد نفسه ، إما كاملاً وإما مختصراً : بطريقة لا تعيبه .  
فكانت الجزارة الكاملة مثلها كالاتي :



Britisher

1883, Freeman Impressions U. S. iv. 29. I always told my American friends that I had rather be called Britisher than an Englishman, if by calling me an Englishman they want to imply that they are not Englishmen themselves

ومن أجل أن يسهل على القارئ تحرير الجزاءة من غير أن يضطر إلى تكرار البيانات المذكورة في الوجه الثاني ، أي التاريخ والمؤلف والعنوان والصحيفة الخ ، طبعت هذه الأشياء على الجزاءات ، وما على القارئ إلا أن يملأ فراغها مع نقل بعض الشواهد فقط ، ومع ملاحظة تقدير العدد اللازم من الجزاءات لكل كتاب على ضوء حاجة العمل في كتب مماثلة . كما أنه استعيض عن الطبع بطوابع توضع على كل جزاءة وعليها البيانات اللازمة . والطريقة التي أراها ناجحة في تدليل هذه الصعوبة هي أن نعد إلى الأرقام فهي أسهل وأسرع ، فيطبع على الجزاءة الكلمات الآتية وتتملأ بأرقام كالآتي :

|        |        |       |           |         |       |            |
|--------|--------|-------|-----------|---------|-------|------------|
| الكلمة | الكتاب | الفصل | التاريخ   | الصحيفة | السطر | الطبعة (١) |
| أخذ    | ٣١٥    | ٢     | س ٣٢٠ ق ٢ | ٢٢٠     | ١٢    | مصر - ١٩٤٠ |

والأرقام المعينة للمراجع تفرغ في قوائم يرجع إليها عند تحرير المادة

وقد طلب في الارشادات التي وزعت على القارئين مراعاة الأسس الآتية : ( وكان ذلك فيما نشر سنة ١٨٧٩ )

١ - ذكر شاهد لكلمة ترى أنها نادرة الاستعمال أو مهجورة أو قديمة المعنى أو خاصة أو استعملت بمعنى خاص .

٢ - يلتفت التفاتاً خاصاً للعبارة التي تظهر أو تتضمن الدلالة على أن اللفظ جديد ومستعمل ، أو أنه في حاجة إلى بيان أنه مهجور أو عهيد ، وبذلك يمكن تعيين تاريخ استعماله أو اغفاله .

٣ - ذكر عدد الشواهد بقدر المستطاع للكلمات العادية . وبخاصة عندما تستعمل للدلالة خاصة ، والرجوع إلى القرينة لتوضيح معناها أو ذكر ما يساعد على ذلك من الفروض ومن الظاهر أن هذه القواعد تختلف درجات السهولة في تطبيقها باختلاف الكتب ، وأن مهمة بعض القراء قد يتفق أن تكون أكثر صعوبة وأوسع مدى من مهمة البعض



الآخر ، حتى إذا تناول كل منهم كتباً تتساوى من حيث الضخامة ، وكذلك كمية العمل والانتاج ، فإنها تختلف اختلافاً كبيراً . وفي كلا العهدين الذين مرّ بهما تأليف المعجم ، كان من بين القراء من هم المثل الأعلى في الانتاج ، وقد تركوا في كل صفحة من صفحات المعجم أثراً يمكن أن يراه كل من له خبرة خاصة بذلك . فهؤلاء من ناحية ، مع جيش عظيم من القراء الذين هم أقل منهم انتاجاً واثقائاً في العمل من ناحية أخرى ، استطاعوا أن يضخموا كمية الجزازات حتى ضاقت بها الأماكن التي خصصت لها في المكتب العظيم الذي أسسه الأستاذ « موري » . وبما يدل على مقدار السرعة التي ازداد بها عدد الجزازات في العصر الذي بلغ فيه انتاجها أعظم مبالغة ، عبارات نشرت ضمن تقرير تناول سير العمل جاء فيه :

في شهر مايو من سنة ١٨٧٩ ، تقدم الى الجمعية ، تلبية للنداء التي نشرته في أواخر ابريل من السنة نفسها ١٦٥ قارئاً ، منهم ١٢٨ اختاروا الكتب التي يقرءونها بأنفسهم ، فزودوا بالجزازات ، وهم عاكفون الآن على العمل أما عدد الكتب التي وزعت فبلغ ٢٣٤ كتاباً .

وبعد مضي سنة على نشر هذا التقرير ( ١٨٨٠ ) ، بلغ عدد القراء ٧٥٤ عكفوا على قراءة ١٥٦٨ كتاب ، انتهى العمل في ٩٢٤ منها ، كما بلغ عدد الجزازات المطبوعة التي وزعت عليهم ٦٢٥٠٣٥ ، انتفع منها بما لا يقل عن ٣٦١٦٧٠ شاهد لغوي تاريخي . ومن هؤلاء القراء امتاز عدد بضخامة الانتاج فتراوح ما أرسل منهم بين ٤٥٠٠ و ١١٠٠٠ جزازة . وبمضي سنة أخرى ، أي في سنة ١٨٨١ بلغ عدد القراء ٨٠٠ منهم ٥١٠ لا يزالون يعملون في جمع الشواهد ، وبلغ عدد الجزازات في تلك السنة ٨١٧٦٢٥ والشواهد المنتفع بها ٦٥٦٩٠٠ . وبلغ عدد المؤلفين الذين جمعت مؤلفاتهم ليرجع اليها ٢٧٠٠ ، وبلغ عدد عناوين الكتب ٤٥٠٠ .

أما تفاصيل هذا النشاط العظيم فقد أشير اليها في مقدمة الجزء الأول من المعجم ، كما أن قائمة كاملة تضمنت أسماء القراء ، والكتب التي قرءوها في المدة الواقعة بين سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٤ مع ذكر عدد الشواهد التي استخلصها كل منهم ، قد ألحقت بخطاب الرئاسة الذي صمته الجمعية اللغوية في سنة ١٨٨٤ . فاذا نظرت في هذه القائمة اتضح أن الاهتمام بشأن هذا المعجم في الولايات المتحدة قد ازداد بمر الزمن واحتفظ بطابعه . حتى لقد أشار مستر « موري » في خطاب الرئاسة سنة ١٨٨٠ الى ما كان من غير أهل الولايات المتحدة على العمل والنتائج التي أخرجوها فقال :



« أما من حيث قراءة المراجع ، فاني لا أستطيع أن أقوم بواجب التقدير لما أبدى أصدقائنا في الولايات المتحدة من غيرة وعطف ، فان غيرتهم الصادرة عن حب صحيح لغتنا المشتركة وتاريخها ، والرغبة الكبيرة في اخراج معجم جدير بهذه اللغة ، جُماع ذلك قد ترك في نفسي أثراً عميقاً لا يزول . واني لا أتردد في القول بأنني قد آنست في الأمريكيين حباً مثالياً للغة الانجليزية باعتبارها ميراثاً عظيماً ورثناه عن أوائلمانا ، ونفخراً بأن لهم صلة بذكرياتها المجيدة ، أشبه بذلك التفخار الذي يتيه به بجائته فذ من اتصاله بأداب الاغريق الأقدمين . آنست ذلك فيهم بقدر ما آنست من ندرة تلك المشاعر بين الانجليز نحو لغتهم . ومن هنا استنتج معتمداً على قرائن عديدة ، أن الأمريكيين سيكون لهم القيادة العليا في البحوث الانجليزية بعد مضي زمن ليس ببعيد » .

ولا يقل عمل الذين تطوعوا في مساعدة التحرير شأناً عن عمل القراء . ولو لم يقم هؤلاء بعمل سوى تصنيف ٣٥٠٠٠٠ ر ٣٥٠٠٠ جزازة من جزازات المعجم ، لكان في هذا العمل وحده من اقتصاد في الوقت والمال ، ما لا تقدر له قيمة حقيقية . ولكن الواقع يشهد بأنهم اشتركوا اشتراكاً فعلياً في تنسيق تحرير المعجم تنسيقاً ظهرت آثاره السريعة في انجاز الجزء الأعظم من صفحاته .

\*\*\*

واستمر العمل في المعجم بنشاط كبير حتى أن « هنري كولردج » قد تصوّر أنه من الممكن أن يخرج الجزء الأول من المعجم بعد سنتين من بدء العمل فيه أي حوالي أوائل سنة ١٨٦٢ ، وقال إنه لو لا تواني بعض القراء لاستطاع أن يعين لايخرج الجزء الأول مبعداً أقرب من هذا . ولكن الواقع أن بدء تكوين المواد الأولى من حرف الألف لم يبدأ إلا في سنة ١٨٨٢ ، وأخذ العمل في المعجم يتم على النمط الآتي :

|    |   |      |   |      |
|----|---|------|---|------|
| AB | — | 1882 | — | 88   |
| C  | — | 1888 | — | 93   |
| D  | — | 1893 | — | 97   |
| E  | — | 1888 | — | 93   |
| F  | — | 1893 | — | 97   |
| G  | — | 1897 | — | 1900 |
| H  | — | 1897 | — | 99   |

والسبب في تداخل السنين في تحرير

هذه الحروف أنه كان قد عهد الى لجان

مختلفة بتحرير مواد حروف بعينها.



ومن أهم ما يلاحظ في تأليف المعجم قول كاتب المقدمة أن العمل الذي قام به المساعدون الرسميون كان له الأثر الرئيس في جميع الأدوار التي قطعها القائمون بأمر المعجم بعد تنظيم العمل بالاعتماد عليهم فكان من نتيجة ذلك توالي الخطوات على النسبة الآتية

|                   |                   |                   |
|-------------------|-------------------|-------------------|
| IJK — 1899 — 1901 | L — 1901 — 03     | O — 1902          |
| O — 1902 — 1904   | M — 1904 — 08     | R—Re — 1903 — 07  |
| P — 1904 — 09     | S—SH — 1908 — 14  | N — 1906 — 07     |
| T — 1909 — 15     | St — 1914 — 19    | Re—Ry — 1907 — 10 |
| Wh—Wo — 1922 — 27 | W—We — 1920 — 23  | Si—Sq — 1910 — 20 |
|                   | Su—Sz — 1914 — 19 | V — 1916 — 20     |
|                   | XYZ — 1920 — 21   | U — 1921 — 26     |
|                   |                   | Wo—Wy — 1927      |

وظهر المعجم مطبوعاً أول مرة في سنة ١٩٢٨ .

\*\*\*

### إيضاحات عامة

من الإيضاحات العامة التي ذكرت في مقدمة معجم أكسفورد الحديث ما يمكن الانتفاع به ، لأنه يتناول جهات عامة يستطاع تطبيقها على كل الحالات ومنها ما لا يمكن الانتفاع به لأنه يتعلق بخصائص اللغة الانجليزية التي لا يشاركها فيها لغة أخرى . لهذا نلخص هنا ما نتوقع ان نتفع به من الآراء التي اتخذت دعاماً لتأليف هذا المعجم اللغوي التاريخي الذي يعتبر الآن الديوان الكامل للغة الانجليزية

ان مفردات لغة حية عظيمة الانتشار سامية الآداب فائقة الثقافة، لا يمكن أن تصبح كمية ثابتة تحوطها حدود معينة . فان تلك المجموعة الهائلة من الالفاظ والعبارات التي منها يتكوّن مفردات اللغة التي يتكلمها الانجليز ، انما تمثل لعقل أولئك الذين يريدون النظر فيها باعتبارها كلاً محدود النواحي معين الاطراف، منظر واحدة من تلك الكتل السديمية المعروفة عند الفلكيين، والتي يكون فيها نواة نيرة تستبان بدقة، مرسلّة ضوءها إلى جميع ما يحوطها فيخترق مناطق يقل فيها الضوء ، الى أخرى تلوح كأنها برق كسفيد لا تكسبه له منتهى ولا غاية ، ثم تمتد كمده متدرجة شيئاً بعد شيء حتى تغيب في الظلمات الخافتة به ، من غير أن يدرك كيف غابت وكيف ابتلعها تلك الظلمات . فاللغة في تكوينها وحقيقتها يمكن أن

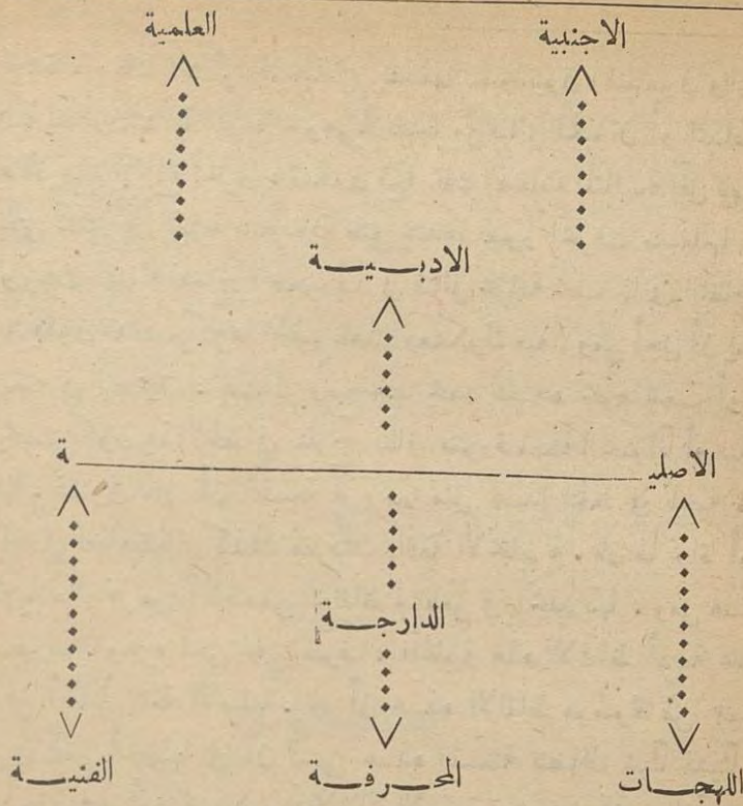


توازن بواحدة من تلك العشائر الطبيعية التي يصنفها الحيوانيون والنباتيون والتي تتخذ فيها أنواع مثالية لتكون بمثابة النواة الجوهرية لقبيلة من قبائل الحيوان أو النبات ، في حين تتصل هذه الانواع بأنواع أخرى ، تكون فيها تلك الصفات المثالية أقل ظهوراً ثم أقل ظهوراً ، حتى تختفي في النهاية عند حافة نلتقي عندها بصور انحرفت صفاتها عن الصفات المثالية ، ونزعت الى الاندماج لاشعورياً في قبائل مختلفة تحف بها في النظام الطبيعي ، أي الى حيث يكون تحديد مركزها الحقيقي غامض ومشكوك فيه . ومن أجل أن يسهل الباحث الطبيعي مهمته في التصنيف ، يبدأ بوضع خط يحدد عنده تخوم شعب أو قبيلة من الاحياء ، بحيث يكون هذا الخط في خارج نطاق صورة معينة (حيواناً أو نباتاً) أو في داخل نطاقها ، ذلك في حين أن الطبيعة لم ترسم مثل هذا الخط في ناحية من نواحيها ولم تقم نداله في تضاعيفها كذلك مفردات اللغة الانجليزية ، فإن لها نواة أو بالأحرى كتلة مركزية مكونة من آلاف من الالفاظ لم يطعن في انجليزيتها ، ومن هذه الالفاظ جزء أدبي صرف ، وجزء آخر علمي صرف ، فأغلبية هذه الالفاظ أدبية علمية ، وهذه هي التي تدعى ألفاظ اللغة الاصلية ، غير أن هذه الالفاظ موصولة من جميع نواحيها بألفاظ أخرى تمضي أحقيتها في أن تسمى هذه التسمية تتضاءل شيئاً فشيئاً ، في حين أن تضائل أحقيتها في أن تكون من « الالفاظ الاصلية » يحرفها نحو مجال آخر : أي نحو اللهجات المحلية ، أو التحريف أو الكلام الاصطلاحي الذي يكون لبعض الطوائف والطبقات ، أو العبارات التجارية أو ما تواضع عليه بعض الشعب الاجتماعية ، أو المصطلحات العلمية التي يشترك في استعمالها كل الامم المتعددة ، واللغات التي يتكلمها أهل البلاد الاجنبية أو بعض الامم الأخرى . ولن تقع في جميع ذلك على خط تعييني في جميع هذه الاتجاهات . فدائرة اللغة الانجليزية لها مركز معروف تمام المعرفة محدد تمام التحديد ، ولكن لن نقف له على محيط محدود . ذلك في حين أن الاستفادة العملية من معجم ، ينبغي أن يكون لها بعض الحدود .

وإن معجماً ما لا بد من أن يكون له منتهى وغاية . وهنا ينبغي للمعجمي أن يشبهه بالعالم الطبيعي ، فيرسم خطاً أولياً في موضع ما لكل اتجاه من اتجاهات الانقراج والتباعد .

ولقد رسم مؤلف مقدمة اكسفورد شكلاً بيانياً لالفاظ اللغة الانجليزية على الصورة الآتية :





فمعجم جديد يؤلفه معجميون محدثون ، ينبغي أن يتضمن جميع الألفاظ العامة في الأدب والحديث ( الكلام ) ، وكذلك الألفاظ العلمية والفنية والمحرفة وألفاظ اللهجات والألفاظ الأجنبية المستعملة في اللغة والتي درجت بها الألسن مما قارب مرتبة « الألفاظ العامة » للغة . وبعد كل هذا ينبغي أن يعلم المعجمي أن الخط الذي رسمه لألفاظ اللغة سوف لا يرضي النقاد . ذلك بأن مجال « الألفاظ العامة » يتسع بمقتضى اطلاع كل ناقد وبحوثه وأعماله ومعاشه من حيث اقامته في الريف أو المدن أو في بلاد أجنبية ، كما يضيق هذا المجال في النواحي التي لا صلة له عملياً بها . فليست الإنجليزية أي فرد هي الإنجليزية برمتها ، ولذا ينبغي للمعجمي أن لا يقتنع إلا برصد الجزء الأعظم من الألفاظ التي يستعملها كل فرد بذاته ، وهذا يفوق ، بما لا يمكن تقديره ، مجموع الألفاظ التي يستعملها فرد واحد .

بالإضافة إلى الألفاظ العامة للغة ، وبالإضافة إلى كل اتجاهات التوسع والتباين فيها ، تقع على عدد غير محدود من أسماء الأعلام مرتجلة ومنقولة تخرج عن دائرة الألفاظ المعجمية ، في حين أنها تسهم من آلاف النواحي التي تضي على هذه الأسماء ، وبصورة أخص على النعوت والأفعال المستمدة منها ، قيمة معنوية تختلف بحسب الأحوال . وفي هذه الحالة ينبغي أن نرسم حدوداً قد يزيد فيها أثر الاختيار أو يقل .



كذلك نجد أن اللغة ناحية أخرى لا يمكن تحديد تخومها ، ذلك إذا نظرت إلى اللغة من حيث علاقتها بالزمان . فإن المفردات الحية للغة من اللغات ، لا تملك من صفة الاستقرار في تكوينها ، أكثر مما تملك من صفة التقيد بحدود تنتهي عندها . مفردات اللغة اليوم غيرها منذ قرن من الزمان ، وكذلك ستكون غيرها بعد قرن يمر من الآن . ذلك بأن عناصرها المكوّنة لا تفتأ في انحلال وتجدد مستمرين ولكنهما بطيئاً الأثر . فالألفاظ القديمة يتولاهما الاغفال فتصبح مهجورة أو ميتة . ذلك في حين أن الألفاظ الجديدة دأمة التغلغل في تضاعيف اللغة . وموت كلمة من الكلمات ليس من الأشياء التي يمكن تحديد زمانها تحديداً تاماً . ذلك بأن موت اللفظ عبارة عن عملية اختفاء ، تستمر زمناً متطاولاً ، لا يستطيع المعاصرون أن يدركوا نهايته . فكلمة تستعمل في هذا العصر ، لا يمكن أن تموت ، وأما تموت بعض الكلمات بموت أجدادنا الذين كانوا يستعملونها . وحتى بعد أن نكف عن استعمال كلمة ، فإن ذكرها تظل حية قائمة ، وتبقى معتبرة حية على اعتبار إمكان الرجوع إلى استعمالها . فإذا مات آخر من يحتمل أن يستعملها ، ماتت الكلمة . ومن هنا نجد أن هنالك عدداً كبيراً من الألفاظ نشك في أنها وحدة من الوحدات الحية في اللغة ، ذلك بأنها حية عند البعض ، ميتة عند آخرين ، ونرى من جهة أخرى أن ألفاظاً يمكن أن يكون لها حق الدخول في مجموعة المفردات المعترف بها في اللغة وهي ألفاظ يمكن أن يعود بعضها إلى التقبل والاستعمال ، بل هي من الألفاظ الكثيرة الدوران على ألسنة بعض المتكلمين وأقلام بعض الكتابين ، وهي ليست من الإنجليزية الجيدة عند البعض ، أو هي ليست إنجليزية بحال ، عند البعض الآخر . إذا اتبعنا طريقة تقسيم الألفاظ قسمين : مستعمل ومهجور ، وجعلنا الفكرة في اللغة مقصورة على الألفاظ التي هي إنجليزية صرفة منذ البداية أو من عصر ما من العصور ، فإننا بذلك ندخل ناحية من موضوع بحثنا يكون استعراضنا فيها لطبيعة اللغة ناقصاً غير تام . ذلك بأننا نعرف مفردات العصور السالفة عن طريق المدونات التي تركها السلف ، ومقدار علمنا بها يتوقف على كمية ما يصل إلينا من هذه المدونات والمأمن بمحتوياتها . وكلما كان رجوعنا إلى الماضي أبعد وأقصى ، نقصت هذه المدونات ، وقل محصول المفردات التي يمكن أن تقع عليها .

( يلاحظ هنا أن الحال في اللغة العربية الآن ربما كان على عكس ذلك تماماً )

وهذا المعجم ، مع خضوعه لكل الحالات التي يمكن أن تعتور تأليف معجم كامل للغة الإنجليزية ، سيتضمن تاريخ كل الكلمات المستعملة الآن ودلائلها ، والكلمات التي يمكن أن يعرف أنها كانت مستعملة منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي . وكان تعيين هذا العصر راجعاً إلى الرغبة في إهمال جميع الألفاظ التي استعملت في الإنجليزية القديمة أو الانجلوسكسونية .



# انطون تشيكوف

## القصصي الروسي

ولد انطون تشيكوف وهو من أعظم القصاص الروس عام ١٨٦٠ في مدينة تاجانروج Taganrog بجنوبي روسيا وبرغم انه نشأ في بيت لا يمت بصلة الى الطبقة العليا او المتوسطة اذ كان والده عبداً محرراً ووالدته ابنة تاجر ، فانه لم يتخلف في مضمار التعليم والتهذيب ولم يكن أنطون تشيكوف سعيداً في حياته ، اذ تضافر الضنك والقسوة الابوية عليه وقد صرّح مرة بأنه لم يكن حدثاً في يوم ما ، لأن حياته كانت معذبة . التحق بكلتا المدرستين اليونانية والعالية في تاجانروج ، وتخرج عام ١٨٧٩ في جامعة موسكو طالب طب . وفي هذه السنة نفسها ، ابتداءً تشيكوف يمد الصحف والمجلات الاسبوعية ومنها الفكاهية ، بقصصه ونوادره . ونال عام ١٨٨٤ درجته الطبية ثم اشتغل حولا من الزمان بالتطبيب فكان موفقاً ، واستمر يتابع دراسة الطب حتى بعد ان اتخذ لنفسه مهنة الكتابة حرفة ، وأدى خدمة طبية جلية حينما انتشر وباء الكوليرا عام ١٨٩٢ ، لم يرج منها جزاءً ولا شكوراً

\*\*\*

إن أعمال تشيكوف الخيرية الكثيرة التي أداها للمتألمين والمتضايقين لتفصح عن رقة قلبه وعظم اهتمامه . فقد أسس مدارس ريفية ، وصادق المعلمين التعمساء ، ووفر القوت لصرعى الجوع والقمحط . وفي عام ١٨٩٠ ، زار مستعمرة العقوبات بجزيرة سخالين Sakhalin لسكي يدرس نظام اشتغال السجناء بفلاحة الارض ، تمهيداً لوضع كتاب في هذا الموضوع . ولما واثمه الشهرة والثروة ، قضى أوقات فراغه في الفلاحة ، وفتح باب منزله على مصراعيه لاستقبال الناس على اختلاف حالاتهم ، يلجأون اليه طالبين إرشاداً روحياً ، وتحرراً من أمراضهم الجسدية . وبرغم انه أصيب قبل وفاته بنحو خمسة عشر عاماً بالتدردن الرئوي ، فانه لم يدع حالته الصحية تمنعه من الكتابة او تؤخره عنها . واجابة لرغبة طبيب ، ترك تشيكوف سكنه في الشمال عام ١٨٩٨ ، ونزح الى القرم الدافئة ، وهناك بنى لنفسه منزلاً في يالتا Yalta وفيه بدأ كتابة مسرحيته الخالدة «حقل الكريز» The Cherry Orchard التي مثلت في اليوم



السابع عشر من يناير من العام التالي على مسرح موسكو الفني بحضور تشيكوف نفسه إذ أصر على مشاهدة العرض الاول رغم سوء حالته الصحية. وفي يونيو ١٩٠٤ صحب معه اولجانيير Olga Knipper مثله موسكو التي تزوجها قبل ثلاثة أعوام، صحبها إلى الغابة السوداء أملاً في التخلص من دائه، ولكن حالته ازدادت سوءاً فمات في يوليو التالي في قرية بادنويلر

الصغيرة Badenweiler

وكان تشيكوف كغيره من الروسيين مكباً على دراسة نفسه وخصها والتعن فيها حتى ان كتاباته اصبحت تترجم عن حياته دون مراة وتظهر شخصيته وأخلاقه دون تزويق او طلاء. والصورة التي نستطيع استخلاصها من قصصه ومسرحياته ورسائله هي صورة شخص دعامة الحب، له سمات القديسين، لطيف، رؤوف، حساس، شجاع، حر الفكر، على استعداد لأن يقف موارد المالية ومعارفه الطبية دائماً على المحتاجين من جميع طبقات بني وطنه. وقد نجح تشيكوف باعتباره فردياً متطرفاً Strong Individualist في سلوك حياته على حسب رغبته ووفق منهله او كما وصفه القصصي الروسي ماكسيم جوركي: «في كل حياته عاش تشيكوف على نفسه، فقد كان دائماً كما هو، محرراً في دخيلته لا يعبأ بما يرحوه منه الآخرون» وكان تشيكوف أديباً منصفاً دقيقاً، وكانت له قدرة عظيمة على العمل، فبرهن برغم علله الجسدية على أنه كاتب خصب مثمر. وقد خلف، الى جانب مسرحياته نيفاً واربعائة قصة قصيرة تكشف عن سعة معلوماته وتظهر كمال ملكته الادبية. وكانت كتابة الرواية novel النوع الوحيد من فنون الأدب، الذي لم ينبغ فيه

وكثيراً ما اطلق على تشيكوف لقب «موباسان الروسي» وعلى الرغم من زعامة كل من موباسان وتشيكوف في كتابة القصة القصيرة فانهما لا يتفقان في أشياء كثيرة. فقصص موباسان الفاترة تتعارض مع حمية قصص تشيكوف وميله الى النزعة الانسانية، كما ان إحكام بناء قصص موباسان وسبك تركيبها يختلف عن قصص تشيكوف التي تقل عنها حبكاً وسبكاً

\*\*\*

وفي عام ١٨٨٤ سخر تشيكوف قلمه أولاً لكتابة الدراما. فأنهى مسرحية «على الطريق المرتفع» On The High Road التي لم تطلع على عالم الادب بجديد، ولم تخلق ثورة في دنياه وبعد سنوات، في عام ١٨٩٦ قدم مسرحية The Sea Gull وهي تفوق سابقتها بمراحل، ومثلت في سنت بطرسبورج على عاذه القوم في التمثيل، ولكنها لم تنجح، فغادر تشيكوف المسرح، وكان يشهد تمثيلها، معتقداً انه ايس بالسكاتب المسرحي، وصمم على هجر هذا الفن إلى الأبد. ولم يزعزع عن عقيدته هذه ويرجع إلى صوابه إلا بعد أن أعيد



تمثيل The Sea-Gull في مسرح موسكو الفني عام ١٨٩٨ تحت إشراف المخرج العظيم ستانيسلافسكي Stanislavsky فسمما بتمثيلها الى الذروة وأعاد الى تشيكوف ثقته بقواه، وحرَّك فيه حماسه المسرحية السابقة التي كادت تخمد، ونقض الرماد فبدا الجمر المستعر، وتبدت الجملة الملهبة واثارت القوة الدفينة، فاستطاع في سبع سنوات ان ينصرف الى كتابة مسرحياته الخالدة التي نال بها الشهرة الطائفة والصيت الذائع.

وكان من حسن التوفيق أن تعاهد تشيكوف ومسرح موسكو الفني، فأصبح عميده المبدع في الانتاج الذهني والكتابة المسرحية، واجتمع للمسرح الى جودة التأليف، جماعة من خيرة الممثلين، استطاعوا بفضل مقدرتهم وحسن قيادتهم أن يخلقوا الجو الملائم، ويعبروا التعبير الصادق عما يتطلبه دور كل منهم، وان يطمسوا كل غموض في مسرحيات تشيكوف ويجعلوها ذات مغزى ومعنى ومذاق.

ويحق لتشيكوف أن يدرج اسمه في عداد الطبيعيين، إلا أن طبيعته تغلب عليها النزعة الفردية، وهو قليل الاهتمام بالقشور من التعاليم، شديد العناية بالحقائق السامية الخفية التي كان كثيراً ما يسوقها في أسلوب رمزي دقيق.

وأدبه كله احساس، غني في روحانيته، ماكر في سياقه، عرضي في عرضه، حتى انه يبدو في كثير من الأحيان بلا غرض أو برمي. ولكن خاتمة مسرحياته تحمل على الاعتقاد بأن هذه العرضية أو الاتفاكية ظاهرية أكثر منها حقيقية، وان مسرحياته الجميلة تسير من بدايتها الى نهايتها وفق خطة ماهرة.

\*\*\*

أما أشخاص مسرحيات تشيكوف، فهم يعيشون وكلهم حياة ويقدمون أنفسهم الى النظارة أو القراء بما يقولون أكثر مما يفعلون. وأما الحوار المرن الطبيعي فهو محشو بعبارات التردد وألفاظ الشك، كثير التقطع والتكسر. ولم يهب تشيكوف الحياة لأشخاص مسرحياته وحسب، بل تعداها، الى بعثها في الاجسام المادية التي تدخل في المسرحيات، كالصقع، وقوى الطبيعة، وحتى أثاث المنزل وريشه، واستطاع كذلك أن يجعل جميع الأشياء الظاهرة والخفية، حنطة لطاحونته النفسية، وعجينة في يديه يشكلها كيف شاء.

وبرغم أن تشيكوف لم يكن من عمد مدرسة «المسرحية المحبوبة»<sup>(١)</sup> يصعب علينا

(١) مدرسة المسرحية المحبوبة well-made play مدرسة فرنسية يترجمها Dumas fils, Scribe  
Sardou, Augier



انكار أن دراسته للأساسة الفرنسية أثرت تأثيراً ناجعاً في كتاباته المسرحية، وأنقذته من بعض القصور المعيب الذي يميل اليه الأدب الروسي. كما أنه تعتمد إهمال كثير من التداوير المرعية، مثل المناظر الهندسية البارة، والختامات المختلفة، والاستائر المسدلة وابتدع نظاماً فريداً استطاع أن يجعله آلة يسخرها لتصوير مختلف المشاعر، وتبيان شتى السجاياء والنزعات، وذلك ما أعاره تشيكوف جل عنايته واهتمامه.

\*\*\*

وتغلب على كتابات تشيكوف نفمة كئيبة حزينة، ولعل هذا هو السبب الذي حمل البعض على الظن بأنه كان ينظر في الحياة نظرة تشاؤم وانقباض. ولكننا اذا علمنا ان هذا الأسلوب الكئيب Welschmerz يمثل صادق لما اتصف به الروس، وكذلك لو أدركنا أن تشيكوف كان يعيش في عصر ركود قومي مشيط للهمم، لأدركنا السر في هذه النفمة الحزينة التي تسم كتاباته. وكان طبيعياً جداً أن كاتباً حاد البصيرة حيّ الروح مثله، يقدم صورة شوهاء لمن مشوه، وقد صرح هو بنفسه أنه رأى من واجبه الأدبي أن يقدم حقائق الحياة الأساسية، مهما كانت خستها، دون خوف أو محاباة أو تشويه، فقال: «ليس الكاتب حلوائياً»<sup>(١)</sup>، أو تجرلاً، أو مرفهاً أو نديماً مسلياً. انه رجل مرتبط بعقد مع ضميره وشعوره الذاتي بواجبه، ومتى وضع يده على المحراث وجب ألا يلتفت الى الخلف. وعليه، مهما جابهه من مشاق، أن يتغلب على الغثيان، وأن لا يلوّث مخيلته بدنس الحياة. واجب الأديب أن يقول الصدق عن شخصياته وألا يحاول السمو بأخلاقهم، يجب ألا يكون لهم ديناً، أو قاضياً عليهم. ويحمل الاعتراف بأن تشيكوف كان عملياً، وأنه كان مخلصاً لهذا المبدأ وفيّاً له.

\*\*\*

ويعرض تشيكوف في معظم مسرحياته، بؤس الأشراف الذين غدر بهم الزمان وتدهورت حالتهم، وهي الطبقات التي تدرك عجزها ووهنها، والتي أصبحت الحياة لا تحمل لها أي معنى أو مغزى. ولا يسع الإنسان إلا أن يعجب كيف يتشبث هؤلاء القوم المحطّموا القلوب، الضعفاء الارادة، بالحياة! فبرغم إدراكهم أن القرص تولى الأدبار عنهم، فإنهم ما فتئوا يترددون ويماطلون ويسوفون، معلّمين نكبتهم «بالقضاء والقدر» وهو الاعتقاد

(١) الحلوائى صانع الحلوى وبائعا.



الذي به يمرر الخامل خوله . والقوة الوحيدة التي يملكونها ، تظهر في مقدرتهم الفائقة على احتمال الألم والصبر عليه ، وقد أجاد الناقد الروسي تومكيف Tomkeyeff تشخيص الأمراض التي يعانيتها هؤلاء القوم حينما قال : « تعاني جميع الشخصيات التي ابتدعها تشيكوف شللاً الارادة ، والفساد في الطبيعة وعدم ضبط النفس ، وهم على استعداد للانتحار ، أو لطلب العزاء والسلوى في كؤوس الراح في كل مرة تسلب الحياة منهم شيئاً معيناً . وهم لا يطمحون الى مثل عليا عملية ، ولا يستطيعون تأدية عمل . أما العمل الوحيد الذي يملكون انجازه ، فهو نسيج هش من الأحلام » .

\*\*\*

وجميلُ بنا أن نسجل هنا أن كآبة مسرحيات تشيكوف يتخللها بصيص من المرح ، وأن بعض الفقرات المبعثرة في مسرحياته ، تحمل على الاعتقاد بأن تشيكوف كان متفائلاً أصلاً ، وأنه يؤمن إيماناً غير محدود بالتقدم البشري ، وأنه يؤمل تحقيق سعادة العالم في المستقبل .

ويشترك تشيكوف مع كارليل في صفة واحدة على الأقل ، وهي أنه علق شأنًا كبيراً على « العمل » ، وعدّه التريق لسلك داء عضال فتاك ببني وطنه . وقد تبدى هذا الزعم على لسان بعض أشخاص رواياته ، فهم يمجّدون العمل ، ويرون فيه أعظم ضمان وأوكده لتحقيق سعادة الأجيال القادمة . وقد قال بهذه النظرية طوسنباخ Tusebach في رواية تشيكوف المسماة « الشقيقات الثلاث » The Three Sisters إذ قال متنبهاً : « الوقت قريب ، والسيل ينهمر صوبنا والعاصفة الهوجاء ستبلغنا ، وهي قريبة منا ، وسوف تزيل من المجتمع التراخي وعدم المبالاة ، وبغض العمل ، والكلل والملل . سأعمل ! وبعد خمسة وعشرين عاماً أو ثلاثين ، سيحمل الجميع على العمل » . وقد تحقق هذا الرأي برمته في القرن العشرين وفي نظام روسيا السوفيتية .

وظاهر أن غرض تشيكوف من كتاباته هو أن يبين أن الشقاء ليس إلا فترة انتقال يجب احتمالها بالصبر للتكفير عن الأخطاء الماضية ، والاستعداد لأيام السعادة المقبلة <sup>(١)</sup> .

وربع فلسطين



# سيكولوجية أدلر

تلخيص وتبسيط

## نظرة عامة

يرى « الفرد أدلر » أن اتصال الانسان — ذكراً كان أم أنثى — بالحياة والناس يقوم على دعائم ثلاث : العمل ، والحب ، والعلاقة الاجتماعية . ان هذه عنده هي وظائف الفرد في الحياة . فاذا كان الفرد مطمئناً فيها جميعاً كان انساناً سويّاً هائئاً ، والا فانه لا ينجو حين تنتقصه الحياة إحدى هذه الصفات الثلاث ، من أن يكون هدفاً لالتحراف عصبي .

ولأدلر نظرية قائمة بذاتها في علم النفس مركزها فكرة (النقص) . ويظهر من تجارب الناس في الحياة ان فلسفة أدلر النفسية فيها شيء من الحق ، ان لم يكن فيها الحق كله ، بالرغم من النزاع العنيف القائم بين اتباعه وأتباع فرويد .

ونظرية أدلر الأساسية في علم النفس بسيطة . وقد وضعها هو في عبارات وشروح سهلة تجعل كثيرين ينظرون اليها مرتابين أول الأمر ، خشية أن تكون هذه الفكرة قولاً عادياً لا طائل وراءه . والذي قرب نظرية « أدلر » من الأذهان أمران : أولهما نزعة العنف الى التبسيط ، وثانيهما طواعية أمثلة كثيرة من الحياة لتكون شواهد عليها ، وشعور كل انسان بشيء منها في نفسه . والنظرية تقول بعد الى دعوة اصلاحية عامة ذات مساس شديد بمصالح الناس وهنأهم . ولا عجب في ذلك ، فأدلر يعتقد مع وليم جيمس « ان العلم الحقيقي ليس إلا العلم الذي يتصل بالحياة اتصالاً مباشراً » .

وفلسفة « أدلر » في علم النفس تدعى (السيكولوجية الفردية) . وهو يذكر ان هذه السيكولوجية انما نتجت معه من دراسته لدوافع الحياة الخلاقة ، أي الدوافع الخفية التي تحمّل بالأحياء الى الرقي والتطور ، بالرغم من أي عائق يعوقها . ولذلك يرى أن الكائن البشري وحده تستهدف غرضاً معيناً في اندفاعها نحو الرقي والتكامل . ان للنفس البشرية طابعاً خاصاً يتكوّن في الصغر . والنفس تحب أن تتكامل فتسد ما به من نقص ، وان تندفع الى الامام نحو هدف ثابت الرقي . ولا حظ « أدلر » ان الجسم البشري نتساند جميع أعضائه



لتحفظ الجسم وتسعده . بل هو يلاحظ أن أجزاء الجسم تحاول أن تسد أي نقص يطرأ عليه . فالجسم يجرح مثلاً ، فتعمل سائر أعضائه على تغذية المكان المجروح ووقايته حتى يلتئم ويذهب الألم . والتشويه الناتجين من ذلك . « الحياة تحاول دائماً أن تستمر ، وقوى الحياة لا تخضع قط لأي عائق من الخارج يحول دون استمرارها ، من غير أن تجهد نفسها في التغلب عليه . وإن حركة النفس لشبيهة بحركة الحياة العضوية » .

وهذا معناه أن النفس البشرية كذلك تتعاون أجزاءها في سبيل إسعاد النفس كلها ، ودفعها إلى الأمام في طريق النمو . فالنفس البشرية لها هدف أو مثل أعلى . وهي تحاول أن تتخطى الحالة التي تكون عليها . فإذا كانت منقوصة ، حاولت أجزاءها الأخرى أن تسد هذا النقص . أما هذا الهدف الذي ترسمه النفس لذاتها فإنه يتكوّن في أول عهد الطفولة الباكر . في السنوات الأربع أو الخمس الأولى من حياة الطفل . ويتركز الهدف الذي تستهدفه النفس حول نقص تحس به من جراء عضو مفقود أو مشوّه . فالطفل ينقصه هذا وهدفه الذي تستهدفه نفسه من جراء هذا النقص ، يكون وحدة كاملة يسميها أدلر « النموذج الأول »<sup>(١)</sup> Proto-type . وهذا النموذج الأول للطفل يظل هو هو في أساسه لا يتغير مدى حياته .

وإنما يمكن تعديله وتوجيهه وجهات حسنة . وهذه هي فائدة السيكولوجية الفردية . وخير وقت لهذا التعديل والتوجيه ، هو فترة العمر الباكرة التي يتكوّن في أثناءها النموذج الأول . وليس من الضروري أن يتشكل الشعور بالنقص من جراء فقدان عضو أو تشوّه . ولكن حرمان الطفل من مميزات الحياة ، وخاصة بالنسبة إلى غيره من الناس ، يقيم فيه الشعور بالنقص . فالتربية الناعمة المرفهة ( المدلّلة ) للطفل ، التي تحفه بعناية زائدة لا حاجة إليها ، أو الكره الشديد الذي يحس معه الطفل حرج مركزه بالنسبة إلى غيره ، هي من الأمور التي تزرع فيه الشعور بالنقص من ناحية أخرى . إن الطفل المدلل يتعوّد الاعتماد على أهله ، فإذا نما لم يستطع مقابلة الحياة ، وأما استمرّ يطلبها على الصورة التي كان يطلبها من أهله وهو صغير . وبالطبع لا يجد من الحياة التلبية التي كان يجدها من أهله ، فتتغلب عليه الحياة وتهزمه وينحرف بذلك إلى نواحي الحياة الضارة . فالحياء الشديد والادعاء والعودة عن العمل ، والإجرام والجنون والادمان على الخمر ... الخ هي مظاهر مما تؤول إليه حالة الطفل ، إذا نشأ شاذاً غير سوي واستولى عليه شعور بالنقص .

ويلخص « أدلر » نظريته فيقول : « لا مندوحة لي من الاعتراف بأن طريقة

(١) يحسن أن يقال في هذا المصطلح « المثال البدائي » أو « النموذج البدائي » . ( المقتطف )



« السيكولوجية الفردية » تبدأ وتنتهي بمشكلة النقص ... فالنقص هو أساس الجهاد البشري والنجاح . غير أن الشعور بالنقص هو أساس جميع مشاكلنا النفسية . ان الفرد اذا لم يجد هدفاً من الرفعة ، تعرض لشعور بالنقص . وهذا الشعور يقوده الى مخرج يخلصه من مواجهة الحياة . هذا المخرج هو الذي يدعى « مركب العظمة » ولا يريد هذا المركب ان يكون هدفاً دائماً غير مفيد يوم بالرضى الذي يناله الانسان من نجاح خيالي »  
وما دام الشعور بالنقص هو أول ما تدخل اليه نظرية « أدلر » النفسية وآخره ، فخير بنا أن نبحث في هذا الشعور بشيء من التفصيل

\*\*\*

### الشعور بالنقص

قلنا من قبل أن الشعور بالنقص يبدأ في الطفل من نقص او ضعف في التركيب الجسماني، ومن الحرمان النفسي أيّا كان نوعه . ويتوقف نوع الشعور على نوع الضعف او على نوع الحرمان . ويشمل ذلك عوامل البيئة التي نشأ فيها الطفل وبخاصة طبائع الوالدين والناس المحيطين به وكافة الذين يؤثرون في تربيته والوضع الاقتصادي الذي ينشأ فيه . ومن البين والمهم ان الطفل لا يقوى على العيش وحده حين يولد، ولذلك كان لا مخلص له من أن يعتمد على غيره - عائلته - في مطلع حياته . واعتماده هذا هو مبدأ احساسه بالحاجة الى غيره . وهذا الاحساس يستمر معه في الحياة . فتى كبر وأضحى مستقلاً ، كان موضعه بالنسبة الى المجتمع كما كان موضعه بالنسبة الى عائلته وهو صغير . وبعبارة أخرى تنقل حاجة الفرد الى جماعة اكبر . ومن هنا يشعر الكبير بحاجته الى الناس وشعوره بالنقص يحمله على مواصلة العلاقة بالمجتمع « فبدأ الحياة الاجتماعية » كما يقول « أدلر » هو ضعف الفرد واستمرار ضعفه بالنسبة للمجتمع يلزمه ان يكون اجتماعياً . وهذه الملاحظة، مهمة من ناحيتين: أولاً: اشارتها الى ان الانسان اجتماعي بالطبع . وثانيتهما: الاماع الى ان طائفة الفرد في المجتمع الذي يعيش فيه من أحسن علامات الشعور بالنقص كما سيحيى . ومجتمعنا اليوم في الشرق قلما يضع الفرد في موضعه المناسب في الحياة . ولذلك يلزم المرء شعور الوحشة مما يجده في نفسه من نقص وما يجده في المجتمع من عدم افساح الطريق له ليستعوض بالبروز في ناحيته عن شعوره بالنقص . وليس المجتمع في الغرب أحسن بكثير مما هو عليه في الشرق . ولكن « أدلر » يرى ان المجتمع الراقي لا يتخلف عن اسداء كل فرد فيه ما يستحقه بالنسبة لكفائته وهذا يفسح المجال لدواهب ، واذا فحصنا عباقرة التاريخ وجدنا في كل واحد منهم نوعاً من



النقص، فضعف البصر ضعف شائع في العضاء ، وبعض العضاء والناس يعانون ضعفاً في معدنهم أو امعائهم ، ومن الأطفال والناس من يكون أعسر فلا يستطيع أن يستعمل يده اليمنى ، ومنهم من يكون عيياً يتلعثم ، ومنهم من يكون بالغ القصر . الخ... كل هذه عوامل تولد الشعور بالنقص .

فاذا أثر النقص في الانسان تأثيراً شديداً تولد فيه « مركب نقص » ، وظهرت لذلك بوادر كثيرة مختلفة ، فبعض الناس تراهم في حركة دائمة ، فاذا مشوا ضربوا الأرض بأرجلهم واذا تحدثوا رفعوا أصواتهم ليسمعهم الآخرون ، ولهم أزوجة حادة ، وانفجارات عاطفية فجائية ، ومن الناس من يتناقض في آرائه وأعماله ، ومنهم من يتردد تردداً عظيماً فلا يستطيع ان يحزم في أمر . كل ذلك من علام المراء وقد أصيب بشعور بالنقص . ومما يدل على شعور النقص في انسان الوقوف المعتدل المتوتر الذي يدفع المراء فيه برأسه الى أعلى على شكل ملحوظ ، أو طأطأة الرأس الى الأرض اثناء المشي أو الاعتماد المستمر على الطاولة أو الجدار أو العصا حين الوقوف . والطفل الذي يجب الاستناد الى أمه أو يخاف من مواجهة الناس فيظل متهيئاً منفرداً ، طفل يحس بنقص ، والرجل الذي يتجافى عن المجتمع ويتحاشاه إنما يفعل ذلك في الغالب لأنه يملكه شعور بالنقص ، والخوف صفة من هذا القبيل كذلك . وهناك نوع من الجرأة لا يختلف عن الخوف ، فالانسان أحياناً يملكه تهور خفي نادر يدفعه الى الهلاك .

ويرى أدلر ان الخوف والشجاعة مرتبطان بالايمان بالقضاء والقدر ، وهو يقول « ان الايمان بالقضاء والقدر مخرج يخلص به الانسان من الجهاد والبناء المفيد في الحياة . ان هذا الايمان دائماً دعامة واهية يستند اليها الانسان »

والغيرة المعتدلة صفة عادية معروفة ، ولكنها اذا اشتدت كانت من علامات الشعور بالنقص . أما الحسد فدليل مركب نقص شديد عميق . ويوافق علم النفس الفردي على ان « الحسود لا يسود » وانه لا يمكن ان يكون الحسد مفيداً في أي شكل من الاشكال .

\*\*\*

### التحليل النفسي

تصبح بذلك طريقة التحليل النفسي عند « أدلر » واضحة ، ان هذه الطريقة تعتمد الى فهم الشخصية الانسانية المحللة ، وترمي بشكل خاص الى النفاذ الى هدف هذه الشخصية في الحياة . وعلى أساس ذلك يوصف العلاج النفسي . وللوصول الى هذا يجب ان يفهم ( طراز



الحياة — Style of Life للانسان المحلل ، وان تدرس الذكريات القديمة ، والاحلام التي تحملها . و « طراز الحياة » هذا هو الشكل الذي تكون شخصية المرء قد استوت عليه بعد نموها خلال السنوات الاولى ، ويمكن ان يفهم هذا الطراز من دراسة أوضاع الانسان ، وخاصة في حالاته غير الطبيعية ، فالانسان السري هو الانسان الذي يستفيد المجتمع منه ، والذي يكون له من الاقدام والجهود ما يتقوى به على مشكلات الحياة ، ان الرجل الذي ينحرف عن هذا لا يكون سويًا ، ويمكن مراقبته ومعرفة دأئه ، ومن بعد معرفة طريقة اصلاحه

ويروي « أدلر » حكاية رجل كان من صفاته أنه خجول شديد الشك بأصدقائه ، فمثل هذا الرجل لا يمكن لشكه أن يكون ذا أصدقاء ، ولا يمكن اشدة خجله أن يخالط الناس ، ثم انه كان شديد الخوف من الفشل في عمله . فحمله ذلك على شدة العمل حتى أنهك نفسه . ويعتبر هذا الرجل فاشلاً في علاقاته الاجتماعية ، كما يعتبر فاشلاً في عمله ، انه يحس احساساً عميقاً بالضعف ، وقد لوحظ أنه في مشكلة الحياة الثالثة — الحب — كان شديد التردد ، فانه كان يتنقل في حبه من فتاة الى أخرى ، ثم لم يتزوج قط ، وكان هذا الرجل بكر أبويه . وبكر أبويه في نظر « أدلر » ، يتعرض في الغالب للحرمان كله أو بعضه من جراء العناية الخاصة بالطفل الثاني التي يشاهدها المبكر ، وهذا الحرمان يولد في نفسه الشعور بالنقص ، ومثل هذا الرجل اذا أردت أن تمسكه من أن يتغلب على شعوره بالنقص ، وجب أولاً ان توضح له ان يقدر نفسه دون ما تستحق ، كما يجب أن توضح له تزمته في ملاقاته الناس ووجه خطئه في تخوفه من أن يفضل عليه أحد

\*\*\*

وأما عن تذكرات الانسان القديمة ، فان المرء يتذكر ما له أهمية في نفسه ، ولا عبرة في أن تكون تذكرات الانسان حقيقية أو وهمية ، فانه مادام يتذكرها فانها مهمة في حياته . والذكريات القديمة عبارة عن اشارات الى شخصية الانسان . انها تدل على نموذجه الأول (أي Prototype الذي تقدم ذكره) ، لأنها تشير الى ما وقع من أمر هام ، والى ما يقع على مثاله ، لأن شخصية الانسان الأساسية لا تتغير ، ويصلح هذا الموضوع للمقارنة بما قد اكتشف عن الانسان بوسائط أخرى ، وللحصول على التذكرات القديمة ، يطلب الى الانسان أن يرتد بذكريته الى حدائته ، وان يتذكر من ذلك ما يتذكر ، وقد يجد المحلل صعوبة في هذا ، لأن المريض قد يقول انه لا يذكر شيئاً ، ولكن الالحاح عليه يثمر دائماً ثمرة طيبة ، فيذكر المريض شيئاً . ان ما يذكره الآن له أهمية لأنه يدل على «وضعه الأول» — أي الحالة التي



نشأ عليها، والذاكرون من الناس يذكرون أشياء كثيرة ومختلفة بالطبع، ولكن براعة المحلل تردها إلى أصول محدودة.

فبعض الناس مثلاً يقول انه يذكر انه سمع صوت قاطرة قاصف، وبعضهم يذكر انه أكل أكلة لذيذة وبعضهم يذكر أشياء تتعلق بأمه وأبيه، وبعضهم يذكر حالات مرضية أصابته وبعضهم يذكر شيئاً يتعلق بملابسه أو أنه ضرب أو حرم الخ. فوظيفة المحلل هنا أن يرد هذه الأشياء إلى أصولها ليجد منها شخصية المرء الأولية ويربط ذلك بشخصيته الحاضرة. على اعتبار أن أساس شخصية الانسان لا تتغير بتقدم السن

يذكر الانسان مثلاً من قديم ذكرياته أن أمه ضربته وعنفته، حتى فر منها هارباً، وضل الطريق حتى خاف على نفسه من الموت، فتل هذه الذكرى تشير إلى عامل قوي من عوامل التخوف، لا بد وأن يكون قد دخل في تكوين شخصية الانسان، وهذه الحالة تقرب من الواقعية، فإن صاحبها حين دخل الجامعة ليتعلم ظل خائفاً من الرسوب في الفحوص الجامعية بالرغم من ذكائه، فلما تخرج قتل نفسه اجتهاداً في الحياة حتى لا يفشل فيها، فهو يلعب في حياته، من حيث الأساس، دور الرجل الخائف، وهذا هو شعور النقص الاساسي في نفسه

\*\*\*

ونموذج الحياة الأول للانسان، يظهر منه شيء في الأحلام، فالحلم عند « أدلر » لا يخرج عن كونه قسماً من « طراز الحياة ». و « النموذج الأول » دائماً منطوق فيه. ومن هنا كانت معرفتك لانسان مؤدية إلى معرفة نوع أحلامه. ومعظم أحلام الناس خوف، لأن النوع البشري جبان. ويحلم المرء أحلاماً مخيفة لأنه في يقظته دائماً يتوجس من الفشل، ويحاول أن يتخلص من الحياة بالهرب من مشاكلها. هو يبحث عما يجنبه متاعبها. هذا هدفه. والحلم يؤديه هذا الهدف. ولا فاصل عند « أدلر » بين النوم واليقظة. فإن طرف أحدهما منسب في طرف الآخر. فنحن في النوم نفكر ونسمع ونحس إحساسات عامة. وتستهدف أحلامنا على العموم هدفاً من العظمة يخلصنا مما نحس فيه من شعور بالنقص. ولكن في الأحلام نوعاً من التشويش والغش والتمويه على النفس. ولذلك فالذين يفكرون تفكيراً منطقياً ويواجهون حقائق الحياة لا يحلمون إلا قليلاً، أو لا يحلمون قط. والذين يدركون ما في الأحلام من خداع نفسي تقل أحلامهم أو تنعدم. إن المرء يصنع أحلامه. فأحلامه تتجه في محتوياتها إلى ما يتجه هو إليه في الحياة، ومن أحلامه يتضح لك شيء من هدفه فيها. فأنت تستطيع إذن بمختلف هذه الأساليب أن تتصل بمعرفة « النموذج الأول » الذي ينشأ عليه الانسان و « طراز الحياة » الذي يتبعه. وتستطيع من ذلك أن تعرف النقطة



المركزية التي يدور عليها شعوره بالنقص والطريقة التي يحاول أن يعوض بها عن هذا النقص . ان النقطة المركزية على كل حال نوع من الضعف . وهذا الضعف نفسه يحمل المرء رجلاً ، كما حمله طفلاً ، على التزام جانب المجتمع والشعور بحاجته اليه . فطريق الاصلاح الأساسي لأي انسان أصبح شعوره بالنقص مركزاً وأثر في حياته فدفع به الى نواحي غير مفيدة ، هو تعديل مركزه في المجتمع وتسويته . ومرة أخرى يتلخص هذا التعديل في تحسين موقف المرء من الناس الذين هم من حوله ، ومن مهنته ، ومن مسألة زواجه .

ولا أقصد أن أطيل أكثر مما قد فعلت . فالطريقة التي يمكن أن ينشأ بها طفل لكي يكون إنساناً سويةً ، هي أن يعامل بعدل واحترام . ولكن الشاب الذي تم تكوين طراز حياته على صورة معوجة يجب أن يدرس وأن تعرف مزاياه وأن يوجه نظره لها . فأدلر يعتقد أن « كل انسان يصلح لكل شيء » . فاذا فتحت للشاب آفاق جديدة ، وسوعد في التغلب على ضعفه ، اندفع في الحياة من جديد . وقد عولجت عملياً حالات كثيرين من المرضى العصبيين وحالات قريبة من الجنون على هذا الأساس ، فنجحت طريقة العلاج .

\*\*\*

أما في ناحية المهنة ، فيحذر « أدلر » من الاستعلاء الذي يجده كل شاب في نفسه حين يعمل مع غيره . هذا الاستعلاء يحمله على القوضى وعدم الطاعة للرؤساء . وليس من السهل إيجاد عمل لمبتدئ لا يرأسه فيه أحد . فاذا لم يعرف كيف يتلقى من رئيس له ، لم يقدر على التقدم . وإذا لم يحسن التصرف مع الناس على اعتبار انه رجل اجتماعي ، فلا سبيل الى نجاحه . ولا يعني « أدلر » ، فيما اطلعت عليه من كتاباته الى اليوم ، بمظالم عميقة تقتربها البشرية في حق نفسها ولا تفيد فيها نصائح ، ولكننا نعص النظر عن ذلك الآن .

وحل مشكلة الحب عند « أدلر » يدخلنا في بحث يختلف عما تثيره حياتنا الاجتماعية في الشرق من مشكلات في هذه السبيل . ولكن مما لا ريب فيه أن الرجل المصاب بداء الشعور بالنقص ، قد يحجم عن الزواج خوفاً من مسؤوليات الحياة الجديدة . وضعف الانسان عامة عن مواجهة انسان من الجنس الآخر ، ينتج عن إحساس بالنقص يحمل صاحبه على التردد والحياء .

محمد أديب العاصري

السلط ( شرق الاردن )



# المدرسة الخاتونية

(١) البرانية بدمشق



يقول الأستاذ أسعد بالذيل ص ٢١١

المسجد رقم ٨٢ : مسجد الخاتونية البرانية

تقدم ذكره ص ( ١٣٠ ) ونضيف هنا أنها ( اي المدرسة الخاتونية البرانية ) كانت باقية الى زمن ابن كنان فانه قال في المروج السندسية بتاريخ الصالحية ص ٢٧ : جامع الخاتونية فيه درس حديث في الاشهر الثلاثة وآخر من درس فيه القاضي حسن بن العدوي الصالح. وقال العدوي : اول من هدمها وقتل رغامها الى مدرسته سيباي ( أنظر مقال سويفر بالجلد الاسيوية سنة ١٨٩٤ ص ٢٥٤ - ٣٠٢ )

وموقع هذا المسجد على الخريطة الملحقة بآخر الكتاب بالمربع ر - ٣ ) انتهى

\*\*\*

هذا ما ذكره الأستاذ بالذيل عن مسجد الخاتونية البرانية . وقد رأينا في أول عبارته أنه يشير الى ص ١٣٠ فلنرجع الى هذه الصحيفة لنرى ما ورد بها عن هذا المسجد اننا نجد ابن عبد الهادي يقول :

فصل ثم قال ( اي المؤرخ ابن شداد الذي ينقل عنه ابن عبد الهادي )

المساجد التي لم تذكر يعني فيما قدمه وهي كثيرة :

المسجد الخامس مسجد تربة خاتون بالجبل ١ هـ

وعلق على ذلك الأستاذ أسعد بحاشية رقم ٣ بنفس الصحيفة بقوله :

وفي ابن كثير ص ١٣٠ خاتون بنت عز الدين مسعود بن زنكي واقفة المدرسة الاتابكية بالصالحية كانت زوجة الملك الاشرف وقتت مدرستها وتربتها بالجبل وهي غير

(١) هذا المقال هو في تحقيق « مساجد دمشق » وترفيها الى القارىء وتصحيح الاخطاء التي وقعت في كتاب « ثمار المقاصد في ذكر المساجد » الخاص بمساجد دمشق الذي ألفه يوسف بن عبد الهادي ونشره الأستاذ أسعد طلس



الخاتون الخاتونية بباب النصر المعروف بباب السعادة كما قال النعيمي في باب الخوانق في أول الشرف القبلي على (نهر) بانياس شرقي جامع تنكز واصيقه وهي منسوبة إلى خاتون بنت معين الدين زوجة نور الدين محمود - انتهى

\*\*\*

يستنتج مما سبق بيانه ما يلي :

أولاً : أن مسجد الخاتونية البرانية ورقه المسلسل بالذيل ٨٢ ص ٢١١ موجود بالخريطة الملحقة بالكتاب بالمربع رقم ر - ٣ (راء).

ثانياً : أن هذا المسجد رقم ٨٢ بالذيل وبالخريطة هو نفسه الذي عناه ابن شداد بقوله بصحيفة ١٣٠ : «الخامس : مسجد تربة خاتون بالجبل» .

ثالثاً : أنه هو نفسه مسجد المدرسة الأتابكية التي بنتها خاتون بنت عز الدين مسعود ابن زنكي كما ورد بحاشية رقم ٣ ص ١٣٠ تعليقاً على قول ابن شداد المذكور في «ثانياً» .

رابعاً : أنه هو نفسه المدرسة الخاتونية البرانية التي يقول العموي أن الأمير سيبيي هدمها ونقل رخامها إلى مدرسته .

خامساً : أنه هو نفسه «جامع الخاتونية» الذي يقول ابن كنان في كتابه «المروج السندسية» أن فيه درسا في الأشهر الثلاثة وأن آخر من درس فيه القاضي حسن بن العدوي الصالحى .

سادساً : أن الخاتونية البرانية هدمت في عهد سيبيي كما يقول العموي ومع ذلك كانت موجودة في عهد ابن كنان .

مناقشتنا لأقوال الأستاذ أسعد و اظهار ما فيها من أخطاء

الخطأ الأول : خلق مواقع خيالية خاطئة للآثار :

ونحب قبل أن نمضي في مناقشة الأستاذ أن نصحح رقم المربع الذي يقع فيه المسجد رقم ٨٢ على الخريطة فإن صحته ز - ٣ بالزاي لا بالراء لأن الخريطة تبدأ خطوط مربعاتها الرأسية من حرف الألف وتنتهي بحرف الزاي على الترتيب الأبجدي المعروف أبجد هوز حطي فلا وجود لحرف الراء فيها .

فإذا رجعنا إلى هذه الخريطة وجدنا المسجد رقم ٨٢ يقع بين المسجدين رقمي ٢٣٠ و ٢٦٧ وهذان المسجدان هما كما وردا في الذيل :

الأول - مسجد رقم ٢٣٠ : ص ٢٤٣ هو مسجد القرنبي (بالراء) بجادة بين المدارس



بالصالحية . ( وقد كتبه الأستاذ بالواو تارة وبالراء أخرى وصحته بالراء كما ذكرناه ولنا في ذلك بحث مستقل تال ) .

الثاني — مسجد رقم ٢٦٧ : ص ٢٥١ هو مسجد المرشدية بجادة بين المدارس بالصالحية . ولأجل تعريف القراء وخاصة الدماشقة منهم بمواقع هذه الآثار نقول : اننا اذا أخذنا ترام الصالحية حتى محطة العفيف ثم سرنا في زقاق العفيف شمالاً فاننا نجد طريقاً يتجه من الغرب الى الشرق هو شارع السكة فاذا وصلنا إلى أول طريق الماوردي عند المنزل رقم ٧٦ وانحرفنا الى اليمين في جادة بين المدارس فاننا نجد الى يسارنا بالصف الشمالي للشارع قبة بالمنزل رقم ٣ تسمى محلياً بقبة النبي يونس ، يتلوها الى الشرق زقاق ضيق غير نافذ هو زقاق رجب أغا . فاذا واصلنا السير شرقاً حتى بيت أبي صادق الطرودي رقم ٢٧ بالصف الشمالي نفسه وجدنا مقابله بالصف الجنوبي قبة الشيخ علي الفرني وعلى عتب شباكها كتابة خمسة أسطر بالنسخ الأيوبي ذي الحرف الصغير وبها اسم الشيخ علي الفرني وتاريخ وفاته . وهذه القبة وما يتبعها هي المسجد رقم ٢٣٠ الذي يشير اليه الأستاذ .

أما المسجد رقم ٢٦٧ وهو مسجد المدرسة المرشدية فيقع شرقي قبة الفرني مباشرة . وقد سقطت القبة ولكن لا تزال توجد الى شرقها المأذنة الحجرية المربعة الخاصة بهذا المسجد . وعلى عتب باب هذه المدرسة نقش تاريخي أربعة أسطر بالنسخ الأيوبي بحروف صغيرة به اسم بانيتها عصمة الدين خديجة خاتون ابنة السلطان المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وتاريخ انشائها .

هذان هما المسجدان اللذان وضع الأستاذ أسعد بينهما مسجد الخاتونية البرانية فهل حقيقة يوجد بينهما هذا المسجد الآن أو كان يوجد بينهما في أي وقت مضى ؟ يستطيع كل دمشقي أن يثبت بطلان ذلك بمجرد سيره بجادة بين المدارس ومشاهدته هذين الأثرين المتجاورين .

أما غير الدماشقة فنثبت لهم ذلك بالصورة الشمسية التي أخذناها لكتلة الأبنية الأثرية الممتدة من قبة الفرني في الغرب حتى المدرسة الأتابكية في الشرق وتشمل ( ١ ) قبة الفرني ( ٢ ) تتلوها المدرسة المرشدية بقبتها الساقطة ومأذنتها الحجرية المربعة ( ٣ ) مدرسة دار الحديث الأشرفية وقد سقطت قبتها ولا مأذنة لها ( ٤ ) يتلوها زقاق على ناصيته المدرسة الأتابكية ومأذنتها المربعة .

وواضح من الصورة الشمسية أن قبة الفرني والمدرسة المرشدية متجاورتان بل ملتصقتان إحداها بالأخرى وایس هناك مكان لأي أثر آخر يمكن قيامه بينهما .



وليس ثمة شك أو شبهة في التعريف بهذين الأثرين واسمي منشئيهما لوجود النقشين التاريخيين المشار إليهما . ووجود نقش تاريخي ثالث على عتب باب مدرسة الحديث الأشرفية . لذلك فنحن نقتبس هنا بعض ما رواه مؤرخو دمشق وخططها عن مواقع هذه الآثار لنرى هل أشار أحدهم إلى وجود هذه المدرسة الخاتونية البرانية يوماً ما في الموضع الذي اختاره لها الأستاذ أسعد أو هو الذي انفرد بذلك ؟ .

أولاً — يقول ابن عبد الهادي في كتاب المساجد الذي نشره الأستاذ أسعد بنفس الفصل الذي ورد فيه ذكر مسجد تربة الخاتون بالجبل ما يأتي بص ١٣١ : الثاني والعشرون : مسجد المرشدية . الثالث والعشرون : مسجد الشيخ علي القرني .

ثانياً — يقول المؤلف نفسه في ص ١٥٦ من نفس الكتاب وهو يعدد مساجد المحلة الحادية والثلاثين من محلات الصالحية وهي حارة سوق شعيب ( ونقول : هذا السوق يسمى الآن جادة بين المدارس ويمتد من الشركسية حتى شارع السكة ) ... الثاني مسجد بالمدرسة التابكية ( ونقول : التابكية أو التابقية هي التسمية العامة المحلية وصحتها التابكية نسبة للخاتون التابكية ) .

الثالث : مسجد بمدرسة دار الحديث ( نقول : هي دار الحديث الأشرفية )  
الرابع : مسجد في المدرسة التي فوقها ( نقول : هي المدرسة المرشدية )  
الخامس : مسجد في المدرسة القرنية ( نقول : هي زاوية الشيخ علي القرني )  
فيلاحظ في أولاً : أن المؤلف ذكر المسجدين متجاورين ولو كان هناك ثالث بينهما لما أغفل الإشارة إليه .

وفي ثانياً : أن الثبت الوارد هنا يشمل بالضبط الآثار الأربعة الأيوبية المتجاورة من الشرق إلى الغرب كما هي موجودة فعلاً في الصف الجنوبي من هذه الجادة وائس بينها جميعاً محل لهذه الخاتونية البرانية التي أقحمها الأستاذ بين المرشدية والقرنية ( انظر الصورة ) .

ثالثاً — عن المدرسة المرشدية : يقول النعمي : هي بالصالحية على نهر يزيد جوار دار الحديث الأشرفية ( مخطوط الدارس للنعمي ج ٢ ص ٥٧ )

ويقول ابن قاضي شهبة : وتوفيت خديجة خاتون بيستان الماردانية سنة ستين وستمائة ودفنت بتربتها التي أنشأها جوار تربة الشيخ القرني بالجبل . ٥١ .

أي أن المدرسة المرشدية تجاورها دار الحديث الأشرفية ( من الشرق ) كما تجاورها تربة الشيخ القرني ( من الغرب )

وأبعاً : عن الزاوية القرنية : يقول الشيخ عبد القادر بدران في كتابه منادمة الأطلال



المخطوط ج ٢ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ : هي بسفح قاسيون غربي الخاتونية ( ونقول انه يقصد بها مدرسة خديجة خاتون المعروفة باسم المرشدية . انظر قول ابن قاضي شهبة في « ثالثاً » ) وينقل الشيخ بدران عن العدوي في « الزيارات » بعد أن يضبط اسم الفرنجي ما نصه : قال العدوي : زاويته أي الفرنجي جوار المدرسة المرشدية بصالحية دمشق من جهة الغرب « اه وليس أصرح من هذا في إثبات ان المدرستين متجاورتان وان الفرنثية غربي المرشدية . ويظهر أن الأستاذ أسعد قد خدعته كلمة الخاتونية الواردة في كلام الشيخ بدران فظن أنها الخاتونية البرانية دون أن ينتبه الى أن كل تربة أو مسجد أو مدرسة أو خانقاه أو مؤسسة بنيتها خاتون أي سيده تسمى خاتونية وبدمشق والصالحية الكثير من المعاهد التي بنيتها الخواتين في العهدين الأتابكي والأيوبي وأوائل المملوكي من أمثال الخاتون الأتابكية والماردانية والحافظية والقيمرية وزمرد خاتون وعصمة الدين خاتون زوجة نور الدين محمود ثم من بعده صلاح الدين وعصمة الدين خديجة خاتون وست الشام والصاحبة ربعة خاتون أختا صلاح الدين والملك العادل بن أيوب والملكة هدية خاتون والخاتون المغنية وأم الملك الصالح وغيرهن .

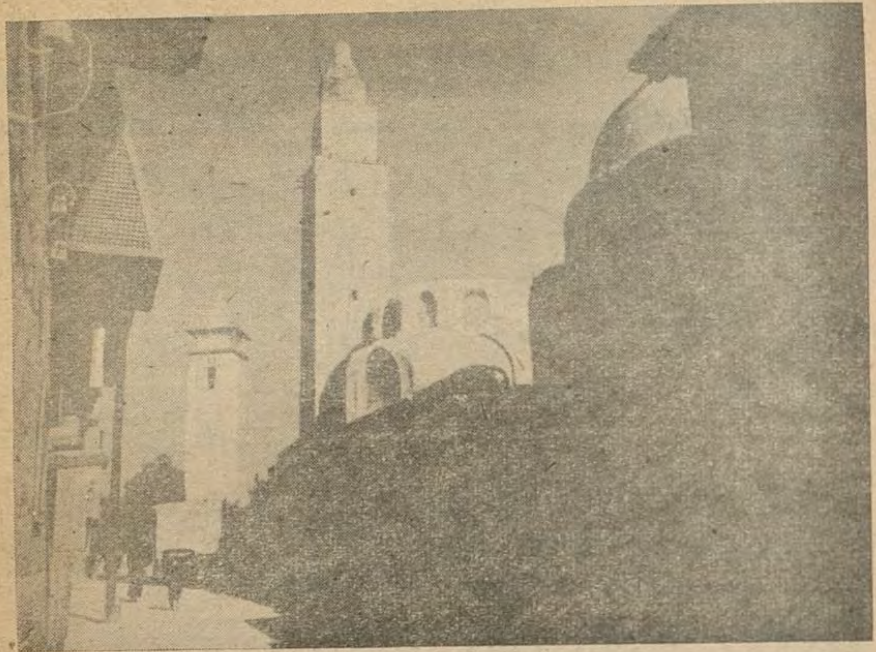
وما يقصده بدران هنا هو مدرسة خديجة خاتون ابنة السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل بن أيوب المعروفة باسم المرشدية فالخاتونية والمرشدية هنا اسمان لمعهد واحد تقع المدرسة ( أو التربة أو الزاوية ) الفرنثية الى الغرب منه .

\*\*\*

والخلاصة انه لا وجود لهذه المدرسة الخاتونية البرانية بين المسجدين رقمي ٢٣٠ و ٢٦٧ الواردين بخريطة الأستاذ وهما مسجدا المدرستين الفرنثية والمرشدية . وأما الخاتونية البرانية التي يعينها العموي ومسجد الخاتونية الذي يشير اليه ابن كنان فيقع كل منهما في مكان آخر سيعلمه الأستاذ عند آتمام البحث .  
الخطأ الثاني : في إثبات أن المدرسة الأتابكية ليست هي المدرسة الخاتونية البرانية : اذا كان الأستاذ أسعد قد اطمأن الى خلق موضع للمدرسة الخاتونية البرانية بين قبة الفرنجي والمدرسة المرشدية بجادة بين المدارس فلا ندرى كيف تكون هذه المدرسة هي المدرسة الأتابكية أيضاً ؟

يقول الأستاذ في الحاشية رقم ٣ صحيفة ١٣٠ تعليقا على قول ابن عبد الهادي ( نقلاً عن ابن شداد ) . « الخامس : تربة خاتون بالجبل » ما نصه :  
« هي الخاتون بنت عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن أتابك زنكي واقفة





شارع المدارس : دمشق

من اليمين : قبة القرني والمدرسة المرشدية ومآذنتها  
والمدرسة الاشرفية والمدرسة الاتابكية ومآذنتها



دمشق : تربة عصمة الدين خاتون



المدرسة الأتابكية بالصالحية التي كانت زوجة للملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب ووقفت مدرستها وتربتها بالجبل» .

وقد رأينا الأستاذ عند كلامه على المسجد رقم ٨٢ بالذيل وهو مسجد المدرسة الخاتونية البرانية « التي كانت باقية الى زمن ابن كنان » يشير الى هذه الحاشية نفسها رقم ٣ بصحيفة ١٣٠ مما يدل على أنه يعتقد ان هذه المدرسة التي يشير اليها ابن كنان وان تربة خاتون بالجبل التي يذكرها ابن عبد الهادي هما هذه الأتابكية التي بنتها زوجة الملك الأشرف وجعلت تربتها بها فإذا علمنا أن المدرسة الأتابكية (ويسمى العامة بدمشق التابكية أو التابكية) بجادة بين المدارس تقع شرقي دار الحديث الأشرفية ومكانها معروف مشهور ولها مأذنة مربعة ضخمة فلا ندري كيف يمكن في الوقت نفسه أن يضعها الأستاذ بين المدرسة المرشدية وزاوية الفرثي ؟

والظاهر أن الأستاذ كان متسرعاً في كتابته هذه الحاشية فأننا لا نجد يشير اليها عند كلامه في الذيل عن المدرسة الأتابكية صحيفة ١٩١ بل يكتفي بالإشارة الى الهامش رقم ٣ ص ١٥٦ غير أن التوفيق قد خانهُ أيضاً في هذه المرة فقد وضع هذه المدرسة الأتابكية غربي المرشدية ودار الحديث الأشرفية وعزا ذلك الى النعيمي والحقيقة ان النعيمي يقول في باب المدرسة الأتابكية ج ١ ص ١٧١ وكذلك العموي ص ١٦

المدرسة الأتابكية : غربيها المدرسة المرشدية ودار الحديث الأشرفية .

ويذكر الأستاذ تاريخ وفاة هذه السيدة الأتابكية في هذه الحاشية سنة ٧٤٠ والحقيقة انه سنة ٦٤٠ كما عاد وذكره بالذيل بصحيفة ١٩١ وكان من الممكن أن يشير اليه في باب التصويبات بأخر الكتاب ان كان من سبيل الخطأ المطبعي ، ولكن الذي نعتقده انه اعتمد على الرواية الخاطئة في منادمة الأطلال ج ١ ص ١٠٤ ومختصره المخطوط لبدران فصل المدرسة الأتابكية أو على ما نقله النعيمي عن الصفدي الذي انقرض بذكر تاريخ وفاتها في ربيع الأول ٧٤٠ وان كان النعيمي قد حرص على تصحيحه فنقله مصححاً ٦٤٠ عن العبر للذهبي . ولو انتبه الأستاذ قليلاً لهذا الأمر لأدرك أنه ليس من المعقول أن يتوفى الملك الأشرف موسى سنة ٦٣٥ وتتأخر وفاة زوجته ترکان خاتون الأتابكية عنه — وهي صاحبة هذه المدرسة — الى سنة ٧٤٠ أي بعد وفاته بنحو ١٠٥ سنوات .

ونتيجة ذلك ان المدرسة الأتابكية ليست هي الخاتونية البرانية التي يعينها العموي ويذكرها الأستاذ بالذيل تحت رقم ٨٢ وليست هي التي يقصدها ابن شداد وابن عبد الهادي بقوله « الخامس مسجد تربة خاتون بالجبل » . ولا يمكن ان يكون موقعها بين



قبة الفرثي والمدرسة المرشدية لتجاور البنائين بل والتصاقهما .  
الخطأ الثالث : نعود الى ما نقله الأستاذ أسعد عن العادوي خاصاً بمسجد الخاتونية  
البرانية ذي الرقم ٨٢ بالذيل ص ٢١١ ونصه :  
« قال العادوي أول من هدمها ( أي المدرسة الخاتونية البرانية ) ونقل رخامها الى  
مدرسته سيياي » اهـ .

ومعنى ذلك أن هذه المدرسة ذات الرقم ٨٢ التي اخترع الأستاذ وجودها بين زاوية  
الفرثي والمدرسة المرشدية بصاحية دمشق كانت موجودة في هذا الموضع الى أن هدمها  
الأمير سيياي كافل دمشق وآخر حكامها من قبل السلاطين المماليك قبل الفتح العثماني  
لشام ومصر .

وهذا خطأ فاحش كنا نربأ بالأستاذ أسعد طلس أن يقع فيه لأن هذه الخاتونية البرانية  
التي عناها العادوي والتي نقل رخامها سيياي أمير دمشق ونائبها لم تكن تقع بين هذين  
الأثرين المتلاصقين .

كما أنها ليست هي المدرسة الأتابكية كما ظنَّ الأستاذ خطأ . ولا علاقة لها « بمسجد  
تربة الخاتون بالجبل » الوارد ذكره يص ١٣٠ وحاشية رقم ٣ بهذه الصحيفة كما خيل للاستاذ .  
بل لا علاقة لها بالصاحية أصلاً ولا توجد بها ويكني ذكر كلة بالجبل في تحديد موقع  
« مسجد تربة الخاتون » لانتفاء أن يكون هذا المسجد الذي بالجبل هو نفسه مسجد  
الخاتونية البرانية الذي عناها العادوي بعبارته السابقة .

ونتقدم نحن الآن لايضاح حقيقة ما قصد اليه العادوي من أمر هذه المدرسة فنقول :  
ان هذه المدرسة الخاتونية البرانية هي المدرسة الحنفية التي أوقفها زمرد خاتون أم شمس  
الملوك أخت الملك دقاق المتوفاة سنة ٥٥٧ هـ بالمدينة المنورة والمدفونة بالبقيع الفرقد .  
يقول أبو البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري الدمشقي من علماء القرن التاسع في  
كتابه زهرة الأنام في محاسن الشام ص ٧٦ - ٧٧ :

« المنيع محلة وسويقة وحمام وأفران وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر  
يمر بصحنها ( نهر ) بانياس ونهر القنوات على بابها ولها شبابيك تطل على المرجة وبها  
الواح الرخام لم يسمح الزمان بنظيرها وعدة ( من ) خلاوي الطلبة . وبجوارها دار الأمير  
الأصيل ( ابن منجك ) رحمه الله تعالى . . . . . وهذه المحلة من محاسن دمشق . اهـ .  
ونقل الشيخ عبد القادر بدران في مطول المنادمة المخطوط الجزء الاول ص ٢٢٦ ومختصره  
المخطوط أيضاً عن ابن المزلق في تحفة الأنام مثل ما روينا . . . وقال :



« والحاصل ان هذه المدرسة كانت بالشرف القبلي ثم اندرست وذهبت » اه  
وقال ابن كثير ح ١٢ ص ٣١٨ .. « كان يعرف ذلك المكان بتل الثعالب » اه  
وقال الصفدي : « وهذه المدرسة بأعلا الشرف القبلي »  
وقال العادوي في مختصر الدارس المخطوط ص ٥٦ :

هذه الخاتونية هي شمالي نهر بانياس مطلة على الميدان الأخضر وكانت قبلة بمأذنة وبئر  
الى آخر وقت الجراكسة وأوائل الدولة العثمانية وأول من خربها وأخذ ركامها  
ومن جملته ركام المحارب سيدي ووضع ذلك بـدرسته الكائنة بباب الجايصة الملقبة  
بجمع الجوامع .. اه

وفي مخطوط الدارس للنعمي فصل مطول عن هذه المدرسة بالجزء الأول ص ٧٣٣  
وما بعدها ... ومنه يتضح ان تاريخ وقف هذه المدرسة هو سنة ٥٢٦ هـ وان زمرد  
خاتون أوقفتها على الشيخ ابي الحسن علي البلخي وهو اول من ذكر الدرس بها ... الخ

\*\*\*

هذه هي المدرسة الخاتونية البرانية التي عناها العادوي وهي كما قال صراحة تقع  
« شمالي نهر بانياس » وتطل على الميدان الأخضر فأين الميدان الأخضر من « مكة بين المدارس  
بالصالحية ؟ وأين الشرف القبلي جنوبي بردي من جبل قاسيون بأقصى شمالي المدينة ؟  
وأين زمرد خاتون المتوفاة سنة ٥٥٧ هـ والتي أوقفت مدرستها سنة ٥٢٦ هـ من  
تركان خاتون الاتابكية المتوفاة سنة ٦٤٠ هـ ؟

ان على الاستاذ أسعد أن يتفضل باجابتنا مشكوراً عن هذه الاسئلة جميعاً .  
وقد سميت هذه المدرسة بالخاتونية نسبةً للخاتون أي السيدة التي بنتها وسميت  
البرانية لوقوعها على الشرف القبلي جنوبي نهر بردي خارج أسوار المدينة ويمتد هذا  
الشرف كما شاهدهنا من شارع النصر المسمى سابقاً شارع جمال باشا حتى طريق المزه غرباً .  
وقد كان من نزه دمشق لارتفاعه واثرافه على نهر بردي الذي يجري بينه وبين الشرف  
الشمالي . وقد كان يزخر بالمساجد والمدارس وكانت جميع المدارس الموجودة به يطلق  
عليها لفظ البرانية أي الواقعة خارج الأسوار كالمدرسة الظاهرية البرانية التي بناها  
الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي والخانقاه النجيبية البرانية التي أنشأها جمال الدين  
اقوش النجيب والمدرسة الأسدية البرانية التي أنشأها أسد الدين شيركوه وغيرها .



## سر المريخ



اقترب المريخ من الارض في سنة ١٩٣٩ ، فجدد عناية الفلكيين به . ذلك بان المريخ من جيران الارض الاقربين في النظام الشمسي . والمريخ ، ولو انه يقترب من الارض في كل خمس وعشرين سنة ، الا أن مقدار اقترابه منها يختلف اختلافاً كبيراً تبعاً لغرابة فلكه وتذبذبه ، فيتراوح مقدار اقترابه من الارض بين ٣٥ و ٦٣ مليون ميل . أما أنسب الاوقات التي تلائم رصد هذا السيار فتقع في فترات تقعر بين ١٥ و ١٧ سنة . فقد اقترب المريخ من الارض في ٢٣ من أغسطس سنة ١٩٢٤ حتى صار على ٣٤٦٣٧٠٠٠ ميل منها ، وهي أقل مسافة يمكن أن تفصل بين سيارين من سيارات النظام الشمسي . وفي شهر يولية من تلك السنة كان بعده عن الارض لا يتجاوز ٣١٦٠٢٢٠٠٠ ميل ، وبعد سبعة عشرة سنة سيعود المريخ الى هذا الموضع ثانية .

لا تقوى المقارب<sup>(١)</sup> الحديثة على استجلاء أشباح على سطح المريخ يقل امتدادها عن ٢٥ ميلاً ، حتى لو بلغ قرب المريخ من الارض مبلغه في سنة ١٩٢٤ ، لهذا كان البحث عن وجود آثار للحياة هناك أمراً استنتاجي ، وعلمنا به يكون بالواسطة لا بالاصالة . ولوجود الحياة في المريخ علاقة كبيرة بدراس الحالات الطبيعية القائمة فيه . ولقد نجح الفلكيون في معرفة الكثير من هذه الحالات ، غير ان بحوثهم الحديثة لم تقرّبنا من حل ذلك اللغز ، فتركنا بحوثهم حيث كنا منذ ربع قرن مضى

ان الصور الضوئية التي استخدمت فيها الاشعة الدوينة الحمراء<sup>(٢)</sup> والفوقية بنفسجية<sup>(٣)</sup> التي حصل عليها ( رايت )<sup>(٤)</sup> في مرصد ( ليك ) بكاليفورنيا سنة ١٩٢٦ ، قد أثبتت أن للمريخ جوّاً ينتشر صعداً فوق سطح السيار ستين ميلاً . والتحليلات المطيافية<sup>(٥)</sup> التي قام بها آدمس<sup>(٦)</sup> وسان جون<sup>(٧)</sup> وذنهام<sup>(٨)</sup> في مرصد جبل ويسون ، قد أبانت عن أن

(١) Telescopes (٢) Infra-red (٣) Ultra-violet (٤) Wright (٥) Spectroscopic analysis

حل الاضواء المنبعثة من النجوم الثوابت والسيارات لمعرفة حقيقة المواد التي تتكون منها

Dunham (٨) St. John (٧) Adams (٦)



جو المريخ يحتوي بخاراً نسبته ثلاثاً في المئة من كمية البخار الذي يحتويه جو الأرض،  
 وبه أوكسجين أقل واحداً في المئة من الأوكسجين الذي في جو سيارنا  
 والقياسات الحرارية الكهربائية<sup>(١)</sup> للأشعاع المرئي التي عملت في مرصدي لويل وجبل  
 ولسون قد أبانت عن أن حرارة الظهيرة في منطقة الاستواء المريخية تتراوح بين ٣٠  
 و ٨٠ درجة فهرنهايت ، تبعاً لاقتراب السيار من الشمس أو بعده عنه . والدعان العالي  
 الدائم الذي ينبعث من جو المريخ ينزع بنا الى القول بأن انخفاض درجة الحرارة الى  
 حد الجليد ، لا بد من أن يقع وشيكاً في سطح هذا السيار بعد غروب الشمس  
 مباشرة ، حتى في أشد المناطق انخفاضاً . ووفقاً لذلك قضى الفلكيون بأن جارتنا المريخ ليس  
 موافقاً للحياة على الصورة التي نعرفها . ولكن مثل هذا القول لا يحل المشكلة ، ولا  
 يخرجها من مجال البحث .

قد يرد الى أذهننا سؤال : لماذا يتجه فكرنا الى المريخ كلما جدد البحث عن الحياة في  
 اجرام السماء ، وما المريخ الا كرة صغيرة من آلاف الكرات المنثورة في الفضاء ؟ هنالك  
 أسباب كثيرة ، ولكن أهمها هو موقع المريخ من النظام الشمسي ، إذ هو السيار  
 التالي للأرض من حيث البعد عن الشمس ، وموقعه هذا يجعل رصده أهون وأجدي من  
 رصد غيره . ولكن ما بال الزهرة Venus وهي قد تقترب من الأرض فتصير منها على  
 بعد لن يصل اليه المريخ ؟ ولكن للمريخ ميزة على الزهرة . ذلك بأن الزهرة قريبة  
 جداً من الشمس فوقعها غير ملائم لظهور الحياة . ناهيك بأنها مهما اقتربت من الأرض  
 فانها لا ترينا الا وجهها المظلم ، أي الذي لا تقع عليه أشعة الشمس ، ولا تسمح للقارب<sup>(٢)</sup>  
 أن ترى غير هذه الناحية منها . أضف الى ذلك أن عطارده والمريخ هما السياران الوحيدان  
 في النظام الشمسي اللذان يمكن الفحص عن سطحهما . فان غيرها من السيارات مغلفة  
 بغلالة سمكية من السحب تخطر في جوها بحيث لا يمكن اختراقها الى السطح بحال .

عطارده قريب جداً من الشمس ، بحيث لا يمكننا أن نتصور وجود أي صورة من  
 صور الحياة فيه على ما نعرف من خصائصها . ان حرارة عطارده بالنسبة الى قربه من الشمس  
 تكفي لصهر الرصاص ، وهذه الحرارة تتناوب على وجهيه سنة بعد أخرى . وهو يتوجه  
 الى الشمس بنصف كرتيه سنة ، وسنة أخرى بنصفه الآخر . فالنصف الذي يتعرض الى  
 الشمس تشويه الحرارة شيئاً ، حتى لقد يصبح سطحه في حرارة الرصاص المذاب . أما



النصف الذي لا يكون معرضاً للشمس فيكون في ظلام دامس ، وتهبط حرارته حتى تبلغ ٤٥٠ درجة تحت الصفر . فلم يبق إذن غير المريخ من سيار يتوجه نحوه أهل الأرض بالبحث عن آثار الحياة .

دورة المريخ من حول الشمس تجعل فيه فصولاً إقليمية كفصول الأرض . ولا شك في أن هذه الفصول أبرد من فصول الأرض لبعدها عن الشمس . وهي أطول مدًى لأن سنة المريخ سنتان أرضيتان تقريباً . وإذا كان في المريخ أقاليم ينبت فيها الزرع وهي تستمد طاقتها الحيوية من حرارة الشمس ، فلا شك نتوقع أن سطحه يكون عرضة للتغيرات الموسمية . ذلك بأن الزرع على سطح الأرض إذ يزدهر في الربيع ، ويصيبه السبات في الشتاء ، فإن حاله يكون كذلك في السيارات الأخرى ، بأن يجري على دورات من الازدهار والسبات ، إذا تعرض لحالات تشابه حالات الأرض .

ونحن إذ نرى المريخ يضيء كأنه نجم أحمر اللون في السماء في أثناء الليل ، نظن أن هذا اللون هو لون سطحه الحقيقي . ان اللون الأحمر يستغرق ثلثي حجم المريخ ، في حين أن الثلث الآخر هو عبارة عن ندوب سود كبيرة وصغيرة متفرقة على سطحه هنا وهناك ، كما أنها تختلف شكلاً وظلاً ، وهي فوق ذلك متغيرة غير ثابتة .

فاذا تقدم النصف الشمالي من المريخ نحو الربيع فإن معظم مساحته تلبس لوناً أزرق إلى الخضرة . ويكون هذا اللون باهتاً حائلاً أول الأمر ، ثم يشتد شيئاً بعد شيء ويستمر كذلك الصيف بطوله . فاذا أقدم فصل السبات أخذ ذلك اللون الأزرق المخضر في الزوال تدريجاً ، حتى إذا أناخ الشتاء على تلك الاصقاع استحال إلى الدكنة . ذلك في حين أن الندوب السوداء في النصف الجنوبي تجري على نفس هذه الدورة ، ولكن باختلاف في زمن الاكتساء باللون . فالزرق في الشمال تقابلها دكنة في الجنوب ، والدكنة في الجنوب تقابلها الزرق في الشمال . وهذه الدورة مستمرة التناوب في مناطق المريخ .

من الجائز ان الانسان يستطيع أن يعلل هذه التغيرات بحيث يردها الى آثار غير عضوية ، ولكن أهون تعليل وأكثر التعليلات مسيطرة للمنطق هو القول بأن هذه الندوب السوداء إنما هي مساحات واسعة يكسوها الزرع . ويكاد الفلكيون يجمعون على هذا القول .

ولكن ماذا يقول العلم عن ذوات عاقلة في المريخ؟ إنه لا ينكر ولا يقرر ، لا يثبت ولا ينفي .



## الارواح



أبي حضرة الفاضل الأستاذ نقولا الحداد إلا أن يكتب مرة أخرى في موضوع الروح معارضاً حقيقة تحضير الأرواح منكرأ أن للإنسان روحاً. الأستاذ نقولا الحداد يرى أن شخصه آلة محركها وتسيرها تفاعلات كيميائية إلى آخر ما قال. وهو لا يعترف بروح أو نفس، ويعتمد في كل ذلك على ما قرأه هو وتلقاه من كتابات علماء القرن التاسع عشر ومن رددها من علماء القرن العشرين. وهو يدعي في جرأة غريبة أنه اطلع على مؤلفات جينز واينشتين وادنجتون (وهم من سماهم بلغته الفصحى تجينز وأينشطين وإدنغتون) بل لقد قال إنه اطلع على مؤلفات غير هؤلاء من أمثال بلانك وسير أوليفر لودج ... الخ. وقال في جرأة أشد وأغرب « ولم أر أنهم نادوا بانتهاء مذهب آلية الكون فخطموا الكون المادي تحطماً » وأنكر أن الكون المادي تبخر في ضوء علم الفيزيكا الحديثة، وتهكم على ذلك بقوله « نعم لم يصل هذا إلى علمي لأنه لا هو (يريدني أنا) ولا أنا تحطمنا وتبخرنا مع أننا نحن من الكون المادي ». أرايت البقاة والحجا؟! ومضى يستنتج في منطق غريب أني أعني « أن المادة غير موجودة وإن الروح وحدها موجودة » مع اعترافه بأنني قلت إن الروح مادة. وطلب أن أرشده إلى مؤلف يتبسط في هذا الموضوع. ولما جئت له بكلام اينشتين الذي يعترف فيه بوجود الأثير، عاد فاستدرك إنكاره هو قائلاً أنه اطلع « على بعض ما كتبه اينشطين » مع أن الأستاذ نقولا هو مؤلف كتاب « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية » وكان يوم أصدر هذا الكتاب، يسمى صاحب نظرية النسبية أينشتين لا أينشطين.

وأما أن الأستاذ نقولا الحداد لم يطلع على مؤلفات جينز وأينشتين وادنجتون الخ. أو أنه اطلع عليها كلها أو بعضها ولم يفهمها فإليه الدليل :-

أولاً — عن العلامة جينز ونبدأ بالكتب التي ذكرها مؤلف كتاب « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية » في ثبت المراجع التي استعان بها في التأليف.

١ — في كتاب « الكون الغامض » ترجمة وزارة المعارف وقد قام بها زميلي الأستاذ عبد الحميد حمدي مرسي يوم كان وكيلاً لإدارة الترجمة، وراجع الترجمة العلامة الدكتور مشرفة بك عميد كلية العلوم — نرى المؤلف يقول « وعندما حاول العلماء منذ مائة عام أن يفسروا العالم تفسيراً آلياً لم ينبر لهم رجل حكيم يؤكد لهم أن النظرة الآلية لا بد من أن يخطئها



التوفيق في آخر الأمر ، وإن الظواهر الكونية لن يكون لها معنى إذا لم تعرض عرضاً رياضياً بحتاً . إلى أن قال «وها قد بدأ الكون يتضح مما في خلق الكون نفسه من دليل أن مبدع الكون الأعظم علم من علماء الرياضة البحتة . ولما علق على فلسفة باركلي القائلة بوجود روح أبدي خالق قال «وسواء أكانت الأجسام موجودة في عقلي أم في عقل أي روح من الأرواح المخلوقة الأخرى أم لم تكن ، فإن شيئيتها تنتج من وجودها في عقل روح أبدي» . وقيل ختام هذا الفصل الأخير في الكتاب قال « بدأ الكون يلوح أكثر شبهاً بفكر عظيم منه بآلة عظيمة » .

٢ - وفي كتابه « الكون الذي حولنا » نراه بعد استعراضه بعض الآراء الفلسفية الخاصة بتصوير الكون يقول : ان هذا يقرّبنا كثيراً إلى تلك المذاهب الفلسفية التي تعتبر الكون فكرة في عقل خالق ، وبذلك يختزل جميع النقاش بالخلقية المادية إلى سخر عديم الاعتبار .

٣ - وفي كتابه « وراء الجديد للعلم » يقول : « كان رأينا الأخير في الطبيعة قبل شرونا في أن نخلع عنا نظاراتنا الآدمية أنها خضم من الآلية يحيط بنا من جميع الجهات . ولكننا حين بدأنا نخلع بالتدريج نظاراتنا وجدنا المدركات الآلية تتداعى مخيلة الطريق للمدركات العقلية ... الخ » .

هذا ما جاء في الكتب التي استشهد بها صاحب « هندسة الكون » . أما عن التي لم يستشهد بها من مؤلفات جينز فإليه ما يلي : —

٤ - في كتاب « علم الفلك وعلم تكوين العالم » نرى جينز قد ختمه بهذه العبارة : « لنعلم إذاً أن الجنس البشري في بداية وجوده ، فهو إذا قسناه بمقياس الزمن الفلكي لا يكون قد عاش إلا بضعة لحظات قصار ، وأنه قد بدأ ينظر إلى الكون الخارجي عنه هو نفسه . وإخال أنه يكاد يكون من المتعذر عليه أن يفسر ما يحيط به تفسيراً حقيقياً في تلك اللحظات القليلة الأولى التي منها تفتحت عيونه » .

٥ - فلما تفتحت العيون تكلم جينز في كتابه « الفيزيقا والفلسفة » الصادر سنة ١٩٤٣ صراحة على انهيار المذهب الآلي في الفصل الرابع وعنوانه « انقضاء العصر الآلي The Passing of the Mechanical age » وفي الفصل الأخير الذي عنوانه « بعض مسائل الفلسفة » نرى جينز تحت عنوان فرعي هو « المظهر والحقيقة » يقول : « ان عالم المادة يتألف من عالم الشهادة كله ، ولكنه لا يحتوي على عالم الحقيقة كله . ويصح أن نقول إنه مجرد مقطع في عالم الحقيقة » .



ثانياً — عن العلامة ادنجتون وقد استشهد الأستاذ بقولاً بمؤلفاته .

١ — في كتاب « طبيعة العالم الفيزيقي » نرى ادنجتون قد استهله بفصل عنوانه : « انهيار الفيزيكا الكلاسيكية » تحدث فيه عن تكوين الذرة فقال في الصفحة الأولى « اذا نحن محونا كل الفضاء الخلاء في جسم الانسان وجمعنا بروتوناته وإلكتروناته لتكون كتلة واحدة، فان الانسان يختصر الى هباءة تكاد لا ترى إلا بمنظار مكبر » .

٢ — وفي كتابه « المسالك الجديدة في العلم » نرى ادنجتون قد تكلم في الفصل الأخير كلاماً صريحاً عن « طبيعة الانسان الروحية » وعن « الحقيقة الروحية » منكرًا أن الانسان آلة .

٣ — وفي محاضراته المطبوعة عن « العلم والعالم غير المنظور » نراه قد قال « لا بدّ لروح الانسان من أن تعود الى العالم غير المنظور إذ أنها تخصه » .

ثالثاً — في كتاب « تطور الفيزيكا » لمؤلفيه اينشتين وانقلد، نرى موضوع الجزء الأول من الكتاب « قيام المذهب الآلي » ونجد موضوع الجزء الثاني منه « انهيار المذهب الآلي » وقد قال المؤلفان في ختام هذا الجزء « إن العلم لم ينجح في المضي بالمنهج الآلي بشكل مقنع، ولا يوجد اليوم من علماء الفيزيكا من يعتقد في إمكان المضي فيه » .

رابعاً — في كتاب « الكون في ضوء الفيزيكا الحديثة » لمؤلفه العلامة پلانك نراه قد ختمه بهذه الجملة « ان الفيزيكا الحديثة تقرّر لنا بشكل خاص صدق المذهب القديم القائل بأن هناك حقائق ليست في متناول مدركاتنا الحسية ... إلخ » . وپلانك هذا من العلماء الذين قرأ الأستاذ بقولاً لهم !

خامساً — في كتاب « تركيب الطبيعة » لمؤلفه العلامة أندريد أستاذ الفيزيكا حالاً بجامعة لندن نراه قد صدر الفصل الأول الذي عنوانه « ما الفيزيكا » بهذه الجملة : « إن من واجب الفيلسوف أن يفكر في الطبيعة العامة للأحداث المادية والروحية التي منها تتألف حياة الانسان » .

سادساً — لم يكشف العلم بعد شيئاً يصبح أن يقال انه خامد مت حتى لقد قال العلامة هويتهد في كتابه « العلم والعالم الحديث : « إن الذرة حولت نفسها الى كائن حي ... » سابعاً — يقول العلامة السيكلوجي يونج في كتابه « الانسان الحديث يبحث عن نفس » وفي الباب الذي عنوانه « مسألة الانسان الحديث الروحية » ما يأتي : « وحتى الفيزيكا قد بخرت عالمنا المادي ، وإذاً فلا عجب اذا عاد الانسان الحديث فلصق بحقيقة الحياة الروحية مترقباً منها ذلك الثبوت الذي أنكرته الدنيا عليه » .



مما مضى يتضح كيف نادى العلماء الذين استشهد بهم أستاذنا نقولا الحداد بانهميار المذهب الآلي ، وفي هذا المعنى تبخر الكون المادي وتحطم يا صاحب « هندسة الكون » ! وغريب من أستاذنا أن يستشهد بكتاب « الأثير والحقيقة » لمؤلفه سير أوليفر لودج ، لأن هذا الكتاب يعترف صراحة بوجود الأثير ، بل لأن أوليفر لودج هذا من أساطين الروحانيين . ففي كتبه « ما وراء الفيزيقا » و « ريموند » و « فلسفتي » قد نادى بالروح وبالحياة بعد الموت وبإمكان الاتصال بأرواح الموتى . وفي خطبة له ألقاها سنة ١٩٤٠ قبل وفاته بشهور في قاعة براوننج في ولورث قال يخاطب الحاضرين « أقول لكم اننا باقون بعد الموت ، والتواصل بين الأحياء والموتى ممكن . ولقد أثبت أن الذين اتصلوا بنا هم حقيقة نفس من قالوا انهم هم . والنتيجة أن الحياة بعد الموت من الوجهة العلمية قد أثبتت البحث العلمي صدقها » .

وأعود فأقول إن الروح مادة لا تستجيب لها المشاعر ، وهل تستجيب المشاعر للكهارب التي هي أصل المادة ولبناتها ؟ . ولقد صوّرت الروح في كبردج وفي المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن ، وفي ألمانيا وفي الولايات المتحدة وكندا وغيرها .

وتوجد كتب كثيرة جداً تبحث في تصوير الأرواح وتحسيدها وتسجيل اصواتها المباشرة واكتفي ان أحيل الأستاذ نقولا الحداد الى الكتب الآتية :

أ - « ظواهر التجسد » لمؤلفه الألماني العلامة فون سرنك توتزنج استاذ البيولوجيا في جامعة ميونيخ

ب - « تصوير غير المرئي بالفوتوغرافيا » لمؤلفه الدكتور كوتس

ج - « تجارب في العلم الروحي » لمؤلفه العلامة واريك

د - « خمسون من سني البحث الروحي » لمؤلفه العلامة هاري برايس سكرتير مجلس جامعة لندن للبحوث الروحية وقد صدر هذا الكتاب بصورة فوتوغرافية لروح متجسدة بعد نبضها أحد اطباء كلية الجراحين بلندن وفد التقط الصورة العلامة السير وليم كروكس

هـ - « التجسّدات » لمؤلفه هاري بودنجتون وفيه صورة اسير وليم كروكس وهو متأبط ذراع روح متجسدة

و - « موسوعة العلم الروحي » لمؤلفها الدكتور ناندور فودور

ز - « أنباء من العالم الثاني » لمؤلفه القس المحترم تويديل وفيه صور عديدة من بينها صورة فوتوغرافية لروح سير وليم كروكس وبجوارها صورة فوتوغرافية له صورت قبل وفاته

ح - « وساطة جاك وبر » لمؤلفه هاري ادواردز وفيه صور لختلاف الظواهر التي



تمت في مبرج مصورة بالأشعة تحت الحمراء ومن بينها صورة للوسيط الواقع في الغيبوبة  
ظهرت معها صورة لروحه المنسلخة منه

ط — « الحياة الآن وإلى الأبد » مؤلفه الدكتور ولز عميد كلية العلوم والبحوث  
الروحية في الولايات المتحدة

ي — « المسألة الكبرى » مؤلفه الطبيب البارع الدكتور جورج لندسي جونسون  
وسواء كان العلم الروحي هو Spiritism أو Psychical Research فإن المعاهد الروحية  
والعقلية أثبتت وجود الروح بالبرهان العلمي. ولقد وصل العالمان الهولنديان الدكتور فان زلست  
والدكتور مولطا إلى وزن الروح بجهاز خاص ابتدعه اسمه « الدينا مستوجراف » وتجذ  
صورة لهذا الجهاز في كتاب « تجارب معملية في الظواهر الروحية » مؤلفه العلامة  
الميكولوجي الدكتور هيريوارد كارنجتون أحد أعضاء لجنة التحكيم في المباراة الخيالية  
التي أقامتها مجلة « سينتفك أميركان ».

وأؤكد لسيدي الأستاذ نقولا الحداد أنه لا يسير الحركة العلمية وعلى الأخص  
في البحوث الروحية، واتحداه أن يذكر لي أسماء خمس كتب فقط قرأها من كتب العلم  
الروحي الحديث ظهرت في السنين العشر الأخيرة لأساتذة جامعيين. بل انه لا يتابع الحركة  
العلمية العالمية في الفيزيكا، وبرهاني على ذلك انه وهو مؤلف كتاب « هندسة الكون  
بحسب ناموس النسبية » لم يكن قد عرف حتى فبراير من سنة ١٩٤١ كيف أن الجسم اذا  
تحرك بسرعة الضوء انكشف إلى حيز العدم، على حين تزيد مادته إلى ما لا نهاية. فقد  
كتب في مقتطف فبراير سنة ١٩٤١ بعد ما قرأ كتابي « الفيزيكا الحديثة » يطلب تعليلاً  
لما سماه « التناقض العجيب » في نظرية النسبية. وأرجو أن لا ينسى قرائي أنه مؤلف كتاب  
« هندسة الكون بحسب ناموس النسبية ». وقد أوضحت له في مقتطف أبريل سنة ١٩٤١ أنه  
لا تناقض البتة، وذلك لأننا نهمل في بحوثنا المادية كل ما يتعلق بغير المدرك من مشاعرنا،  
وضربت له على ذلك الأمثال.

ويأبى الأستاذ نقولا الحداد إلا أن يكون مفرداً عما له مصطلحاته العلمية الخاصة.  
ذلك أنه في كتابه « هندسة الكون » اختار مصطلحات غريبة ذير المصطلحات المتعارفة  
المفهومة في مدارسنا ومعاهدنا العلمية، وكلياتنا الجامعية. مثال ذلك « الاستمرارية والمسارة »  
يريد بهما « القصور الذاتي والعجلة » و « الجو الكهربى والجو المغناطيسى » يريد بهما « المجال  
الكهربى والمجال المغناطيسى » و « قوة الشرود عن المركز » يريد بها « القوة المركزية الطاردة »  
و « القوة energy » يريد بها « الطاقة » و « الزمكان » يريد « انضاز من ». ذكرت هذا لأنه



استغرب المصطلح « الفترات الفضازمنية Space-time intervals » ويكفي أن أقول إنه في الترجمة العربية التي قامت بها وزارة المعارف لكتاب « الكون الغامض » سالف الذكر قد أختير المصطلح « الفضاء والزمن » مقابلًا للمصطلح space-time .

\*\*\*

ونعود الى الحادث الذي أثار هذه المناقشة وهو حادث رؤيا رفعة حسنين باشا ، فنؤكد له أنه حقيقي، وأن رفعة حسنين باشا لم يكذبه حتى بعد أن طلب الاستاذ نقولا الحداد في المقتطف وفي التعليق الذي نشره المقتطف لنا حوادث مشابهة . وأما القول بأن الحادث وهم وخداع فهروب من التعليق بشكل لا يليق بمؤلف كتاب « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية » وإن يكن هذا الهروب بذلك الشكل المضحك لا يمكن أن يضاهي بما سماه « التناقض العجيب » في نظرية النسبية ! !

ونسأل أستاذنا الكبير نقولا الحداد أن يعلل لذلك الحادث الذي وقع اسعادة الدكتور نجيب محفوظ باشا وقد أنبأنا به حضرة الطبيب الفاضل الدكتور مصطفى شعراوي بك . وخلاصة ذلك الحادث ان الدكتور نجيب باشا دعى مرة لتوليد إحدى الاميرات ، وكانت الولادة عسرة . ومكث شطراً كبيراً من الليل يجاهد حتى تعب ، فجلس ليستريح ، فأخذته سنة من النوم ، فرأى في منامه المرحوم ولده يبشره بأن الاميرة قد وضعت ويدعوه أن يتم اجراءات الولادة . فاستيقظ الدكتور على الفور ، واذا به يجيد الاميرة قد وضعت فعلاً ، فأجرى الاسعافات اللازمة لها والمولود . ولما اطمان ارتدى ملابسه وغادر قصر الاميرة الى داره . فلما دخل داره وجد كريمته يقظي ، وما إن رآته حتى أقبلت عليه وسأته في لفة قائلة « هل ذهب اليك ؟ » فدهش وقال متجاهلاً « من ؟ » قالت « شقيقي » فلقد زارني في الحلم وقال لي إنه ذاهب لكي يسري عنك ويشارك بأن الاميرة قد وضعت . قال « نعم لقد زارني ونهني ، وبارك الله لنا فيه حياً وميتاً » .

هيا عدل لهذا الحادث أيها الصيدلاني المتبحر في علوم الارض والسماء ، والمتتبع الحركة العامة العالمية . هياً واستفسر أولاً من سعادة الدكتور عن صحة ذلك الحلم ، وحذار أن تنسبه لاهم والخداع والعقل الباطن الذي أنكروه جماعة السيكولوجيين وفي مقدمتهم مكيدوجل ويونج وفرويد نفسه . وعد الى كتابنا الحديث « السيكولوجيا والروح » ففيه البيان القاطع . ولا نخالك إلا متفقاً معنا في أن الكرا وخاصة باستخدام الاشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية في البحوث العلمية لا تنخدع ، وبنوع أخص إذا أجريت التجارب في كبرج تحت رقابة عامة شديدة . وجهاز « مخدع واسن » الذي صورت به



سيول الكهارب ثم صورت به أرواح الحيوانات عند موتها، لا بد أن يكون صادقاً في الحالتين .

ولقد دق ناقوس البشائر فعلاً بظفر البحث عالياً بالروح ، ويخيل اليأس أن إكباب الاستاذ نقولا الحداد على هندسة الكون واشتغاله بها لم يترك له وقتاً للقراءة والبحث . وانه لو وجد البرهان العبادي العملي عند صديقه وزميله الدكتور صابر جبرة كبير صيادلة مستشفى قصر العيني . نعم ليسأله يحذثه كيف أن الارواح أبرأت السيدة حرمة من ذلك المرض المستعصي القاتل Myasthenia Gravis بعد أن عجز الطب والعقاقير عن ابرائها . سله يا سيدي الاستاذ نقولا يحذثك عن الاشعاعات والاضواء الروحية التي كانت تعالج بها . سله يحذثك عن الارواح المعالجة وكيف تيسر لمن معه رؤيتها سواء أ كان العلاج عن بعد أم عن قرب . وكذلك سئل الدكتور شوقي نخلة طبيب مستشفى الاقصر كيف أبرأته الارواح من أخبث حالات اكتهاف العمود الفقري وهو النوع المسمى Syringo-bulbia بعد أن أشرف على الموت ، وهو سيحذثك عن تلك الاضواء التي رآها تنصب عليه . بل سئل كذلك حضرة الطبيب الفاضل الدكتور منير الجزائري أستاذ الباثولوجيا بكلية الطب بجامعة فاروق الاول عن الارواح التي يراها ، وسله كيف رأى عندنا الارواح المعالجة وما تحمل من أجهزة أثرية تستحدث بها مختلف الاشعاعات . واقرأ يا سيدي عددي مجلة « سايك » أوبزرفر الأمريكية رقم ١٥٨ بتاريخ ١٠ ابريل سنة ١٩٤٥ ورقم ١٦٢ بتاريخ ١٠ يونيو سنة ١٩٤٥ تجد كيف أن طبيباً توفي منذ تسعة عشر عاماً قد تجسد وهو روح أمام أطباء وصحفيين وأجرى عملية استئصال الزائدة الدودية بنجاح في الظلام بغير مبضع الجراح وعقاقير الصيدلي . وأثبت الكشف بالاشعة السينية قبل وبعد العملية وجود الزائدة ثم اختفائها ثم وجودها في قارورة ملاء بالكحول أعدت من قبل كطلب ذلك الطبيب الجراح الميت الحي . وكان ذلك في البرازيل . وقد كتب قنصل الولايات المتحدة المساعد تقريراً مصوراً نشرته المجلة في العدد الثاني المذكور . وأشارت مجلة « سايك نيوز » اللندنية الى ذلك في عددها رقم ٦٧٦ بتاريخ ٥ مايو سنة ١٩٤٥ وعادت فذكرت في عددها رقم ٦٨٩ الصادر بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٩٤٥ أن هذا الطبيب « الميت » قد تجسد روحه ثانياً وأجرى عملية أخرى لاستئصال الزائدة الدودية أمام جمهور من بينهم ثمانية من الأطباء نصفهم من الجراحين ، وأن أحدهم ولاء الجراحين ابن لذلك الطبيب الميت . وهذا الطبيب الميت الحي هو الدكتور أمارال !!

بقيت مسألة هوديني غفر الله له فأقول سيدي الاستاذ نقولا الحداد « صح النوم » .



عديا سيدي الى كتاب « ظواهر حجرة تحضير الأرواح » لمؤلفه العلامة الطبيب الدكتور باورز أستاذ الأمراض العصبية في منيابوليس ، وقد نقلنا هذا الكتاب الى العربية ، وإلى مجلتي الهلال والعلوم تتضح لك حقيقة هوديني الوسيط الروحي المتساحر . ويجب أن نفرق بين وساطته وشعوذته . ويكفي أن أقول إن هوديني كتاباً اسمه « ساحر بين الأرواح » كتبته ليهاجم به الروحية ، وقد قال عنه العلامة هاري پرايس سكرتير مجلس جامعة لندن للبحوث الروحية في كتابه « خسون من سني البحث الروحي » إنه « عبارة عن مجموعة حيل وألاعيب لا يجرؤ على استعمالها أي وسيط مداس خارج مستشفى المجاذيب » .

وفي عدد مجلة « سايكك أوبزرفر » الأمريكية رقم ١٦٠ الصادر بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٤٥ رى نصاً لمحاضرة أداها الوسيط الروحي آرثر فورد من راديو ميامي في فلوريدا عن « الروحية كعلم ودين » . وفورد هذا هو رئيس الجمعية الدولية العامة للروحيين ومدير جمعية فلوريدا الروحية بهوليوود ، وهو الوسيط الروحي الذي فضح هوديني ، واستحضر روحه بعد وفاته واستخلص منه الرسالة الشفوية المتفق عليها بينه وبين زوجته مسز هوديني . وقد نشرنا بالز نكوغراف اعتراف مسز هوديني بصحة الرسالة ، مهوراً بامضائها . بل لقد نشرنا اعترافاً لهوديني نفسه قبل وفاته بأنه هو نفسه وسيط روحي . وهوديني هذا لما استغل وساطته لجمع المال والتشهير بالروحية غير عابئ بنصيحة الأرواح المهمة عليه « جرت هذه الأرواح وراح ضحية إحدى ألعابه الخارقة وكان يجريها في جامعة مكجيل بأمريكا ، فخرج مغلوباً على أمره الى المستشفى ثم الى القبر .

مرة أخرى « صح النوم » ياسيدي المسائر للحركة العالمية .

ياسيدي الأستاذ نقولا الحداد ، كان من بين الأساتذة في جامعة وارسو أستاذ له مكانة علمية خاصة هو العلامة أوكوروفكز ندّد بالعلامة سير وايم كروكس حين جهر بأرائه الروحية التي ظهرت مطبوعة في كتابه الفذ « بحوث في ظواهر الروحية » . فانظر ماذا قال بعد ذلك . لقد قال : —

« انني حين أذكر كيف اني رميت بالخرق والغباء والحق ذلك الباحث الشجاع كروكس لانه كان لديه من الشجاعة ما وكده به صدق الظواهر الروحية ، فاني أخجل من نفسي ومن غيري وأصبح من أعماق قلبي : اغفر لي يا أبي : فلقد أجمرت في حق النور » .

اصهر فراسمى أبو الخير

مدير السينما الثقافية بوزارة المعارف



# تقسيم تاريخ مصر القديمة



اعتاد علماء التاريخ المصري القديم أن يقسموه الى عصور رئيسة أطلق على كل منها اسم معين . غير اننا لو تعمقنا في دراسة التاريخ وآثاره نرى ان معظم هذا التقسيم الشائع بتسميته غير مطابق للحقيقة والواقع .

فالعصر الأول : يقصد به الفترة التي يرجع تاريخها الى ما قبل الأسرة الأولى وأطلق عليه « عصر ما قبل التاريخ » على أساس أن التاريخ يبدأ عند وجود الكتابة ويعتمد على النقوش المدونة فقط .

على أنه لدينا بلاداً لم تعرف الكتابة قديماً ، وأخرى عرفت الكتابة ولم نستطع قراءتها ، وبالرغم من هذا فلها تاريخ . فتكون الكتابة وتدوين الحوادث اذن ليست الوسائل الوحيدة للتاريخ ، بل هناك وسائل أخرى أساسها علم الانسان ، وعلم الحيوان ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الآثار . وقد أرشدتنا هذه العلوم مجتمعة الى معرفة تاريخ هذا العصر الطويل الذي يبدأ من حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، كما أن هذا العصر أول قسم نبدأ به تاريخنا لذلك كله نطلق عليه اسم « فجر التاريخ » .

العصران الثاني والثالث : يطلق الأول منهما على عصر الأسرة الأولى والثانية ويسمى بالعصر العتيق ، والآخر على عصر بناء الاهرام من الأسرة الثالثة الى السادسة ويسمى باسم الدولة القديمة ، فيقطع أصحاب هذا الرأي الأسرتين الأولى والثانية بدعوى أن المرجع في تحديد ذلك الى بناء الاهرام .

لكننا نرى ان الدولة القديمة تبدأ من الأسرة الأولى وتستمر الى الأسرة الثامنة أي من حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م . الى سنة ٢٢٤٥ ق . م . لأن بناء الاهرام لا يجب أن يوضع في المكان الأول ويتخذ أساساً لتقسيم دول التاريخ المصري القديم ، وإنما التقسيم كان قائماً على التوحيد السياسي للبلاد تحت رعاية ملك واحد ، بعد ان كانت عبارة عن ولايات مفككة ، والذي كان من نتائجه ان أصبحت البلاد جميعها ملتفة حول العرش رمز البلاد . ولقد تمت



وحدة مصر الأولى على يد الملك مينا (نعرمر) أول ملوك الأسرة الأولى حوالي سنة ٣٢٠٠ ق.م. ونطلق عليه اسم «عصر الوحدة الأولى».

العصر الرابع : وهو العصر المتوسط الأول ويشمل الاسرات السابعة الى العاشرة في نظر المؤرخين ولكن أشرنا سابقاً بأن عصر الوحدة الأولى ينتهي بالأسرة الثامنة ونضيف الآن بأنه من الأسرة التاسعة الى منتصف الحادية عشر نطلق عليه اسم «عصر تفكك الوحدة الأولى» وذلك لأن التوحيد السياسي قد تفككت أوصاله في هذه الفترة من ٢٢٤٥ ق.م الى ٢٠٧٠ ق.م

العصر الخامس : يطلق عليه المؤرخون عصر الدولة الوسطى ويشمل من أول الأسرة الحادية عشر الى آخر الأسرة الثانية عشر، ونرى هنا أن الوحدة السياسية قد عادت الى البلاد على يد الملك «نب حبت رع» منتوجت الثاني حوالي سنة ٢٠٧٠ ق.م. أي من منتصف الأسرة الحادية عشر، واستمرت حتى منتصف الأسرة الثالثة عشر (حوالي سنة ١٧٥٧ ق.م) ونسميه عصر الوحدة الثانية»

العصر السادس : ويطلق عليه العصر المتوسط الثاني ويشمل من الأسرة الثالثة عشر الى آخر الأسرة السابعة عشر. ونحن هنا نسميه عصر تفكك الوحدة الثانية من منتصف الأسرة الثالثة عشر الى الأسرة الخامسة عشر أي من سنة ١٧٥٧ ق.م الى سنة ١٧٣٠ ق.م وعصر حكم الغزاة الهيكسوس من حوالي سنة ١٧٣٠ ق.م الى سنة ١٥٨٠. ويشمل من الأسرة الخامسة عشر الى الأسرة السابعة عشر.

العصر السابع : عصر الدولة الحديثة ويبدأ من الأسرة الثامنة عشر الى أواخر الأسرة العشرين. ونحن نسميه «عصر الوحدة الثالثة» من حوالي سنة ١٥٨٠ ق.م الى حوالي سنة ١٠٨٥ ق.م (أي بدأ على يد بطل حرب الاستقلال الملك احسن الاول واستمر حتى عهد رمسيس التاسع).

وأهم ما لوحظ من مزايا عصور الوحدة القومية بجانب الازدهار في السياسة والحضارة أن ملوك تلك العصور وجهوا نظرهم الى سياسة خارجية خاصة نستطيع أن نقول انها أصبحت سياسة تقليدية لكل ملك قوي يعتلي عرش مصر الموحدة، أخذها الخلف عن السلف لدرء الخطر عن أجزاء المملكة المصرية الموحدة تحت عرش ملك واحد. وسنشير اليها مع باقي العصور في مقال آخر باذن الله.

دكتور - باهور - لبيب  
الامين بالمتحف القبطي



## سر القنبلة الذرية

كيف تنفجر ومن أين قوتها؟

قبل أن فوجئ العالم بخبر القنبلة الذرية كان الذي ينفجر في المواد المتفجرة السابقة من بارود وديناميت وكورديت ونيتروجليرين وترينتوتوالين الخ. هو الجزيء molecule أي أصغر جسيم من المادة. وهو مؤلف من عدد من ذرات العناصر بقوة الالفة الكيميائية. والعامل الأساسي في الجزيء القابل للانفجار هو عنصر النيتروجين على الغالب. لأن هذا العنصر شيرير لئيم قلما يأتلف مع العناصر الأخرى ائتلافاً مكيناً كما يأتلف مثلاً عنصر الهيدروجين والاكسجين في تكوين الماء، أو كما يأتلف السكر والصوديوم في ملح الطعام الخ. وإذا ائتلف النيتروجين مع عنصر ما يكون عرضةً لانتقالات منه، إذا طرأ عنصر ثالث أشد ألفةً بالعنصر الثاني. ولا محل هنا للتفصيل.

إذن فالانفجار في المنفجرات المذكورة آتفاً يحدث في الجزيء molecule المركب من ذرات مختلفة. ولكن الانفجار في القنبلة الذرية لا يحدث في الجزيء بل في الذرة نفسها atom

\*\*\*

ومما هو معلوم في الطبيعة أن الطاقة الكامنة في الجزيئات تعادل قوة التجاذب أو الائتلاف بين الذرات المؤلفة في الجزيئات. فمتى حدث التفكك بينها بسبب التفاعل الكيميائي الذي لا محل لشرحه هنا ظهرت الطاقة من مكنها قوة شديدة. فإذا انصرفنا عن البحث في انفجار الجزيء الى البحث في انفجار الذرة نفسها، وجدنا في الذرة ائتلافاً بين عنصريها: الكرب والكهبر أقوى جداً من الائتلاف بين عناصر الجزيء الذرية كما سيأتي بيانه. وهنا أشرفنا على طبيعة الائتلاف في داخل الذرة. هنا نسأل: —

ما هي الذرة !

حتى أواخر القرن التاسع عشر أو أوائل هذا القرن العشرين كان العلماء يعتقدون أن الذرة atom هي أصغر جسيم في المادة لا يتجزأ — هي الوحدة المادية الكيميائية التي تتألف منها كل مواد الكون من تراب وحجر وخشب ولحم الخ. ولكل عنصر من العناصر المادية (التي يبلغ عددها ٩٢ عنصراً) ذرته الخاصة به التي تختلف عن ذرة أي عنصر آخر. ولم



يكن العاء يعرفون الفرق بين ذرة عنصر وذرة آخر إلا الفرق في الخواص الكيميائية. ولهذا كان عادوا قبل هذا القرن يسمون هذه الوحدة المادية « الجوهرة الفرد » . ويسمون الجزء الذي يتركب من الجواهر الفردة المختلفة أي الذرات atoms « دقيقة » molecule والآن قرروا استعمال الذرة والجزء .

فما بين القرنين الماضي والحاضر بدت لاهماء البعثات العمليين ظاهرات جديدة تدلهم على ان الذرة ( الجوهرة الفرد ) ليست أصغر جسم بسيط تتجزأ اليه المادة . فهي ليست الوحدة المادية في الطبيعة . بل هي نفسها تتجزأ أيضاً الى نوعين من الجسيمات هما وحدتا المادة المؤتلفتين كما سيحيى معنى هذا الائتلاف . كان الكياوي يقول ان الذرة هي وحدة المادة البسيطة غير المركبة . فجاء الكهربى ( نسبة الى الكهرب ) يقول : لا . بل الوحدة المادية هي تجاذب كهرب وكهرب في بطن الذرة نفسها . وهذا التجاذب هو أقوى ألوف المرات من الالة الكيميائية التي بين ذرة عنصر وذرة عنصر آخر .

أول من تنبه الى ان الذرة ليست جسماً بسيطاً غير قابل التجزئة بل هي مؤلفة من جسيمات أصغر منها هو اللورد رودفورد في أوائل هذا القرن . فلاحظ أن في الذرة تعبئة كهربائية متعادلة أي ذات طرفين أو قطبين ، موجب وسالب . فسمى القطب الموجب « بروتون » ونحن نسميه بلفتنا « كهرباً » وسمى القطب السالب « الكترون » ونحن نسميه « كهرباً » . ورأى أن ذرات العناصر تختلف بعضها عن بعض بعدد ما فيها من كهارب وكهربات متساوية في الذرة . فاذا كان في الذرة كهرب واحد فقط كما هو الحال في ذرة الهيدروجين وجب أن يكون فيها كهرب واحد فقط . واذا كان فيها أربعة كهارب وجب أن يكون فيها أربعة كهربات كما هو الحال في عنصر الهيليوم . وفي ذرة الذهب ١٩٧ كهرباً ومثلها كهربات . وهلم جرا .

ثم جاء الدكتور بوهر Bohr الدنمركي فبرهن على أن الكهارب تتوسط الذرة كنواة في مركزها . وان بعض الكههربات تقيم معها في النواة والبعض الآخر تدور حول النواة على بعد منها في فلك أو أفلاك كما تدور السيارات حول الشمس . فالذرة في يقينه كالنظام الشمسي بكل معنى الكلمة لأن الكههربات تدور في نظام الذرة بحكم الجاذبية حسب قانونها الذي اكتشفه نيوتن .

ثم جاء موزلي المأسوف عليه فبرهن عملياً على عدد الكههربات السيارة في ذرة كل عنصر ( وقد قتل موزلي في الخندق في معركة الدردنيل في الحرب الماضية ) فتبنا لمن جنده .

الالة الكيميائية تتوقف على عدد الكههربات السيارة

ولما كانت الكهارب في النواة أكثر عدداً من الكههربات التي يتم عددها في



الكهيريّات السيارة فتعتبر النواة ايجابية الشحنة الكهربية وأفلاك الذرة سالبة . ولكن الذرة نفسها برمتها متعادلة . فلو انتثر منها كهيرب واحد صارت ايجابية ، أو انتثر كهيرب واحد صارت سلبية .

( التيار الكهربائي هو انتقال كهيريّات من ذرات الى ذرات متجاورة باستمرار في دائرة circuit فتنتطعت الدائرة توقف انتقال الكهيريّات في الحال )

الكهيرب والكهيريّ متساويان حجماً ولكنهما مختلفان وزناً . الكهيرب وزن ١٨٤٧ مرة وزن الكهيريّ . ولذلك يعتبر الكهيريّ كأنه بلا وزن أي لا يحسب حساباه في وزن الذرة . فيعتبرون وزن الذرة بقدر ما فيها من كهارب . مثلاً ذرة الرصاص وزن ٢٠٧ مرات وزن الهيدروجين الذي في ذرته كهيرب واحد وكهيرب واحد فقط .

وفي ذرة الاورانيوم uranium ٢٣٨ كهرباً وهو وزنها بالنسبة الى وزن الهيدروجين . والأبعاد بين أفلاك الكهيريّات في الذرة وبين نواتها التي في مركزها تناسب الأبعاد التي بين الشمس وسياراتها بالنسبة الى أحجامها . فإذا حجم نواة الذرة بالنسبة الى الذرة نفسها ضئيل جداً ، كما ان جسم الشمس ضئيل جداً بالنسبة الى حجم النظام الشمسي الذي يشمل أبعاد جميع السيارات حول الشمس .

### الطاقة التي في الذرة

وهنا مسألة جوهرية جداً في بحثنا وهي : المعلوم ان الأجسام التي من قطب واحد موجب أو سالب تتنافر وتتدافع ، والجسمين اللذين في قطبين مختلفين موجب وسالب يتجاذبان كما ترى في قطبي المغنطيس والحك ( ابرة الملاحين ) . ولما كانت الكهارب كلها موجبة وهي متجمعة في النواة ، كان يجب أن تتنافر وتتدافع وتتباعده . فما سر تجمعها في المركز خلافاً لقانون الطبيعة ؟ ما هي القوة التي تربطها هناك ؟ هذا سر لم يكتشفه العلماء حتى الآن . ولكن الراجح انها متجمعة بقوة الجاذبية centripetal force أي الانجذاب نحو المركز كما ان الكهيريّات السيارة تدور في أفلاكها على بعد من النواة بقوة الدافعية : الاندفاع عن المركز centrifugal force وكلا القوتين معروفتان في النظام الشمسي ونظام سائر الاجرام . والرأي الحديث ان الكهارب في النواة مترابطة بقوة كهربية تسمى

Electrostatic Force

ومهما يكن السر فلا بد ان هناك قوة او طاقة تربطها . وسنرى انها قوة عظيمة جداً



وتظهر عظمتها حين يطرأ طارئ فينفصل أحد الكهارب من النواة وينقذف الى خارج الذرة وينقذف معه كهربه ويلتجئ خارجها فتتناقش التبعثتان الكهربائيتان : الايجابية والسلبية وتنفيا معاً بتاتاً . ثم تظهر القوة بشكل حرارة وامعة نور ، وهذه القوة محولة في جسيمات أصغر جداً من الكهربي وتسمى فوتونات وبلغتنا نسميها ضوئيات وهي بلا تعبئة كهربائية

ينفطر عقد الكهربي الى ١٠٠٠٠ فوتون وعقد الكهربي الى هذا العدد مضروباً في ١٨٤٠ الذي هو وزنه بالنسبة الى الكهربي . يعني يتحولان معاً الى ١٨،٤٠٠،٠٠٠ فوتون او ضوئي

اذن فالفوتون هو الوحدة الاولى للمادة . هو الوحدة التي لا تتجزأ بحسب العلم الاخير . ولعلها تظهر في المستقبل متجزئة

وهنا يبدو لنا أمر آخر فيه نظر . وهو : اذا كان الكهربي الموجب والكهربي السالب يتفانيان ويفنيان في الفوتونات اذا التقيا ، فكيف يمكن ان توجد الكهيريات مع الكهارب في النواة ولا يفني بعضها بعضاً

هذا أيضاً لغز لم ينحل حتى الآن . ولكن يمكن القول ان كل كهربي بعيد عن كهربه يدور حوله في نفس النواة كأنه قر له كالقمر حول الارض . وحينئذ لا تكون النواة كثيفة متراسة بل هي مجموعة جسيمات متباعدة ، والرأي الاخير ان الكهربي والكهربي الملتجئان في النواة . لا تعبئة كهربائية فيهما ويسميان معاً نيوترون

وكان الدكتور شديوك اول من انتبه لهذه الفوتونات وظنها نوعاً آخر من الجسيمات لا تعبئة كهربائية فيه فسمى مجموعتها نيوترون وتوقع أن يكون خير قذيفة لتحطيم الذرة ، وقد صدق ظنه كما سيأتي بيانه .

هذه الفوتونات تنطلق في الفضاء نوراً وحرارة ومادة أيضاً بسرعة النور أي حوالي ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية — تنطلق تموجات اشعاعية تسمى أشعة « جـ » .

وقد حسب اينشتاين الطاقة التي في جرام واحد الذرات بـ ٢١ الف مليون سعرة calories . والسعر هو مقدار الحرارة اللازمة لرفع حرارة كيلوجرام ماء درجة واحدة من مقياس سنتغراد ، وهذا يساوي حرارة ٣ ملايين طن فحم . فتأمل كم تكون الحرارة التي تحملها فوتونات الكهربي الواحد وكهربيه . ولم يكون النور الصادر منه ساطعاً . مثل هذا كان من زخم فوتونات القنبلة الذرية التي لا يحصى عددها وحرارتها ونورها .



### قوة الاورانيوم Uranium

لا يخفى ان الاورانيوم هو في رأس العناصر ذات الاشعاع (radiation) ويليه الثوريوم فالأكتينيوم فالراديوم. والأورانيوم يتحول الى ذلك فذاك فهذا على التوالي، وأخيراً يتحول الراديوم الى رصاص.

وعملية التحول هذه تحدث بأن يتناثر كل عنصر من هذه العناصر من تلقاء نفسه تدريجياً كهارب وكهيرات على التوالي حتى تصبح ذرة العنصر الأعلى ذرة العنصر الذي تحته أي ان كل عنصر يذوب رويداً على هذا النحو. والكهارب والكهيرات تتناثر وتنتقل فوتونات اي ضوئيات حاملة حرارة ونوراً كما هو مشاهد في الراديوم.

وقد قدر العلماء اني وخمسمائة سنة لدوبان الراديوم والاورانيوم النهائي على هذا النحو. فاذا كانت حرارة الراديوم أو الاورانيوم التي نحس بها ونوره الذي نراه يستمران ٢٥٠٠ سنة، تنطلق حرارتها ونورها دفعة واحدة في ثانية واحدة كما حدث في انفجار القنبلة الذرية، فهل نعجب من قوة تلك القنبلة الساحقة الماحقة. تصور باروداً كان يحترق تدريجياً في اني سنة ثم احترق كله دفعة واحدة، فكم يكون احتراقه عظيماً.

وقد روى مع خبر ضرب هيرشيا بالقنبلة الذرية انه رأى نور يبهر العيون أكثر من نور الشمس أو لا تطيقه العين وطغت في ذلك الجو حرارة لا تضارعها حرارة الجحيم او حرارة الشمس عند سطحها وهي ستة آلاف درجة سنغراد، وكان ثمت لسرعة الفوتونات في الاندفاع زخم يفوق زخم قذائف البنادق والمدافع ملايين المرات. فلا نعجب اذا ذلك هذا الزخم جميع المباني والاغالي وقوض المرتفعات.

في ذرة الاورانيوم طاقة هي ألوف أضعاف الطاقة التي في جزيئات النيتروجليسيرين مثلاً، لأن قوة الجذب بين الكهارب والكهيرات أضعاف أضعاف قوة الألفة الكيميائية التي في جزيء النيتروجليسيرين.

الحرارة والنور اللذان يأتيان الى أرضنا من الشمس، إنما هي فوتونات صادرة من كهارب الشمس وكهيراتهما المقتلعة من ذراتها والمتفككة بسبب تقاوي قطبيها الكهربائيين، الموجب والسالب، الملتصمين في أثناء انطلاقها من ذرات الشمس.

فالنور الذي يقع من الشمس على عيوننا هو فوتونات، والذي يقع على النبات والحيوان هو فوتونات تقوم بتمثيل المواد الآلية في أجسامهما. لهذه الفوتونات أعمال عجيبة في تكوين الأكوان وتطورها لا محل لشرحه هنا.



## مقدار قوة الدك

وهنا يسأل سائل من أين جاءت هذه القوة الهائلة التي دكت المدينة الى الحضيض وما هي قيمتها ؟ .

والجواب ان سر هذه القوة في سرعة انقذاف الفوتونات الهائل وهي حوالى ٣٠٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية . واليك الايضاح :

$$\text{كتلة} \times \text{سرعة} = \text{زخم}$$

الكتلة وزن المقدار من المادة . والسرعة مدى انقذاف المقدار بالثانية . والزخم شدة الانقذاف وهي القوة . مثال ذلك : —

نفرض ان حصاة زن خمسة جرامات رُميت رمياً بسرعة ١٠ مترات في الثانية فيكون زخمها  $١٠ \times ٥ = ٥٠$  زخماً على مسافة عشرة أمتار .

ولنفرض كرة صغيرة من الصلب زن عشرة جرامات انقذفت من بندقية أو مدفع رشاش بسرعة ٥٠٠ متر في الثانية فيكون زخمها  $١٠ \times ٥٠٠ = ٥٠٠٠$  متر على مسافة نصف كيلو متر ، فهي لا تثقب لوح خشب على هذا البعد . ولكنها على بعد ١٠ أمتار تثقب لوح زنك سمكه مليمتر ، لأن الزخم يشتد بنسبة مربع البعد عن مركز صدور القذيفة بالعكس . فيكون الزخم مربع  $\frac{١}{١٠} = ٢٥٠٠٠٠$  زخم .

واذا فرضنا ان هذه الكرة الفولاذية زن جراماً واحداً فقط ، وقد انقذفت بسرعة ٣٠٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية وهي سرعة النور أو سرعة الفوتون فيكون زخمها  $١ \times ٣٠٠٠٠٠٠ = ٣٠٠٠٠٠٠$  كيلو متر على بعد ٣٠٠٠٠٠٠ كيلو متر . فإذا يكون زخمها على بعد خمسة كيلو مترات ( أي بعد مركز المدينة عن ضواحيها ) ؟ يكون مربع  $\frac{٣}{١٠٠٠٠} = ١٢٠٠٠٠$  =  $١٤٤٠٠٠٠٠٠٠٠$  = ١٤ الف مليون وكسوراً . هذا هو زخم فوتونات جرام واحد من الاورانيوم على بعد خمسة كيلو مترات من مركز انفجاره . فلا بدع أن يدك كل ما في المدينة الى الحضيض .

## كيف يقلع الكهرب ؟

نعود الآن الى الذرة ونسأل : ما هي الوسيلة لقلع كهرب منها ؟ أو لتحطيمها ونفثتها الى كهارب وكهيرات ؟ ثم فوتونات وهذا هو العمل العظيم الذي قام به العلماء الاميركان



والآن كل شيء في أمركا . كان همهم أن يضعوا المخل أو المغم أو أية أداة لكي يقتلعوا الكهارب من ذرات الاورانيوم ( الثالث الذي وزنه ٢٣٥ ) أو تفتت ذرات هذا العنصر لكي تنطلق بزخم ٣٠٠٠٠٠ كيلو متراً في الثانية يعني بسرعة ملح البرق أو ملح الفكر .

في سنة ١٩١٩ نجح اللورد رودرفورد في اقتلاع كهرب من ذرة . والعلامتان هان وسترسمان فلقا ذرة اورانيوم فلقتين . فتوسما من ذلك امكان تحطيم نوى الذرات بحيث انه كلما تحطمت نواة حطمت جاراتها وهكذا تحدث سلسلة تحطيمات . وبعبارة أخرى سلسلة انفجارات ( كما يحدث حين تلتهب بعض ذرات البارود فتلهب جاراتها بسرعة ) . وهذه هي القضية التي حلها علماء القنبلة الذرية . ومتى عرفت خواص الجسم تماماً وتركيبه سهل على المرء اصطناع المطرقة لتحطيمه .

رودرفورد اقتطع كهرباً من الراديوم باطلاق أشعة ألفا من الهيليوم عليه ، وأشعة « ألفا » هي أشعة الكهارب أنفسها . وأشعة « بيتا » هي أشعة الكهبرات السابقة . وأشعة « جما » هي أشعة الفوتون التي لا تعبئة فيها . يعني ضرب كهرباً بكهرب أو نواة بنواة . ويوري ولورنس في أميركا وجدا قنبلة أخرى لضرب النواة وهي نواة الدبلون أو الديوترون وهو الهيدروجين الثقيل الذي ينشأ منه الماء الثقيل .

ولكن ما هو المدفع الذي يتخذ هذه النوى فتصيب الهدف تماماً ؟

هذا ما توفى الى صناعه الدكتور لورنس من جامعة كاليفورنيا ، إذ اخترع جهازاً كهربائياً لهذا الغرض سماه « سيكلوترون » وهو جهاز معقد التركيب وزن نحو أربعة آلاف طن . فينقذف منه الديوترون أي الهيدروجين الثقيل بقوة ١٧٥ مليون فولت . وهذه السرعة الهائلة لا بد منها اذا استعمل الكهرب او الديوترون لانه يحمل تعبئة كهربائية ايجابية تدفع كهرب الذرة بصدمة قوية . ومتى انقذف الكهرب مع كهبريه انحلا الى فوتونات وهي تحمل الطاقة أو القوة التي تندفع بها بزخم شديد .

هذه نظرية مدفع تحطيم الذرة — ذرة الأورانيوم

للأورانيوم ثلاثة نظائر مختلفة الأوزان ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٨ والثاني هو الأصلح لاصطناع قنبلة الذرة ، ولكنه قليل بالنسبة الى زميله جداً . وعزله من بينها يقتضي عملية كيميائية معقدة صعبة جداً . والأورانيوم على كل حال عزيز المنال لقلته وجوده في الطبيعة .



## اليامور

The Narwhal : Technical name : Monodon (genus) Monodon monoceros (species)

من الحيتان ، وكذلك سماه المعلوم في معجم الحيوان . وفي لسان العرب ( ٩٤ : ٥ ) التامور من دواب البحر . واذا شئنا تريب الاسم قلنا « النرول » ليقابل Narwhal ، وأصل الكلمة من لغات الشمال ، فهي في الدانمركية والسويدية Narhval وفي الايسلندية Nahval ، ثم انتقلت من هذه اللغات الى الانجليزية Narwhal والنرسية Narval or Narwhol والالمانية Narwall . انظر المعجم الانسيكلوبيدي Encyclopaedic Dictionary ص ٣٢٥٢ ج ٣ ) ، وعندى ان الاولى تريب اللفظ

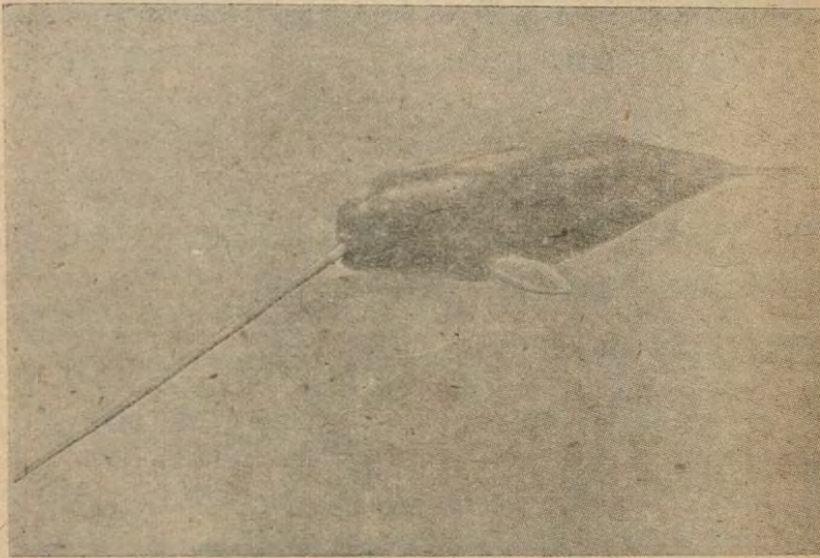
\*\*\*

وقبيلة الحيتان من أعجب صور الحياة ، فهي حيوانات ثديية تعيش في المياه البحرية وتلد وترضع صغارها ، وتنفس الهواء . غير ان من فصائل هذه الحيوانات ما هي أبعد على العجب من غيرها . ومن أعجب أجناس هذه الفصائل « النرول » . ففي أول عهده بالحياة يكون أشبه شيء بمحوت آخر يقال له تعريياً « البربوز » : Porpoise ، ويكون أدرد فاقده الأسنان . أما عند ميلاده فيكون رصيفاً . أي ذا أسنان مرصوفة صغيرة . فاذا تقدم به العمر ، فقد هذه الأسنان . ولكن يقع عليه بعد ذلك انقلاب خطير ، ويقع ذلك الانقلاب على الذكور دون الاناث . فان الشفة العليا لا تلبث أن يخترقها ناب يأخذ في الامتداد حتى يبلغ صبع أو ثمانى أقدام ، وهذه الناب هي عبارة عن استطالة تمضي فيها إحدى السنين القاطعين ، هي القاطعة اليسرى . غير انها تختلف عن جميع أصناف الأسنان في انها مُسَوَّبة حلزونية . وتَلَوُّبُها يساري . وقد وقع المواليدون على أفراد من « النرول » لها نابان ، ولكن هذه الافراد نادرة الوجود . فاذا وجد لفرد ما نابان ، كانت كلتاها يسارية التلُّوب . غير انه وجد أفراد نابها الايمن يميني التلُّوب .

من الطبيعي أن يتساءل المواليدون : ما هي الفائدة التي تعود على الحيوان من هذه الناب ؟ أي ملاح أم زخرف ؟ ومن الصعب بالضرورة أن يجاب على هذا السؤال جواباً



قاطعاً ، إذا علمنا أن رأي المواليديين فيه مختلف جد الاختلاف ، فيقول البعض انها اداة يكسر بها الحيوان صحيفة الجمد الذي يكون فوق الماء لينشق الهواء . ذلك بأن « النروك » من سكان المناطق الجليدية . ولكن بما ان الانثى فاقدة الناب ، سقط هذا التعليل . وقال آخرون انه سلاح يقوم عند « النروك » مقام القرون عند الوعل ، اذ هو عدته في سبيل الحصول على أنثاه والدفاع عنها . ولقد رأي كثير من الذكور وهم يقتحمون معركة حامية ليفوز كل منهم بأنثى ، وكان سلاحهم فيها ذلك الناب الطويل يطعن به الواحد منهم منافسه



### اليامور

فيخترق به جسده بالاندفاع نحوه اندفاعاً قوياً . وقد ذكر الرحالة الانجليزي « سكورسي » Scoresby انه اخرج من بطن « نروك » حذأة ( وهي جنس من السمك ) ظهر له من شكل الجراح التي بها ، أن ناب « النروك » اخترقها اختراق الحربة حتى ، أمكن صيدها . ولكن اذا اخترق الناب الفريسة وأصبحت معلقة به ، فكيف يستطيع « النروك » أن يتخلص منها ، وبزعها من هذه الحربة الملوّبة ؟ ربما استطاع ذلك بحركة رجعية سريعة خلال الماء ، فتدفع الفريسة من الناب الى الامام ، فاذا خلصت منه التهمها .



## ابتسامة الجيو كوند

قصة كبرى : لالدوس هكسلي

تلخيص : محمود عزت موسى

وقف مستر هاتن ينتظر مقدم جانيت سبنس وراح يتأمل خادماتها القبيحة، وكان كل ما فيها يذكره بالجرمين حتى أحس بأنه لا يستطيع أن يتأملها طويلاً فأخذ يتطلع الى ما تحويه الغرفة، وقد كدستها جانيت بالصور والتماثيل اليونانية واللوحات الفنية، وظل يتنقل بين هذه التحف حتى وقف أمام المرأة فتأمل وجهه فيها بتأن وهو يتحسس شاربه . إنه لا يزال على حاله منذ عشرين سنة ، وكذلك شعره كما هو ، وتذكر هؤلاء الشعراء ومنهم شكسبير وملتون . وحبيباتهم وابتسم ، فإن جانيت لا تدرك ذوقه ولا تفهمه ، ولاحظ فجأة أن جانيت واقفة بالقرب من باب الغرفة فاتجه اليها كأنها قد بوغت ، فمن يدري ربما سمعت ما يهمس به وأدركت ما يحول في نفسه ورأته وهو يتطلع الى صورته في المرأة . وابتسم لها ولهذا المفاجأة، ومد يده ليصافحها وابتسمت جانيت أيضاً — ابتسامة الجيو كوند التي تلازمها — كما لو كانت هذه الابتسامة من خصائصها . وكانت جانيت ، امرأة جميلة ، ذات فم معبر ، وأنف دقيق ، وعينين واسعتين ، شهوانييتين ، سوداوين . كانتا عينيْن جميلتين حقاً بكل ما فيهما من شهوة وسواد واتساع ، يعلوهما حاجبان مقوسان أسجمان .

\*\*\*

وراح مستر هاتن يخبرها بأنه كان يظنها قد خرجت من المنزل فازمع في نفسه الانصراف، ولكن هذه المقابلة قد أسعدته ، وأشارت اليه أن يجلس فاعتذر بأنه يود أن ينصرف ليعود أميلي - زوجته - فانها متعبة ومصابة بعسر هضم شديد ، وكاد يخطيء ويقول لها إن أمثال هؤلاء النساء كان يجب أن لا يتزوجن ، لكنه استدرك وراح يدعقها الى الغذاء معها غداً ، فاعتذرت ولكنها عادت فقبلت بعد إلحاح ووقف هاتن لينصرف وهو يودع هذه الفتاة العذراء وهو يقول لها : يجب أن أذهب الآن أيتها الجيو كوند الغامضة، فازدادت ابتسامتها وضوحاً وهو يقبل يدها لأول مرة ، وقال لها : غداً نراك ، ولكنه عاد يقبل يدها مرة أخرى . واصطحبته جانيت الى الخارج وهي تسأله عن سيارته، فأخبرها بأنه تركها



بعيداً عن المنزل وعرضت عليه أن تصحبه إليها ولكنه أقنعها بأن لا تفعل، ثم ودعها سريعاً وراح يركض في الطريق كأنه يخشى أن تلاحق به، وكأنه سرَّ بهذا الركض، فانه يدل على شبابه والتفت الى الوراء فوجدتها لازالت واقفة فأرسل اليها قبلة في الهواء، واختفى عن أنظارها حتى وصل الى سيارته ففتح بابها وأمر السائق بأن ينصرف به الى منزله وأن لا ينسى الوقوف عند تقاطع الطريق، وكانت صديقته دوريس تنتظره بالسيارة، وما كاد يجلس الى جانبها حتى راح يقبل وجهها الصغير فقالت :

— لا تمسني بيدك فاني أشعر برجفة كهربائية .

فابتسم هاتن وراح يكرر اسمها مرات وهو يحس بلذة عميقة عند ندائها باسمها وأخذ يقبل عنقها الجميل فقالت له : اني سعيدة جداً .  
فأجابها — وأنا كذلك . . هل هذا حقاً .

فقالت — ولكني أريد أن أعرف هل هذا خطأ أم صواب .

فقال — إن هذا ما كنت أسأل عنه نفسي في ثلاثين السنة الماضية .

فقالت — لتكون جاداً . فاني أريد أن أعرف هل هذا صواب . هل من الصواب أن أكون معك وأن يحب كلانا صاحبه فاني أشعر برجفة كهربائية حين تمسني .

فقال — صواب . إن هذا حسن جداً بأن تصيبك هذه الرجفة الكهربائية ، فذلك أفضل من العاطفة المكبوتة . اقربي فرويد . فالكبت خطر .

فقالت — ولكنك لم تدلني ، ولماذا لا تكون جاداً وأنت تعلم أنني أحياناً أكون شقية حين أظن أن هذا خطأ ولا أدري ماذا أفعل حتى انني أفكر أحياناً في أن أفق علاقة حبنا

فقال — ولكن هل تستطيعين ؟

فأجابت — كلاً أنت تعرف أنني لا أستطيع ، ولكني أهرب وأختفي عنك وأبعد نفسي ولا آتي إليك .

فطمأنها وقد وضع خده على شعرها حتى وصلت السيارة، فنزلت منها وكأنها قد حطمتها هذه القبلات وهذه الرجفة الكهربائية من يديه الرقيقتين .

\*\*\*

... كان اليوم من أيام الصيف الدافئة حين راح مستر هاتن يحادث زوجته وهو يلعب معها الورق ، فأنبأته أن الدكتور لبيارد أشار عليها أن تستجم بتغيير الهواء في هذا الصيف ،



وكان هاتن يفكر في دوريس فلم ينتبه لزوجته فاستمرت تقول : فاني يجب أن أشرب مياه معدنية لعلاج الكبد ، وأن أعالج بالكهرباء والتدايك . ولكن هاتن كان لا يزال يفكر في دوريس وهي تجري في الغابة خلف الفراش الأزرق الذي كان يتنقل ظائراً بين الزهور ، وهي من وراءه هاتقة صائحة كأنها طفلة غريرة ، وأعاده صوت زوجته الى تفكيره فقال لها :  
— إني أعتقد أن تغيير الهواء هذا سيفيدك جداً .

فقلت — ولكن يجب أن تأتي معي يا عزيزي .

فقال — ولكنك تعرفين أنني سأذهب الى سكو تلندا في نهاية هذا الشهر .  
فنظرت اليه وقالت : ولكني لا أعرف كيف أقوم بهذه الرحلة ، وأنت تعلم أنني لا أنام في الفنادق ، ثم هناك الحقايب . فلا أستطيع الذهاب وحدي . فأجابها : ولكنك لن تكوني وحدك . ستكون معك وصيفتك .

وراح يفكر في حبيبته الضاحكة . فقطعت زوجته عليه تفكيره بقولها .

— أظن أنني لا أستطيع أن أذهب .

— ولكن يجب أن تذهبي كما أخبرك الطبيب . ثم ان هذا التغيير يفيدك .

— لا أظن ذلك .

— ولكن الطبيب يعتقد هذا . ثم أظن أنه تحدث به .

— لا . لا أستطيع ، فأنا متعبة جداً ، ولا أستطيع الذهاب وحدي .

وحاول زوجها أن يقنعه ليخلو له الجو ولكن عبثاً ، فقد راحت زوجته تبكي فأدرك أنه عاجل هذا الأمر بصبر معقول . ولكن لا يستطيع أن يفعل غير ذلك ، فندوقت طويل في بداية رجواته اكتشف — في ذات نفسه — أنه لم يشعر بالعطف على الفقراء والضعفاء والمرضى والناقحين فقط بل كان يكرههم ، وقد كانت أميلي جميلة وغنية عند ما تزوجها فأحبها حقيقة ، ولكن هل هي غلطته أن تكون هكذا الآن .

وتعشى هاتن وحده ، ثم ذهب الى زوجته يجاملها ويقراها لها شعراً بالفرنسية وما كاد يصل الى الصفحة الخامسة عشرة حتى رآها قد استسلمت لنوم عميق ، فأخذ يتأمل وجهها بكرامية . لقد كانت جميلة مرة واحدة منذ زمن طويل ، وأثارت هذه الذكرى في نفسه أعماق العواطف مما لم يشعر بمثله من قبل . ولكنها الآن مجعدة ، نحل وجهها ، وبرزت عظام خديها ، وأحاطت الزرقعة عينيها . كان وجهها كأنما هو وجه المسيح كما صورهُ الرسامون مصلوباً ، فسرت في جسده رجفة خرج على إثرها من الغرفة مسرعاً على أطراف أصابعه



وفي اليوم الثاني حضرت مسز هاتن العشاء ، وكان يبدو عليها في تلك الليلة الانقباض ، ولكنها راحت تجامل ضيفتها جانيت سبنس التي ظلت تستمع إلى شكواها وهي تتحدث بصوت عالٍ وتقف بالكلمات كأنها منطلقة باستمرار من بندقية .

وكان هاتن ينظر إليها في سكون ، وقد أثار في نفسه منظر جانيت شعوراً غريباً ، فراح يقارن بين زوجته ودوريس وبينها وبين جانيت بابتسامة الجيو كونا أو حاجباها الرومانيان . وتجاذبت الزوجة وجانيت الحديث لماماً ، حتى أحضرت الخادمة القهوة ، فقامت جانيت لتأخذ قهقهة ولتقدم آخر لمسز هاتن ، بينما ذهب الزوج يحضر زجاجة الدواء ، ولما تناولت جرعتها من الدواء ، قدمت إليها جانيت القهوة . واستمر الحديث بينهما حتى شعرت مسز هاتن بأنها متعبة ، وأنها في حاجة إلى الراحة ، فاستأذنت صديقتها ومضت إلى غرفتها . ولما أراد زوجها أن ينصرف تضرعت إليه وهي تبكي أن يبقى معها في المنزل فقد أصبحت لا تطيق البقاء وحدها .

ولكنه اعتذر بأنه على موعد سابق مع أحد أصدقائه ولا يستطيع أن يخلفه ثم قبلها وذهب إلى الحديقة حيث قابلته جانيت وهي تقول له بلهفة .

— ان زوجتك في حالة خطيرة .

— ولكنها سررت كثيراً بمقدمك .

— انها عصبية جداً ولقد راقبتها جيداً ومع سوء حالة قلبها فهي عصبية .

— ولكن الدكتور ليبارد لا يهتم كثيراً بصحتها .

— انه طبيب القرية . ويجب ان تستشير إخصائياً .

وسارا معاً حتى خرجا من الحديقة إلى حيث تقف سيارة جانيت ، فساعدتها على ركوبها وودعها وهي تذكره بأن يزورها في الغد .

\*\*\*

ومضى هاتن بعد ذلك إلى دوريس وكانت تنتظره عند تقاطع الطريق فذهبا لتناول العشاء معاً في فندق بعيد وأمضيا وقتاً ناعماً لذيذاً ، كانت فيه دوريس في غمرة العاطفة ورقة الحب .

وعاد هاتن إلى منزله قبيل منتصف الليل ، فقابله الدكتور ليبارد في مدخل المنزل فبادره هاتن قائلاً : هل زوجتي مريضة ؟ فأجابته : لقد بحثنا عنك منذ مدة وسألنا عنك في كل مكان فقال : كنت مشغولاً في جهة أخرى . فقال الطبيب : وكانت زوجتك تريد أن تراك . فقال : ماذهب إليها الآن واتجه نحو السلم ولكن الطبيب وضع يده على ذراعه وهو



يقول له : أخشى أن يكون الوقت متأخراً .

فقال : متأخراً ! وراح يخرج ساعته من جيبه دون جدوى فقال الطبيب

— ان مسر هاتن توفيت منذ نحو نصف ساعة .

وكان الطبيب يتكلم عن الموت كما لو كان يتكلم عن مباراة رياضية

وتذكر هاتن كلمات جانبيت في الحال . انها قد تموت في أي لحظة اذن قد كانت على صواب

— ولكن ماذا حدث . وما السبب .

وأخذ الطبيب يذكر له أنه انتابها فيء شديد أعقبه احتضار فلي شديد وانهجار شرياني .

\*\*\*

.. جلس هاتن يطالع في المكتبة في مساء يوم الجناز وكان يقرأ الملتون وهو موزع  
الدهن مببلب الخاطر حتى انتصف الليل فتوجه الى الشرفة وكان الجو دافئاً صافياً والليل  
ساكناً . فراح يحديق في النجوم الالامعة ويتأمل أزهار الحديقة وهو غارق في تفكير عميق .  
ما العظمة والنبيل وما الفارق الجدي بين النبيل والدناءة . ملتون . والنجوم والموت ونفسه .  
الروح والجسد، الطبقة العليا والطبقة السفلى . ملتون يهذي ، والنجوم الالامعة والموت وأميلي  
في قبرها ودوريس . كان نهباً مقسماً لصراع عقلي عنيف وتفكير محزون مشقت ، حتى خيل  
اليه أنه أبغض كل شيء في الحياة واعزم في نفسه أن يحيا حياة جديدة يراقب مزرعته في  
النهار ويدرس في الاليل .

ومضى هاتن الى فراشه متألماً شقيماً ولو أنه أحسَّ بشعور طيب في نفسه واستيقظ في  
الصباح ، وقد نفذت أشعة الشمس الدافئة الى غرفته فتناول افطاره وامتنطى صهوة جواده  
وظلَّ يتجول في مزارعه ثم راح يطالع في دراسته المعقدة بعد الغداء ويكتب بعض  
الملاحظات . وفي اليوم السادس من هذه الحياة الجديدة التي قدَّرها لنفسه تلقى خطاباً من  
دوريس . كانت كلماتها جوفاء تافهة ، كتبت اليه تعزية وتجبره بوحدها وشقاها . ان فكرة  
الموت أصبحت تسيطر عليها ولا تجد منها خلاصاً وأنها محطمة شقية بدونه ، وأنها لم تكن  
لترغب في أن تكتب اليه بل كانت تود أن تنتظر حتى ينتهي من أحزانه ويحضر فيراها ،  
ولكنها يائسة وحيدة حزينة . ولذلك كتبت اليه لتستمد معونته وتريده ، فليس لها في الحياة  
سواه ، فهو الرجل الطيب القلب ، الرقيق الحس ، وهي لا تستطيع أن تنسى طبيته ورقته  
نحوها ، وهي لا تستطيع أن تتصور أنه سيتركها ، فهو يجب أن يحبها لأنه أحبها قليلاً .  
وثار هاتن واختلج في جنبات نفسه شعور عظيم بالخجل ، فهي تشكره وهو يخدعها .



فيا للحاقة ، ويا لها من تعسة . انه يجب أن يكتب اليها خطاباً رقيقاً بأنه سيلقاها قريباً .  
وعاوده حينئذ وتفكيره فيها حتى قطع عليه الخادم تأملاته بأن أعلن اليه إعداده .  
ومضت خمسة أيام أخرى حتى تقابل هاتن ودوريس . . كانت جميلة رائعة في ملابسها  
الحريرية البيضاء الناعمة ، وأمضيا الليلة كأنهما جاهلاً ذهيباً ، وراحت دوريس تفرق في نوم  
عميق بينما حاول أن ينام عبثاً ، فقد كانت الأفكار تلاحقه والأوهام تطارده ، ولما تحركت  
ألفته على كسب من مخدعها . وقد أخذ يتأملها على ضوء النور الخافت الذي تسرب من بين  
الستائر ، وانعكس على ذراعها العاريين وكتفها وعينيها وشعرها الأسود الرخص . كانت  
رائعة حقاً ، ففكر لماذا لا ينام الى جانبها ويدع أحزانه وآلامه ، وماذا لو عاش في الحياة  
بلا أمل . ومرت به لحظات في التفكير أن يتعد عن المسؤولية . يجب أن لا يكون مسؤولاً  
فهو حر ، حر أبداً . وفي شوق عاصف جذب اليه الفتاة . فاستيقظت كالسحرة وهي ترتجف  
تحت قبلاته . . واستحالت ثورة رغبته الى نوع من المرح الهادئ ، وقالت له — هل  
تستطيع أن يحبك أحداً كما أحبك أنا فقال لها : أظن أن هناك واحدة تستطيع هذا فقالت :  
من هي خبرني ؟ وكان صوتها مزيجاً من الشك والألم والرجفة . فقال : ألا تستطيعين أن تعرفي ؟  
وظل ساكناً حتى عجزت أن تجيبه . فقال لها : أنها جانبت سبنس . فأجابته في سخرية : هذه  
المرأة العجوز ؟ فقال ضاحكاً : هذا حق . ولكنها تعجب بي وإني أعتقد أنها ترغب في  
الزواج بي فأجابته : ولكن يجب أن لا تزوجها . لا تفعل . فقال : لقد قررت الزواج  
بك أنت أنت . وأحس كأنه عمل أحسن ما في حياته .  
ولما غادرا مكانهما الذي تقابلا فيه خرج هاتن منه رجلاً مزوجاً . ولكنها اتفقا على  
أن يظل الأمر سرّاً حتى يرحلا الى الخارج في شهر الخريف ، وحينئذ يعلم الناس  
بذلك الزواج .

\*\*\*

وفي اليوم التالي ذهب إلى جانبته فقابلته بابتسامتها المعتادة ، ابتسامة الجيو كوندا ،  
وجلسا معاً في منزلها الصيفي الجميل . ثم أخبرها أنه سيرحل إلى إيطاليا في هذا الخريف .  
فدهشت لهذا الرجل ، وكأنما أصابها صدمة فاستلقت على كرسيها وأغمضت عينيها وأساب  
نفسها لصمت طويل ، ولم يتبادلا حديثاً حتى تناولا العشاء .

وكان الليل ساحراً ، والسماء رقيقة جذابة ، والقمر يغمر الطبيعة بضوئه الفضي ، وما لبث  
هذا الهدوء والصفاء أن عكرت به سحابة مارة زعدت لها السماء وأبرقت ، وهطلت الأمطار ، وهبت



الرياح ، وقالت بعد صمت طويل : أظن أن لكل شخص الحق إلى حدٍّ ما في السعادة .  
أليس كذلك . فقال : بلا ريب .

ومضى يفكر ، ماذا تقصد بالسعادة ، وعرج بتفكيره إلى حياته الماضية حينما كان لديه المال والحرية ، وفي استطاعته أن يفعل ما يشاء ، فلقد افترض أنه كان سعيداً ، أسعد الرجال ، ولكنه الآن ضئيل الحظ من السعادة . وقد اكتشف في عدم المسؤولية سرَّ المرح والحياة ، وكاد يحدثها عن السعادة لولا أنها قاطعتة ! إن مثلك ومثلي لها الحق في أن يسعدا . فقال متعجباً ! مثلي أنا ؟ فقالت يا للسكين إن الحظ لم يعاملنا معاملة حسنة . فقال : لقد عاملني بسوء . فأجابته : أنت نفس وحيدة طارئة تبحث عن رفيق وأنا أحب أن أشاركك وحدتك ومضت تحدثه عن نفسه ووحده ووحشته ، وأنها المرأة التي تستطيع أن تملأ هذا الفراغ الشاغر في حياته وأن تسعده لأنها تحبه . كانت تكلمه جادة وبحرارة ، فظلَّ لائئلاً بالصمت حتى صدمها بقوله : ولكنني فقدت عاطفتي . فلم تأبه لقوله وراحت تتضرع إليه وتتوسل وتطارد قلبه وتلح عليه أن يتزوجها ، أن يرتبط بهذه الرابطة المقدسة إنها تحبه وقد حانت الفرصة الآن فهما أحرار ، وارتمت بجسدها عليه وأخذت تعانقه ولكنه أبعدھا ، فبكت تستعطفه ، وقد ارتمت على الأرض تنبش في حرارة وحرقة ، حرارة الفتاة المحرومة ، وحرقة المرأة الواطئة المهجورة ، وتركها تبكي وانصرف ، وقد هدأت العاصفة وانقطع المطر ، وأمسر القمر ، وأخذ يفكر فيما حدث فلعلها تمثل دوراً وتلعب لعبة

\*\*\*

وانصرف يوماً إلى دوريس في منزلها الجديد الذي استأجره لها في ضاحية المدينة وهو يبدو عليه التفكير العميق فسألتها عما به ، لكنه اعتذر اليها ببعض متاعبه ، وقد بدا له أنه كان من الأفضل له أن يهجر دوريس أيضاً وغرامها الفريد . فهو لم يعرف قط آلام الحب الفاضل ، ولكنه يجرب الآن آلام الحب المهجور ، فهذه الأسابيع الماضية تزيد سقمًا وشقاءً ، ولو أن دوريس دائماً معه . أن من الأحسن له أن يكون وحيداً وأخرج من جيبه خطاباً . لكم أصبح يكره هذه الخطابات التي تحوي دائماً أخباراً سيئة في هذه الأيام وخاصة بعد زواجه الثاني . وكان الخطاب من أخته فكاد يمزقه لولا أن رأى فيه عبارة قرأها وقلبه يخفق بشدة ، فقد كانت عبارة وحشية مروعة فهي تذكر أن جانبيت تدليع عنه في كل مكان أنه مهم زوجته ليتزوج دوريس .

وكاد يثمرق غيظاً وهو يقرأ هذه الكلمات ويلعن هذه المرأة وأيقظ عقله المكسود



وقع خطوات التفت نحوها فوجدتها الخادمة تقتطف فاكهة من الحديقة فراح يتأملها . كانت خادمة جميلة بقمها الصغير وجسمها اللدن فنادها . وابتسمت له ابتهامة اخذة اريحف لها فقرر أن ينسحب قبل أن يتمادى في الحديث معها .

\*\*\*

وظهرت الصحف في الأيام التالية تتحدث عن جريمة هاتن التي عرفت بعد حدوثها بشهور . وكان الرأي العام قد ثار لهذه القصة المؤلمة ، قصة الرجل الذي دس السم لزوجه ليقتلها ، وانتاب هاتن فرع شديد ، فقد أمضى هذه الشهور في آلام ولكنه كان في طمأنينة وأمان ، وقدّم للقضاء ، وأخذ الأطباء يبحثون جثة المتوفاة فوجدوا بها آثار السم وتعجب هاتن كيف ماتت زوجته بهذا السم . لقد قرر الأطباء أن السم ابتيع قبل الوفاة بعدة ساعات في وقت العشاء ، واستدعيت الخادمة للسؤال فقررت أن مسز هاتن استدعتها وطلبت منها دواءها ، وكان مستر هاتن وحده يحضر هذا الدواء وأيدت جانب شهادة الخادمة وأضافت أن مستر هاتن عاد ومعه لدواء في كوب لا في زجاجة

وتأجل التحقيق أياماً وفي نفس هذا المساء ذهبت دوريس إلى فراشها اشعورها بصداع ولما دخل عليها زوجها بعد العشاء وجدها تبكي فجلس على حافة الفراش يداعب شعرها ويسألها سبب بكائها ولكنها لم تتكلم ، فأخذ يلعب بين أنامله بمخصلات شعرها بلا تفكير أو شعور ونحنى عليها يقبل كتفيها العاريين وهو غارق في تفكير عميق فيما حدث لزوجه اميلي التي ماتت مسمومة وأن هذا لا بد أن يكون كذباً وادعاءً فحال أن يحدث ذلك .

وقطعت عليه دوريس تفكيره بقولها : لقد أخطأت أمرا غلطتي ، كان يجب أن لا أحبك وكان يجب أن لا أجعلك تحبني لماذا خلقت في هذه الحياة . ولم يقل شيئاً بل استمر في صمته واستأنفت حديثها : اذا أساءوا اليك فاني سأقتل نفسي .

ثم جلست في فراشها وأمسكته بقوة وأخذت تتطلع اليه في ذهول وهي تقول :  
- إني أحبك . أحبك أحبك

وجذبه اليها قائلة « لم أكن أعرف أنك كنت تحبني كل هذا الحب ، ولكن لماذا فعلت هذا .. لماذا ؟ فتملص منها هاتن وقد احمر وجهه خجلاً وقال : هل تظنين حقاً أنني قتلت زوجتي . انه كذب . انها حماقة لا يرتكبها رجل متحضر ، هل ابدو من نوع هؤلاء الرجال الذين يقتلون الناس . لست اعرف ما هذا الشيطان الذي دفعني الى الزواج منك ، فقد كانت حماقة سيئة وانصرف عنها الى غرفة المكتبة يفكر فيما حدث دون ان يجد عند نفسه جواباً . وقد امتلأت عيناه بالدموع وناداه شعور في نفسه بأنه يجب أن يعيش كما أن هذا الشعور ينادي زوجته



الاولى من قبل، واستغرق في تفكيره بأنه يريد ان يصلي. كما كان يفعل ذلك منذ اربعين سنة عندما كان صغيراً يصلي عند سريريه راكعاً كل مساء، وتذكر ايام الطفولة وراحت ذكرياته تمر به كأنها صور الحياه نابضة. ودعا الله ان يغفر لأبيه وأمه فكل هؤلاء الذين لازموا في طفولته وكل من أحبهم قد جعلوا منه طفلاً هادئاً صالحاً وشعر في هذه الذكريات بهدوء ينسكب على أعصابه فيريحها وذهب الى حيث دوريس يسألها المغفرة، فوجدتها مستلقية على مقعد طويل وعلى أرض الغرفة بجانبها زجاجة دواء سام وقد بدأ عليها أنها شربت قدراً كبيراً. ولما رآته يفتح الباب ويتقدم منها ثم ينحني عليها قالت انك لاتحبني فأدرك كل شيء وأسرع باستدعاء الدكتور ليبارد لينقذها واستطاع الطبيب أن ينجح في عمله فقال لها وهما وحيدان في الغرفة : يجب ان لاتفعلوا هذا ثانية

فقلت : وما الذي يمنعني عن أن أفعله ؟

فقال : ليس هناك ما يمنعك ، ولكن هناك نفسك وطفلك ، فلا يجب أن يكون طفلاً سيئاً ألحق في هذا العالم . فصمتت برهة ثم قالت : حسناً لن أفعل .

\*\*\*

قضى هاتن بقية الليل الى جانبها وقد شعر في ذلك الوقت أنه قاتل حقاً ، وكان شعوراً هو مزاج من الألم والشقاء والحنان والعطف حتى أنه أصبح لا شيء أكثر من مخلوق شقي ، وذهب الى فراشه في نحو السادسة صباحاً ثم استدعي الى المحاكمة في نفس ذلك اليوم . وأما جانب فقد ساءت حالتها وانتابها أرق شديد وراح الدكتور يزورها يوماً بعد يوم ، بينما أخذت هي تحمده عن هاتن في لهجة يبدو منها غيظ المرأة التي قتلظى بالغيرة والغضب والانتقام وبخاصة بعد أن جاءتها الأنباء بأنه قد أصبح هاتن طفلاً من زوجته الثانية فأثارها ذلك وكأنما كانت هذه صدمة أخرى قاتلة .

وأخذ الدكتور يحادثها بلطف ورقة حتى فاجأها في صباح يوم بسؤال وهي متعبة كيلة : أظن أنك دسست السم بنفسك لمسز هاتن . أليس كذلك خملقت في وجهه بضع لحظات بعينها الواسعتين ثم قالت في هدوء - أجل .

واندفعت تبكي . فسألها : في القهوة أليس كذلك ، فهزت رأسها وتناول الطبيب قهوه ، ليكتب لها تذكرة طبية بجرعة منومة .



# مكتبة المقتطف

## الفلسفة الرواقية

تأليف دكتور عثمان أمين : نشرته مكتبة الخانجي بـ ٣٢٠ صفحة من القطع الاوسط

١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م

نقدنا هذا الكتاب في زميلتنا مجلة « الكتاب » التي نتمنى أن تكون للكتاب خير نصير ، ولأدب العرب أكبر ظهير ، على طول السنين والأعوام . ولكن الفراغ لم يواتنا في « الكتاب » بأن نعطف على الكثير من مظاهر هذا الكتاب ، فقصرنا النقد على الموضوع في اجماله ، وأبقينا على ما وقع في الكتاب من هنات تتناول المظهر الى هذه الصفحات .

أول شيء يسترعي نظرك في هذا الكتاب ، كثرة ما وقع فيه من التحريف في رسم أسماء الأعلام ، فهي لا تجري على قاعدة . ولا تتفق والقواعد التي جرى عليها العرب ، ولا تجري على القواعد التي وضعها مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

ذكر المؤلف اسم « فنائيطوس » فرسمه بانيتوس ( ص ١٢ ) ثم رسمه بنايطيوس ( ص ٣٩ ) والمسمى واحد ، والرمضان مختلفان ، وذكر انطيجون غوناطاس ( ص ١٥ ) ورسمه الصحيح انطيجونوس غوناطوس Antigonus Gonatus ، وقال كرومبيوس ( ص ٣٠ ) وهو خُرسبوس ، وقال البطاسسة وهم البطاملة لأن رسمه في اليونانية Ptolemaeus والسين في آخر الاسم علامة الرفع في اليونانية ، فهي ليست من بنية الاسم ، فعربه العرب بطليموس وحقيقته بطاهيوس ، ولما جمعوا الاسم قالوا البطاسسة ، فأثبتوا السين التي هي علامة رفع وحذفوا الميم التي هي من بنية الاسم ، وعلى هذا فلفرد بطليموس ، واجمع البطاملة ، وقال شيشرون ( ص ٣٢ ) وهو قيقرون أو كيكرون ، ولو انه اشتهر في العصر الحديث بهذا الرسم العجيب ، وقال الاكاديمية ( ص ٣٢ ) وهي الاقادمية ، وقال كليومين ( ص ٣٩ ) وهو إفلومانس ، وقال انتيباطر ( ص ٣٩ ) وهو أنطيفاطر ، وقال أسقفيون ( ص ٣٩ ) وهو إسقفيون ، وقال في ( ص ٤٠ ) بومي ، وفي ( ص ٤١ ) بومبيوس ، والاسم اسمى واحد ورسم رسمين مختلفين في صفحتين متواليتين ، وحقيقته فومبوس ، وقال أبلودور



(ص ٤٣) وهو أفولودوروس ، وقال أركيزيلاس (ص ٧٩) وهو : Arcesilans ويرسم في العربية أَرْقَسِيلَاوُس . وقال استلبون (ص ١٩) وهو إِسْتَلْبُون . والأخطاء في هذا الباب لا تسكاد تنتهي من الكتاب .

وترجم المؤلف اسم كتاب إكزينوفانس المسمى Memorabilia فقال المذكرات ، وحقيقته « الذكريات » ، لأنه في الواقع لم يكتب في صورة مذكرات ، وإنما كتبه صاحبه ذكريات عن عهد مصاحبته اسقراط ، وقال « بوطوس الصيدوني » ، والنسبة الى مدينة صيدا Sidon صيداوي كما عرفها العرب ، وقال السيلاَن (ص ١٢٥) والألف السيولة ، وقد قال العرب السيولة والميوعة ، وقال ممتدة (ص ١٢٥) والأوفى « ذات امتداد » ، وقال « الجواهر الفردة » (ص ١٢٤) مشيراً الى اللفظ الذي استعمله ليبنتز وهو « monad (s) » واستعملها بمعنى الجوهر الفرد الذي هو « atom » فيه تخطيط عظيم . فان جيوردانو برونو أول من استعمل هذا اللفظ (١٥٤٨ — ١٦٠٠) ثم اتحله ليبنتز (١٦٤٨ — ١٧١٦) وما استعمله ليبنتز الا ليتفادى بذلك معنى الجوهرية الذي قال به غسندي ، وعنده انه يدل على عدد من الوحدات الحقيقية لا امتداد لها ، ولكن في تضاعفها حياة داخلية ليفرق بذلك بين المناود monads وبين الجواهر الفردة Atoms هذا ما قاله « مرتز » مؤرخ الفكر الاوربي في القرن التاسع عشر واليك النص الاصيل :

Monad a term first used by Giordano Bruno (1548—1600) and adopted in slightly different sense and brought into prominence by Leibnitz (1648—1716). To avoid the Atomism of Gassendi, he conceived a number of true unities, without extension, but endowed with the depth of internal life, thus distinguishing them from the atoms.

على هذا يتحتم علينا أن نعرب هذه الكلمة فنقول في المفرد « منود » وفي الجمع « المناود » ونخصها بالمعنى الذي أفردنا به ليبنتز . وغير هذا خطأ يجب التنبيه عليه . كذلك قال « القورينائية وقورينا » . والحقيقة التي لا تقبل الجدل ان يقال القورينية وقورنية كما حققت ذلك في كتابي « فلسفة الازدة والالم » ص ٥٠ الى ٥٣

وذكر في (ص ١٢١) تعريفاً لذلك ناقصاً ، وهو تعريف لارسطو نقله عنه ابن سينا في رسالة الحدود . قال المؤلف ان المكان (عن أرسطو) هو « السطح الباطن من الحاوي المماس لسطح الظاهر من الحوي » . والحقيقة انه ناقص كلمة « الجسم » فيكون « هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس لسطح الظاهر من الجسم الحوي »

والكتاب من حيث الموضوع لا يتقص من قيمته مثل هذه الهنات . ونحن نرى المؤلف الفاضل يكتب به ونظاب منه المزيد فأول الغيث قطر ثم ينهمر .



## الصهيونية

تأليف أنور كامل : ٦٢ صفحة من القطع الصغير : مطبعة الاعتماد ١٩٤٤

كتاب صغير الحجم كبير القيمة حسن الاسلوب اشتركي النزعة عربي الروح . استعرض فيه مؤلفه نشوء الفكرة الصهيونية وأثبت بجلاء ووضوح ان لهذه الفكرة سياستين : سياسة سرية توجه دعوتها الى اليهود لانشاء دولة يهودية في فلسطين على انقاض العرب ، وسياسة ظاهرة توجه دعوتها الى التعاون مع العرب تخديراً لأعصابهم حتى تتمكن من السيطرة عليهم في النهاية

ولقد أظهر المؤلف كيف تقلبت النزعات اليهودية مع دورات التاريخ من العصر القديم الى العصر الاقطاعي ثم الرأسمالي ، وشرح كيف عملت الصهيونية منذ اواسط القرن التاسع عشر وجهدت في سبيل الاستيلاء على فلسطين وطرده العرب منها رويداً رويداً حتى يتم لهم انشاء مملكة يهودية فيها

جاء في ختام ذلك الكتاب : « ان التوسع الصهيوني هو في حقيقة امره نكبة من النكبات التاريخية حل هذه المرة بالجماهير اليهودية المقيمة في فلسطين أو الزاحفة نحو فلسطين . ولن ينقذ هذه الجماهير من الدمار الا شيء واحد « هو انهيار الصهيونية » وقال اننا نحارب الصهيونية « لاننا نعتقد ، واعتقادنا مستمد من الواقع الاجتماعي والتاريخي ، ان الصهيونية حركة استعمارية مركبة »

ولعل المؤلف لم يرد ان يقول ان التوسع الصهيوني ليس نكبة من نكبات التاريخ . سوف يحل بالجماهير اليهودية المقيمة في فلسطين فقط ، بل ربما حلت النكبة على غير المقيمين بفلسطين . وان قيام هذه الحركة في الشرق ومركزها فلسطين ، سوف يخلق من هذا القطر بلقائناً آخر في الشرق أشبه ببلقان الغرب ، وبهذا لا يجني أهل الغرب وأهل الشرق جميعاً إلا مراً الثمرات .

## ملك من شعاع

تأليف عادل كامل — ٢٠٤ صفحات من القطع الكبير : مكتبة مصر

ظاهرة طيبة ولا ريب بدأنا نلاحظها أخيراً ، إذ شرع الكتاب يولون وجوههم شطر مصر القديمة ويمدون أبصارهم الى تاريخها القديم ، ينهلون منه أدباً جيلاً وقصصاً بارعة ، وأخذوا يستغلون هذا المنجم الذهبي البكر ، ويفرغون كنوزهم في قوالب تتيح لأهل البلاد وجير انهم أن يشاركوا الفراعين الأجداد فيما خلفوه من تراث أبقى على الدهر من تراث الذهب والمال .



فأصدرت سمو الأميرة شيوه كار قصة مصرية عنوانها « نهر رس أس » ، وكتب الأستاذ عبد المنعم محمد عمر قصة عنوانها « ايزيس وأوزيريس » ، ونشر الأستاذ عادل كامل قصة « ملك من شعاع » ، وأخرج الأستاذ علي أحمد باكثير مسرحية « الفرعون الموعود » فضلاً عن « أحس » للأستاذ عبد الحميد جوده السحار و « أخناتون ونفرتيتي » للأستاذ باكثير ، و « رادويس » للأستاذ نجيب محفوظ وو ...

وكتاب « ملك من شعاع » الذي نحن بصددده ، وضعه الأستاذ عادل كامل المحامي واتخذ موضوعه من سيرة حياة اخناتون . أسبق الناس الى الاعتراف بوجود اله واحد ينبغي أن يعبد الجميع ، وأول من بشر بأن الله الذي خلق الكون وأبدع صوغه ، لا تنظره العين البشرية المجردة ، وإنما يدركه العقل ويؤمن به القلب . وكان اخناتون أول من جرؤ على هدم الأصنام والتماثيل وتحطيم معابدها ، وجاهد ليحمل شعبه القصير النظر ، على اعتناق دينه والخروج من أفق المذوسات الضيق الى عالم اللامرئيات الفسيح . كان اخناتون ، فرعون مصر ، عبقرية يعيش في عصر لا يؤمن إلا بالحجر والشمس والنجوم والماديات ، وكان عليه أن يكافح كفاح الأبطال ليقنع القوم بما يعسر على العقل القاصر ادراكه . ويعصى على العين رؤيته ، فوفق في هذه المهمة أولاً ، ولكن الشعب سرعان ما تألب عليه بايعاز من كهنة الأصنام ، وانقلب عليه يطلب دمه ويحكم عليه بالموت وينعته بالخيانة ، ويبيع الوطن . ولكن المنية عاجلت اخناتون ، فمات حتف أنفه مغضوباً عليه من شعبه الذي أحبه وأخلص في خدمته ، مطعوناً في نزاهته من أصدقائه المقربين ، وعلت شفتيه وهو مسجى في الفراش هامداً ، بسمه هادئة عذبة تتم عن راحة قلبية واطمئنان الى عدالة القضية التي نافح لتحقيقها وقد أجاد الأستاذ عادل كامل ، وهو من الشبان الذين وفقوا في ممارسة فنون الأدب تحليل التطور الفكري لـ اخناتون ، وبين الخطوات التي استطاع أن يصل بها الى الحقيقة التي غابت عن أذهان معاصريه والسالفين له . وساق القصة ، وهي مزيج نادر من الفلسفة والأدب والمنطق ، في أسلوب جميل أخاذ ، فضلاً عن أن المؤلف ضمنها دروساً في السياسة والاجتماع وألواناً من الحب وضروباً من أفانين الدسائس ووسائل حبكها .

فقال عن الحرب « إنها العمى والعرج والبتر والكساح . إنها الأرملة فقدت زوجها والأم ثكلت ولدها والأخت تبكي أخاها والفتاة تندب حبيبها . . . إنها المناحة العظمى تعلم أرجاء الوطن ، والشقاء والحزن يخيمان على كل منزل . . . إنها المجاعة والدلة والمرض حين تخلو الحقول من حارثيها والبيوت من عائلتها ، وتنتشر المقابر والخبائث في كل مكان . . . فليست الحرب هي الشرف ، بل هي الغدر والاغتيال والخديعة . أما الوطن فإن من أحبه



حقاً كره الحرب . فمن يحبّ وطنه يسيئه أن يسلب وطن غيره ، كما أن من يحب زوجته لا يرنو إلى زوجة جاره . وعلى هذا النمط الروائي المنطقي ساق الأستاذ عادل قصته الرائعة .  
انه حقاً كتاب جليل ، ولا غرو ، فقد فاز بالجائزة الممتازة في مسابقة وزارة المعارف وقد أحسنت لجنة النشر للجامعيين بنشر هذا الكتاب لأنه سدّ فراغاً طالما استشعرناه .

وربيع فاطمة

### دفاع عن البلاغة

جاء في استهلال هذا الكتاب الجديد الذي أخرجه الأستاذ أحمد حسن الزيات أن السرعة والصحافة والتطفل هي البليات الثلاث التي تسكدها البلاغة في هذا العصر .  
ثم تقرأ بعد ذلك في ص ١٢٢ أن الفرق بين عصر وعصر في الأدب أو بين أديب وأديب في الأسلوب « لا يخرج عن قوة الرجولة في هذا وضعها في ذاك . فعصر الجاهلية عند العرب واليونان ، وعصر الفتوح عند المسلمين والرومان ، وعهد الفروسية عند الفرنسيين والظليان ، كانت أزهى عصور البلاغة ، لأن الرجولة كانت فيها بفضل النزاع والصراع في صبيل الحياة والغلبة والمجد أشد ما تكون تماماً واضطراباً وقوة » .  
وهذا كله صحيح ، وهي جميعاً أسباب أصاب في تفصيلها صاحب الكتاب ، ولو أنا نرى بعضها أولى بالتقديم لما له من أثر فعال في الركائز العامة والغائبة التي يريد دفعها بهذا الدفاع .

وضعف الرجولة عندنا في العصر الذي نعيش فيه ظاهرة ملحوظة ، تجدها في تخنث الشباب ، وعبث الصحافة ، وتقاهة الاذاعة ، وتشهدها في تسكع الكهول والشبان على المقاهي ، وانصراف المتعلمين عن الاشتغال بالأعمال الحرة ، وهي البلية كل البلية في تدهور البلاغة وفساد الذوق ، وتقاهة الأدب .

والأستاذ الزيات من شيوخ البلغاء في مصر والشرق ، جمع بين الثقافتين ، ونقل إلى العربية من عيون الأدب الغربي روائع زانها أسلوبه العربي حلاوة ورشاقة وجمالاً وجلالاً مع أمانة النقل ودقة التعبير . فأثبت بذلك أن العيب ليس عيب اللغة ، ولكنه جهل الناقلين وعجز المترجمين

الكتاب دفاع عن البلاغة ، ودفاع عن شخص مؤلفه وعن كل صاحب مذهب في البلاغة وتعريف بالأساليب ، وفتح في الأدب جديد ، وتوجيه للشباب والمتأدبين ، وذكرى للقائمين على شؤون العلم والتعليم .



واعتقادي أن الروح الصادق القوي المسيطر على هذا الكتاب إنما انبعث من أعماق نفس الأستاذ الزيات فكان صدق لما يحس وتعبيراً لما يشعر . فإذا علمت أنه كاتب رشيق العبارة، أنيق الأسلوب، يلتزم السمو ويترفع عن الاسفاف والعامية، ولكنه مع رشاقته بعيد عن التكلف، مرتفع عن الاستكراه والتعسف، حتى لقد تجهد في تغيير لفظة بدل أخرى فتعجز، فقد تفهم بعد ذلك السر في مهاجمة بعض عجزة الأدباء لحملة الأقلام وزعماء البلاغة فيرمونهم بالتكلف والتصنع، والبون شامع بين ما يصدر عن الشعور الصادق بالتعبير الجميل وبين ما يتأثر فيه الكاتب خطي المتقدمين مع النقل والتقليد.

والكتاب بعد ذلك دراسة عميقة لخصائص الأسلوب، جمعت بين آراء القدماء والمحدثين فتقرأ معنى لعبد القاهر الى جانب فكرة لبينون، أو رأياً لجاحظ يتبعه رأي أنطويير، مع الاقتباسات الملائمة من عيون الأدب، والأخبار الطريفة التي تبعث الشوق وتدفع السأم. وخلاصة الرأي في الأسلوب أن الهندسة الروحية لملكة البلاغة، وأن البلاغة التي نعنيها هي البلاغة التي لا تفصل بين العقل والدوق، ولا بين الفكرة والكلمة، ولا بين الموضوع والشكل: إذ الكلام كائن حي روحه المعنى وجسمه اللفظ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفساً لا يتمثل، والجسم جماد لا يحس».

غير أن الأستاذ الزيات، بالرغم من أنه ميز في الأسلوب بين الصورة والفكرة، أو بين التركيب والمعنى، فإنه يميل في ميزانه الى جانب الأسلوب، فهو يجعل نسبة الصورة الى الفكرة نسبة اثنين الى واحد، كما هي نسبة الايدروجين الى الاوكسجين في الماء. وهذه قضية قد تكون موضع خلاف، ونحن نرى أن عكسها أدنى الى الصواب. قال في ص ٢٥ «والحق أن أظهر الدلالات في مفهوم البلاغة هي أناقة الديباجة ووثاقة السرد ونصاعة الاليجاز وبراعة الصنعة، فإذا كان مع كل ذلك المعنى البكر، والشعور الصادق، كان الانعجاز».

ومن القضايا التي تحتاج الى إثبات ما يقرره في فصل «البلاغة بين الطبع والصنعة» في قوله: البلاغة كسائر الفنون طبيعة موهوبة لا صناعة مكتسوبة.

وهذا يناقض ما جاء في ص ١٠٧ «أريد أن أقول ان توخي الجمال المطبوع في الأسلوب أصل في طبائع الناس امتد منها الى تكوين اللغة وانشاء الأدب، فإذا ساهمت في المنشئ الفطرة وواتته الملكة وساعده الاطلاع... صدر عنه الكلام رقيقاً من غير قصد، أنيقاً من غير كلفة».

وما دامت خصائص الأسلوب كما جاء في الكتاب هي الامة والاليجاز والتلاؤم، فليس ما



يمنع من تعلم الناس الأساليب الجديدة ، فإذا عجزوا كان العيب راجعاً الى التعليم . وفي الكتاب إشارة صادقة الى ذلك حيث يقول « ان معاني اللغة في كل أمة هم وحدهم المسئولون عن تكوين الذوق السليم والخلق القويم في الناشئ » .

الحق ان هذا الكتاب مرآة للحياة الأدبية المناصرة ، فيه تحليل عميق وأدب رفيع ، وجراحة في الحق نادرة ، واشراف على التيارات الأدبية المختلفة في مصر والشرق .

اصحح فؤاد الالهي

### فن القصص

١٣٦ صفحة من القطع الوسط -- نشرته مجلة الشرق الجديد -- مطبعة الرغائب

إذا ذكرتُ القصة الحديثة في الأدب العربي ذكر معها اسم محمود تيمور فهو الذي جاهد في سبيل إرساء دعائمها ، وجاهد في سبيل النهوض بها ... وكان نجاحه فيها سبباً في اجتذاب أعلام كثيرة وخلق مواهب جديدة وكانت جهوده في هذا السبيل نقطة تحول في الأدب العربي كان من نتائجها أن أصبح فن القصة أحبَّ الفنون وأقربها الى النفوس .

فإذا جاء اليوم ووضع كتاباً عن فن القصة فإن هذا الكتاب يكون خلاصة تفكير بعيد ، وثمره جهاد شاق ، ويكون نهجاً يضعه خبير لمن يتصدى لهذا الفن بصره ويهديه ويسلك به إلى الطريق السوي .

والكتاب كما قدمته أسرة الشرق الجديد يشتمل على ثلاثة موضوعات رئيسية أولها قضية اللغة العربية وهو بحث قيم أبان فيه العوامل التي تمهد للعربية وسائل النمو المطرد واستكمال السلطان التام وتقرَّب بين لغة الكلام فترفعها وتزيل الفوارق بينها وبين لغة الكتابة .

ثم الموضوع الثاني يتناول فن القصة ، وهو كما قلنا خلاصة تجربة ونتيجة درس ونصائح خبير . أما الموضوع الثالث فهو تذييل الكتاب بثلاث من أقاصيص المؤلف الرائعة هي « على المشقة » و « إحسان الله » و « في ظلمة الليل » وهي تصور للقارئ مذهب المؤلف في فنه القصصي .

ولقد أحسنت دار الشرق الجديد إذ أخرجت هذا الكتاب لأنها قد سدت به فراغاً في المكتبة العربية كانت في حاجة اليه فجاء على يد من يحسن الكتابة فيه .

الصبر في



## مجلة الكتاب

ظهر العدد الأول من مجلة « الكتاب » ناطقاً بلسان عربي مبين ، لاساً حلة من العروبة زاهية الألوان رائعة البيان . وكفى بمجلة تصدرها دار عربية أصيلة في العروبة ، أن تكون لسان العرب الجنة الفيحاء . ولروح العرب المرزوق السائغ ، ولوطنية العربية المنهل العذب . دار المعارف التي تصدر عنها « الكتاب » دار عربية أصيلة في العروبة ، رئيسة في خدمة العرب والعربية . دار تمت إلى المصرية بأسباب ترجع إلى نيف وخمسين سنة ، كانت في خلالها مؤثلاً لبلاغة ، ومجتمعاً للأدباء ، ومنهلاً لرواد الأدب ، وعلماء في حركة العلم يشار إليه بالبنان . والصحافة المصرية خاصة ، والعربية جمعاء ، تتهز أعطافها غبطة بأن يكون لهذه الدار الكريمة ، ممثلة في « الكتاب » ، يد في الارتقاء بالصحافة الادبية العربية إلى أسمى الدروات ، على كثر الايام ، ومر الاعوام .

## العصر العباسي الاول

## دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي

بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري — صفحاته ٣٠٤ من قطع المقتطف .

طبع بمطبعة التفيض الاهلية ببغداد

وضع الدكتور عبد العزيز الدوري كتاباً دقيقاً علمياً مفصلاً عن « العصر العباسي الاول » ليس في نظر من يتصفحه سوى دراسة في التاريخ السياسي والاداري المالي في ذلك العهد ، ولكنها ناحية هامة من حياة الأمم لأنها كالمراة الصافية التي تنعكس عليها صورة حقيقية للحياة العامة والخاصة على السواء ، وقد كتب الكثير من عن تاريخ العرب والحوادث السياسية فيه وقد جاء هذا الكتاب باكورة البحوث العلمية الدقيقة عن ناحية هامة من نواحي الحضارة العربية وعلومها ومعارفها ، ويكفي أن يطلع القارئ على المراجع التي اغترف المؤلف من منهلها العذب بعض أبحاثه ليدرك أي جهد بذل في سبيل العلم .

## فن انشاد الشعر العربي

٧٦ صفحة من قطع المقتطف — مطبعة الآباء الفرنسيين بالقدس الشريف

هي رسالة وضعها الأب أغسطين فكيني الفرنسي وقفلها إلى العربية الأب اسطفان سالم الفرنسي والدكتور اسحق موسى الحسيني أراد فيها مؤلفها أن يضع قواعد ثابتة لانشاد الشعر العربي انشاداً صحيحاً إلى جانب الفائدة التي تعود على النازمين من هذه القواعد وذلك بأثباته كتابة برموز موسيقية حديثة ايضمن وحدة الايقاع الشعري ودقة اخراجه وهي رسالة لها قيمتها الفنية التي نرجو أن يقبل عليها المهتمون بالشعر العربي وانشاده .



|  |     |
|--|-----|
| طبقة من نور وأخرى من ظلام في العصور الوسطى : اسماعيل مظهر        | ٢٦٥ |
| القطام : الدكتور عبده رزق  | ٣٧٣ |
| سياسة إنجلترا الخارجية   | ٣٧٨ |
| الصباح ( قصيدة ) : عدنان مردم بك                                 | ٣٧٩ |
| الافلاطونية الجديدة  | ٢٨١ |
| الرهانية   | ٢٨٢ |
| نهضة أوروبا في القرن الثاني عشر أساسها اللاهوتي ثم الفكري        | ٢٨٣ |
| المذهب العقلي  | ٢٨٩ |
| الوساطة والمحسوبية والاستثناء : عبد الله أمين                    | ٢٩٠ |
| الحيتان  | ٢٩٦ |
| تولستوي : أديب سعادة خوري  | ٢٩٧ |
| المذنبات : ماذا نعرف عنها  | ٣٠٠ |
| الفقر : صديق الحضارة الاغريقية                                   | ٣٠١ |
| تيار المغنطيس : خليل السالم                                      | ٣٠٥ |
| مدينة الشمس  | ٣٠٨ |
| القواعد الاساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي : اسماعيل مظهر        | ٣٠٩ |
| انطون تشيكوف القصصي الروسي : وديع فلسطين                         | ٣٢٤ |
| ميكولوجية أدلر : محمد أديب العامري                               | ٣٢٩ |
| المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق : السيد محمد رجب                | ٣٣٦ |
| سر المريح  | ٣٤٥ |
| الارواح : احمد فهمي ابو الخير                                    | ٣٤٨ |
| تقسيم تاريخ مصر القديمة : دكتور باهور ابيب                       | ٣٥٦ |
| سر القنبلة الذرية : نقولا الحداد                                 | ٣٥٨ |
| اليامور  | ٣٦٥ |
| ابتسامة الجيوكوندا ( قصة ) : لالدوس هكسلي : تلخيص محمود عزت موسى | ٣٦٧ |